الجزء الثالث المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٩ م ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ هـ

ثلاث رحلات

الطهطاوي — الشدياق — كردعلي

اذا بحثنا عن بدء نهضتنا الحديثة فلا مندوحة لنا عن الإشارة الى ثلاث رحلات كان لأصحابها أعمق الأثر في هذه النهضة ، فقد وقفوا على أشياء كثيرة من خصائص الغرب وأخلاق أهله وعاداتهم ومذاهبهم في السياسة والفن والأدب ، فعملوا كتباً أودعوها ما وقفوا عليه وما دهشوا منه فتركت هذه الكتب في آفاقهم آثاراً شتى ، ولئن اختلفوا بعض الاختلاف في نظراتهم الى الأمور على قدر أمزجتهم وأذواقهم ومداركهم فقد اتفقوا في غاياتهم من رحلاتهم ، فقد كانت غاياتهم منها ايقاظ الشرق من رقدته وحثه على الأخذ بأسباب العلم والحضارة وكان لكل واحد منهم أسلوب خاص في التنبيه والإرشاد .

أما الرحلات الثلاث فأصحابها رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد كردعلي ، وقد وضّح كلٌّ منهم في مقدمة رحلته غايته من الرحلة أكمل توضيح .

خرج الطهطاوي من مصر سنة ١٣٤١ ووضع كتاباً سماه : تخليص الإبريز في تلخيص باريز طبع الطبعة الأولى في بولاق سنة ١٢٥٠ واذا رجعنا إلى مقدمة الكتاب وجدنا فيها ما يدلنا على الغرض من رحلة صاحبه فقد أرسل من قبل والي مصر محمد علي الى باريز في جملة من أرسل : « ليتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهيّة » هذا ما قاله الطهطاوي ، الا أنه كانت له غايات أبعد فصّلها في قول آخر :

« فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار عليّ بعض الأقارب والمحبّين لا سيما شيخنا العطّار ، فانه مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار أن أنبه على ما يقع من هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعاً في كشف القناع عن محيّا هذه البقاع .... فما قصّرت في أن قيّدت في سفري رحلة صغيرة نزّهتها عن خلل التساهل والتحامل وبرأتها عن زلل التكاسل والتفاضل ووشحتها ببعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطعة وأنطقتها بحث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرّانية والفنون والصنائع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شائع والحق أحق أن يتبع ، ولعمر الله إنني مدّة اقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمتعها بذلك وخلوّ ممالك الإسلام منه ، وإيّاك أن تجد ما أذكره لك خارجاً عن عادتك فيعسر عليك تصديقه ، فتظنه من باب الهذر والخرافات أو من جنس الإفراط والمبالغات ..

وقد أشهدت الله سبحانه وتعالى على ألاّ أحيد في جميع ما أقوله عن طريق الحق وأن أفشي ما سمح به خاطري من الحكم باستحسان بعض أمور هذه البلاد وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن المعلوم اني لا أستحسن إلاّ ما لم يخالف نصّ الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحيّة . »

وختم مقدمته بقوله :

« وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مقبولاً لدى الخاص والعام وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم . »

من هذه المقدمة يتبيّن لنا أن الطهطاوي قد توخّى في رحلته في جملة ما توخّاه من طلب العلوم والفنون حث ديار الإسلام ، عربها وعجمها على الانصراف الى هذه العلوم والفنون وايقاظ أهل هذه الديار من غفلتهم وهذا ما يثبت لنا أن رحلته الى الغرب كانت عاملاً من عوامل نهضتنا الحديثة فقد رمى فيهـا الى الايقاظ والتنبيه .

ولم تكن هذه الفكرة فكرة الطهطاوي وحده فان الذين فكّروا في أوّل بعثة الى الغرب كانت غايتهم إحياء العمران والعلوم والفنون في بلادهم ، فهم في تفكيرهم هذا وفي إنفاذ هذا التفكير من أعظم الباعثين على النهضة الحديثة وقد وضع الطهطاوي هذه الفكرة في الباب الأول من رحلته فقال :

« ولهذا تنبه المتولّ على بلاد مصر أن يرجع اليها شبابها القديم ويحيي رونقها الرميم ، فمن مبدإ توليته وهو يعالج في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالاً ويصلح فسادها الذي قد كاد يكون زواله محالاً . »

ثم أفاض الطهطاوي بعد ذلك في مدح والي مصر والتنبيـه على ميله الى العمران ونشر العلوم والفنون والصناعات .

لا أريد التوسع في الكلام على رحلة الطهطاوي وعلى خصائصها في مثل هذا المقام وانما الذي رميت إليه أن أبيّن أن هذه الرحلة كانت عاملاً من عوامل النهضة الحديثة فقد رجع صاحبها الى مصر ونشر كتابه بين ظهراني قومه وقد تضمّن هذا الكتاب ما وقعت عليه عينه في الغرب من أكثر أمور الحيـاة ، ولا سيّما حرية الرأي فكان لكثير من مشاهداته تأثير في العقول ، فبدأت النهضة الحديثة .

واذا فرغنا من مطالعة تخليص الابريز وانصرفنا الى مطالعة كتابي الشدياق : الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبا عن فنون أوربا وجدنا أنّ غاية الشدياق من رحلته الى الغرب لا تختلف كثيراً عن غاية الطهطاوي ، ماذا يقول الشدياق في مقدمة رحلته التي طبعت الطبعة الثانية في قسطنطينية سنة ١٢٩٩ :

« ويعلم الله اني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب وأدركت فيها من الرغائب كنت أبداً منغّص العيش مكدّره كمن فقد وطره ولزمته معسرة ، لا يروقني نضار ولا نضرة ، ولا نعمة ولا مسرّة ولا طرب ولا لهو ولا حسن ولا زهو لما أني كنت دائم التفكير في خلوّ بلادنا عمّا عندهم من التمدّن والبراعة والتفنن ثم تعرض لي عوارض من السلوان بأن أهل بلادنا قد اختصوا بأخلاق حسان وكرم يغطّي العيوب ويستر ما شان ولا سيّما الغيرة على الحرم وصون العرض عمّا من هذا الصوب يُذمّ ثم أعود الى التفكر في المصالح المدنية والأسباب المعاشية وانتشار المعارف العمومية والى إتقان الصنائع وتعميم الفوائد والمنافع فيجفل ذلك السلوان وأعود الى الأشجان . »

هذا كلام صريح ، فقد رحل الشدياق الى مالطة وفرنسة وانكلترة وقابل بين بلادنا وبلادهم في أبواب التمدّن والعلوم والصناعات فكانت هذه المقابلة تدخل الحزن على قلبه لخلوّ بلاده مما اشتملت عليه بلاد الافرنجة ، تكثر المقابلات والموازنات في رحلة الشدياق فهو يقابل بين أخلاق وأخلاق وبين عادات وعادات وبين طبائع وطبائع ، يقابل بين زواج وزواج ، وبين لباس ولباس وبين طعام وطعام فينتقد ويحكم ويسخر ولكنه في كل نقده وحكمه وسخريته لا يتوخّى إلاّ الإصلاح والإرشاد ، إصلاح ما اعوجّ من أخلاق بلاده وعاداتها وارشادها الى محاسن الأخلاق والعادات ، لقد نقل الشدياق الى الشرق كثيراً من محاسن الأمور التي رآها في الغرب فكانت عنصراً قوياً من عناصر النهضة الحديثة فهو مصلح اجتماعي من أكبر المصلحين ولم يعرف بعدُ مقامه في هذا الإصلاح

حتى المعرفة حتى يومنا هذا فلا تزال الظلمات تغطّي على ضياء عقله الراجح وأفقه الواسع .

قابل مرّة في رحلته بين بعض أوضاعنا وبعض أوضاع الافرنجة ، تكلم على العلم في بلاد الانكليز فقال :

« غير أن العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف أو بنظم قصائد وانما هو مطالعة اللغتين اليونانية واللاتينية ومعرفة أدبها ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضيات » .

هذه المقابلات التي كانت تجري خلال رحلته كان يرمي فيها الى إرشاد أهل بلاده الى حقائق الأمور فلم يترك فرصة تمرّ به دون أن ينتهزها لإيقاظ قومه ، كان يتكلم على الوظائف في بلاد الإنكليز وعلى ترتيب أصناف الناس فقال وقد خطرت بباله حالة بلاده :

« فأمّا في بلادنا حرسها الله فان ناظر المدابغ جدير بأن ينظر في جلود بني آدم ويصبغها بلون الدرّة والسوط أو يسبر ما هي عليه من الطراوة والنعومة ، والمحتسب خليق بأن يزن أعمال عباد الله وأموالهم في بيوتهم ويروز ما في عياب صدورهم من الخواطر والأفكار وللحاكم أو المطران أن يسقط حق المحق لحرف أسقطه في الكلام وللضابط أن يبيّت الناس في مضاجعهم وللشرطي أن يقبض على أي شخص كان ولضابط العسكر أن يخترط سيفه على أي عنق سنحت له وللبطرك أن يحرم أيّ شخص كان من رعيته حتى لا يعود لأحد من أقاربه وأهل بلدته استطاعة على مخاطبته ومبايعته » .

وبعد أن أحصى هذه الأمور كلها التي كانت تجري في عصره ، عصر الظلمات ، بعد أن قابل بينها وبين الأمور التي رآها في الغرب صرخ هذه الصرخة :

« وإلى من المشتكى وأين المصير وأين المجير ، فياليت شعري متى نصير نحن ولد آدم كهؤلاء البشر ومتى نعرف الحقوق الواجبة لنا وعلينا ، أتخال أن معنى

التمدن هو أن يكون الناس في مدينة وفيها ذئاب وسباع ، كلاً ثم كلاً ، جبير أن اجتماع الذئب والخروف في مرعى واحد ليوجب على اليهود أن يؤمنوا بأن المسيح قد جاء » .

فاذا تنبهت العقول في نهضتنا الحديثة فانها لم تتنبه إلا بمثل هذه الأفكار التي اشتملت عليها كتب الرحلات وبمثل هذه المقابلات ، فالشدياق كان في مقدمة الذين نبهوا الناس في نهضتنا .

أما كردعلي فقد سمى رحلته : غرائب الغرب ، قال في مقدمته :

« هذه فصول ومقالات ، بل آهات وتأوهات ، كتبتها في وصف معالم الغرب وما لقيته فيه وقد زرته ثلاث مرات .... وأنا على مثل اليقين بأنها لا تحمل في مطاويها في تلك المدينة الساحرة إلا بقدر ما تصل اليه يد عابر سبيل ويتفطن لها النزيل والدخيل » .

لاشك في أن كلمة آهات وتأوهات تدلنا على أن كردعلي بهره ما رأى من مدنية الغرب فتحسر على خلو بلاده من هذه المدنية ، ولئن لم يوضح في هذه المقدمة غايته من الرحلة فقد وضحها في أول فصل من فصول كتابه إذ قال :

« كان من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوربا رحلة علمية ، أقضي فيها ردحاً من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبعثها واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المتزهون والعلماء العاملون والساسة المستعمرون والقادة والفازون والتجار والصناع والزراع والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاها » .

غاية كردعلي في هذا الكلام واضحة فان همه التوفر على دراسة حضارة الغرب ولكن ما هو غرضه من هذه الدراسة ، إن هو إلا الإصلاح ، شأنه

فى ذلك شأن الشدياق من قبله الذي سبقه الى الغرب ، لقد كثرت أوهاته وتأوهاته في الغرب ، من ذلك قوله :

« ومن الأسف العظيم أننا لو أحصينا عدد ما يصدر من جميع الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والعثمانية والايرانية لا يبلغ بكميته قدر ما تطبع كل يوم جريدة : البتي مارسيليه ، احدى جرائد ولايات فرنسا ، وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيس وسجل علينا بالفقر المدقع في كل شيء ، ولا سيما في الامور العقلية » .

شرع كردعلي في المقابلات على نحو ما فعله الشدياق في رحلته ، فهو يقابل بين انتشار الصحافة في مصر وتركية وايران وبين انتشارها في مدينة واحدة من مدن فرنسة ويستخرج من هذه المقابلة درجة ارتقاء بلاده وارتقاء الفرنسيين وتؤدي به هذه المقابلة الى الحكم بانحطاط الشرق في كل شيء ، ولا سيما في الامور العقلية ، ليس غرضنا في هذا المقال المناقشة والمجادلة ، فقد يخطئ كردعلي في حكمه ، ان بلاد الشرق التي ذكرها كانت في أول نهضتها ولذلك فان عدد صحافتها قليل ، أما فرنسة فقد كانت في أيام رحلته تذوق نعمة الحرية من زمن بعيد ، فلا تصح المقابلة بين بلاد في أول نهضتها وبين بلاد في عز النهضة ، غير أن كردعلي لم يتحسر هذا التحسر إلا ليحمل بلاده على الأخذ بأسباب حضارة الغرب ، فهو لم يرحل الى الغرب إلا ليعود الى بلاده وينفخ فيها روح الاقتباس .

لقد كثرت دهشات كردعلي في رحلته ، دهش من حضارة الغرب حتى كاد يحسبها من باب الحلم والخيال ، ولا غرابة في ذلك فقد خرج من بلاد كلها ظلمات ، الى بلاد يستفيض فيها النور ، فقابل على حين لا تصح المقابلة في هذا الوجه ، ولكنه لم يقابل إلا ليحض أبناء وطنه على الاقتباس من مدنية الغرب على نحو ما أشرت إليه ، ولا بد من الإشارة في هذا المقام الى أن فرنسة التي

دهش كرد علي من حضارتها في رحلته اليها من نصف قرن كانت سمعتها تملأ الأرض ، فلم يكن الناس يعرفون عنها في تلك الأيام ما عرفوه عنها في هذا العصر من أساليبها في الاستعمار .

ليس هذا موضوعنا ، لنرجع الى لب الموضوع ، لقد كان لاتصال الشرق بالغرب أثر قوي في نهضتنا الحديثة ، كان كرد علي يرى ما يرى من سياسة الغرب ومذاهبه في الاجتماع والعلم والصناعة والزراعة والاقتصاد وغير ذلك من مظاهر الحياة فيدرس ويختبر ثم يستنبط من دراسته واختباره عبرة صالحة لينفع بها قومه ومجتمعه ، فالكتّاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم في هذا المقال غرضهم من رحلتهم الرجوع بخواطر وأفكار تنهض ببلادهم ، وكما تحسّر الشدياق على تأخر بلاده فكذلك تحسّر كردعلي :

« فيارب ! ماهذه الروح التي تجرّد منها جسم الشرق وسرت في عظام الغرب وشرايينه ، فأتى أهله بالعظائم ونحن بقينا جامدين ، مبهوتين ، منحلّين ، متضائلين ! »

ولئن كان هؤلاء الكتّاب الثلاثة مادّة خصبة من موادّ نهضتنا الحديثة بسبب رحلاتهم لقد كان لكل واحد منهم أسلوب خاص في النظر الى حضارة الغرب والحكم عليها ودرجة الاستفادة منها والاقتباس عنها ، فالطهطاوي غلبت عليه نزعة دينية ، فقد تمسك باسلامه فلم يستحسن من أمور الافرنجة إلا ما كان الاسلام يسمح باستحسانه والشدياق غلبت عليه السخرية فهو يسخر بالغرب اذا رأى ما يحمل على السخرية ويعظّم منه ما يستوجب التعظيم وأمّا كردعلي فقد بلغت دهشته من حضارة الغرب كل مبلغ بحيث كاد لايرى فيها إلاّ حسنات ، وكيف كان الأمر فان هؤلاء الأئمة الثلاثة كانوا في مقدمة من بنوا نهضتنا الحديثة ، فقد نقلوا الى الشرق ما وقفوا عليه من كثير من أمور الغرب في كل باب من الأبواب ، فكان لرحلاتهم انعكاس على عقول أهل البلاد .

شفيق جبري

ثقافة الأطباء عند العرب

لم أعثر في الكتب العربية الطبية على بحث خاص يرينا كيف كان أطباء العرب في عصورهم العلية وحضارتهم الزاهية يهيئون أنفسهم لدراسة علم الطب وماذا يتعلمون من كتبه الموجودة في زمنهم .

واننا وان كنا نعرف الكثير عن البيمارستانات والمشافي وأقسامها وفروعها وادارتها وأطبائها وما يلحق بها من معاهد التدريس والتعليم ، ولكننا لا نعرف بالضبط ما هي العلوم التي كانوا يدرسونها وكيف كانت تجري امتحاناتهم ؟ .

ولأهمية الموضوع وجدت ضرورة للبحث في مختلف المراجع القديمة والتراجم الطبية[1] علّني أهتدي اليه ، والى معرفة العوامل التي أدت الى ازدهار العلوم الطبية والعلوم الطبيعية وغيرها وما كان لأطباء العرب من نصيب في هذا المضمار .

والذي اتضح لي بعد كل جهد أن أطباء العرب في القرون الخمسة الأولى من حضارتهم كانوا (انسكلوبيديين) أي (موسوعيين) بمعنى أنهم كانوا يتعلمون

---

(١) كعيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٨٨ ه . ٢ – وتاريخ الحكماء لظهير الدين البيهقي المتوفى عام ٥٦٥ ه . ٣ – وإخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطي المتوفى عام ٦٤٦ ه . ٤ – وكتاب البيمارستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى . ٥ – والطب عند العرب للأستاذ خير الله . ٦ – وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي . ٧ – والحضارة الإسلامية لكردعلي . ٨ – وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان . ٩ – ودائرة المعارف البريطانية . ١٠ – وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . ١١ – وقانون حوراني للمؤلف .

علوماً عديدة يضيفونها الى ثقافتهم الطبية العامة والخاصة التي بلغوا فيها شأواً عظيماً ما زالت آثاره الخالدة مسطّرة في كتبهم ومعاهدهم ومؤسساتهم .

واذا تساءلنا لماذا كانوا يتعلمون تلك العلوم التي كان أولها وأهمها اللغة العربية والصرف والنحو والإعراب والبيان والبديع والبلاغة ، ثم العلوم الأدبية كالشعر والأدب والروايات ، ثم العلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والسيرة والقانون والقضاء ، ثم العلوم السياسية كنظام الحكم وأصول الإدارة والعلاقات الدولية ، ثم العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة وعلم الأخلاق واللاهوت . ثم العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمثلثات ، ثم العلوم الطبيعية كالكيمياء والنباتات والحيوانات وعلم المعادن وعلم الأقاليم والمياه ، ثم يتعلمون العلوم الطبية كالتشريح ، والطب الداخلي وأمراض الجلد ، وعلم الجراحة وعلم الولادة وأمراض النساء ، وعلم الفيسيولوجيا ، والصحة ، وأمراض العيون ، ومفردات الطب ، والأقرباذين ، والصيدلة وغيرها[1] . أقول اذا تساءلنا عن السبب لم نجد جواباً إلاّ أن عصرهم كان يحتم على أكثرهم دراسة هذه العلوم مع علوم الطب تبعاً لأصول التحصيل الجاري في زمنهم ، واستجابة لحاجات الناس الذين يعتبرون الطبيب ملمّاً وعارفاً بكل شيء . أما كيف وصلوا الى غاياتهم فكتب التاريخ والتراجم تدلنا على أن أطباء العرب اتبعوا أساليب اليونان في ثقافتهم التي لم تقتصر على الطب والطبابة بل تناولت ما ذكرناه من العلوم

---

(١) ومع تعاطي المهنة الطبية كان بينهم من اشتغل في السياسة والوزارة ، ومنهم من كان نديماً خاصاً للملوك والأمراء والوزراء ، ومنهم من كان معلماً منقطعاً للعلم والبحث والتجربة والاستقراء ، ومنهم من تعاطى الطب ثم تركه واشتغل في الفقه والتدريس ، ومنهم من تصوّف وانقطع عن الدنيا ، ومنهم من كان موسيقاراً أو شاعراً ، ومنهم من اشتغل في الفلك والرصد والرياضيات .

المتعددة والفنون المشهورة كما هو المعروف عن أبيقراط [١] ، وسقراط [٢] ، وأفلاطون [٣] ، وأريسطو [٤] ، وجالينوس [٥] أئمة العصور اليونانية والرومانية وكما هو معروف عن أئمة أطبائنا كالفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا ، والرازي ، والزهري ، والزهراوي ، وابن البيطار ، وابن حزم ، وابن أبي أصيبعة ، وابن خلدون وغيرهم .

وسببه كما قلنا تأثير المجتمع وحاجات الزمن وطبيعة الثقافة التي فرضت على الطبيب أن يكون حكيماً علياً ملماً بما وصلت اليه معارف الزمن ، ماهراً في صنعته ، ذكياً في تدقيقاته وتحرياته ، فيلسوفاً في أفكاره ، وتصرفاته ، إنسانياً في معاملاته ، مدنياً في أخلاقه ، وعليه أن يمثل الفضيلة في سيرته ، وأن يتصف بالخصائل التي تجعله قدوة في النظافة وأدب المحادثة ، وجدية العناية ، وكتم السر ، وخدمة المحتاج .

وعليه أن يكون بعيداً عن الأذى والضرر وسوء النية ، لا يقصر في معونة من يحتاجون الى علمه ، ورأيه وتدبيره ، كفوءاً في صنعته ، شريفاً في معاملاته .

وكلها صفات حميدة لا يستغرب من المجتمع الإنساني إن تطلبها من أطبائه

---

(١) أبيقراط Hippocrates يعتبر أبا الطب وواضع أساساته ، ولد عام ٤٥٠ ق. م

(٢) سقراط Socrates أشهر حكماء اليونان ولد عام ٤١٨ ق. م وتوفي عام ٣٩٩ ، وعلّم في أثينا وكان يلقي دروسه في الأزقة والشوارع وبين الجماعات ثم تألب عليه السوفسطائيون وجروه أمام الحكم فحكم عليه بشرب السم وهو في السجن فشربه ومات .

(٣) أفلاطون Ploton فيلسوف وطبيب يوناني ولد عام ٤٣٠ وتوفي عام ٣٤٧ قبل الميلاد .

(٤) أريسطو Aresto فيلسوف وطبيب من أكبر فلاسفة اليونان ولد في عام ٣٨٤ وتوفي عام ٣٢٢ ق. م

(٥) جالينوس Galinus من اعظم أطباء اليونان ولد عام ١٣١ بعد الميلاد وتوفي عام ٢٠١ .

فيما مضى والآن ، لأن علم الطب كان في جميع العصور التي مرّت على تطوّر البشرية ورقي الإنسان معدوداً من أرقى العلوم وأهمها ، ومعاطاة الطب كانت ولا تزال من أشرف المهن ، والطبيب العالم الحاذق الفاضل كان ولا يزال صاحب الاعتبار والتقدير في مجتمعه وبين أفراده ، لأن بيده تخفيف الألم وإزالته وشفاء السقام أو تعديله ، وجبر الكسر ، وبتر الفاسد ، ومداواة العلّة ، وحفظ الصحة ، ووقاية الجسم ، وتشخيص المرض ، ومحاربة الوباء ، ومعالجة الجروح ، واعادة النفوس العليلة الى حالها الطبيعي .

واذا كانت تلك الخصال والمزايا والعلوم من ضرورات العصر اليوناني ومن ضرورات العصور العربية ، وكانت أيضاً من ضرورات العصر المصري والبابلي والآشوري والايراني فلماذا لا تكون من ضرورات عصرنا وان تطوّرت وتنوعت ثقافة أطبائنا وأصبحت ذات فروع وذات اختصاص ، ولها معاهد ومؤسسات ومختبرات ، ولها أدوات ومعدات ؟ أليست الفضائل التي كانت مطلوبة من الأطباء الأقدمين هي ذات الفضائل التي نتطلبها ويجب أن نتطلبها من كل طبيب اليوم وغداً وفي يدهم أرواحنا وحياتنا ؟ واذا كانت أساليب تعليمنا الطب قد تغيّرت اليوم وفاقت ما كانت عليه ، وثقافتنا الطبية قد اتسعت آفاقها وارتقت مقاييسها العلمية فهل من الضروري أن تتغيّر أخلاقنا الطبية وخصالنا المهنية ، وواجباتنا الأدبية ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال المهم سلباً أو ايجاباً ، وقبل بيان ماهية ثقافة أطبائنا العرب ، يتحتم علينا ـ ولو بصورة وجيزة ـ استعراض نشأة الطب من أقدم الازمنة حتى أيام العرب الزاهية ، وبيان ما كانت عليه نظرة المجتمع الى الأطباء ومهنتهم ، وما هي مجمل الفضائل التي كانوا يتحلّون بها ؟ .

تذكر كتب التاريخ والحضارة أن الكهنة في مصر وبابل وآشور والهند

والصين كانوا يمارسون الطب ويعلمونه ويعرفون خواص الأعشاب وكيفية استعمالها ، وكانوا يتوارثون المعرفة والمهنة خلفاً عن سلف ، ويتعلمون معها السحر والتنجيم وعلم الكيمياء ، وعلوم الدين وما يتصل بالعبادات والطقوس والشرائع ، ويتعاطون التطبيب كما يتعاطون خدمة الهياكل والمعابد ، والآلهة والأصنام .

وكان لهؤلاء الكهنة الأطباء وسدنة الهياكل والمعابد صفة القداسة وسلطة القضاء والحكم بين الناس .

وكان الكهنة يعتبرون الطب والطبابة ومعرفة الكيمياء من الأمور السرية المقدسة التي لا يجوز إباحتها لكل طالب ، لأن لها أسرارها وأصالتها ، وأدعيتها ، وتعاويذها ، فلا يعلمونها إلا لمن كان من أولاد الملوك أو الأمراء أو من طبقة الأشراف النبلاء ، ويتحلون بالصفات المؤهلة التي تمكنهم من أن يكونوا خدمة الآلهة والملوك وخدمة الطبابة تقديساً للعلم والطب والطبابة ورفعاً لدرجاتها واعتبارها .

وفي أيام البابليين كان أهل المرضى يضعون مرضاهم في الشوارع العامة ويعرضونهم على المارة لعل واحداً منهم يكون قد أصيب بما أصيب به المريض ثم شفي من دائه فيصف للواقفين ما استعمله من العقاقير والأدوية والأعشاب والتعاويذ والأدعية حتى زال عنه المرض وتخلص من الروح الشريرة التي كانت سبباً لمرضه ، فيدونون ما قاله على ألواح مشوية من الآجر ويسلمونها الى سدنة الهياكل ليحفظوها ويضيفوها الى غيرها من الألواح التي اكتشف علماء الآثار الكثير منها .

ولعل ما حدث في الماضي السحيق يحدث مثله اليوم بين القبائل المتوحشة التي تعيش في حالة بدئية في مجاهل افريقيا وأمريكا الجنوبية ، وفي صحارى

أستراليا ، وفي آسيا وجزر الهند ، فان مرضاهم يلجأون الى الكهنة والسحرة لمداواتهم وطرد الأرواح الشريرة عنهم .

ومما خلده المصريون والبابليون والهنود من آثار وكتب وروايات نستطيع أن نقول بأن تاريخ الطب قد بدأ في عصور تلك الأمم وأمثالها ومن أتى بعدها .

ويدلنا تاريخ اليونان على أن الطب أيام (اسقولابيوس[1]) انحصر فيه وفي أولاده وعائلته التي انحدر منها (أبيقراط[2]) ، وتدلنا وصية أبيقراط وهي الميثاق الخالد في عالم الطب على وجود النظام الوراثي في تعاطي الطب ومعاطاته .

على أن هذا الانحصار العائلي لم يتبدل إلا في زمن (أفلاطون[3]) الذي أنشأ (الأكاديمية) للعلوم والطب والفلسفة والرياضيات في (أثينا) وخصها بتلامذته ومريديه يؤمونها ويحضرون دروسه . وكانت أبواب (الأكاديمية) مفتوحة لأبناء الشعب ولكن لا ينتسب اليها إلا من توجد فيه الأهلية والجدارة لتحصيل العلم من أبناء اليونان .

وجاء في المصادر المصرية بأن سكان مصر هم أقدم من تعاطى صناعة الطب لاعتقاد ملوكهم وكهنتهم وعلمائهم أن الروح عائدة الى الجسم بعد مفارقتها له اذا بقيت الأجسام سليمة من الفناء .

وبدافع هذه العقيدة اشتغلوا بأمر التحنيط واكتشفوا ما يلزم له من مواد كالزيوت العطرية ، والراتينجية ، والدهنية ، والمعدنية ، وكانوا يستعملون معها

---

(١) أسكولابيوس Ascolepius إله أسطوري عند اليونان ويقال انه ابن لأبولو ع أبو الآلهة . وكانت أمه حورية اسمها كورونيس ، ووصفه هومر بأنه طبيب ماهر وكان يمثل في المعابد ويعبد ، وله ابنة هي إلهة الصحة اسمها هيايجين وولد هو إله الشفاء .

(٢) أبقراط Hippocrates .

(٣) أفلاطون Platone عاش في سني ٤٣٠ - ٣٤٧ ق . م

الكافور وزيت الصندل ، والمر ، وحصى اللبان ، ومركبات الزيبق ، ومركبات الذهب ، والانتيمون ، والارسنيك الطبيعي ، وأملاح الكلور والصوديوم والبوتاس ، والرصاص ، والبوركس والنطرون وغيرها من المواد العضوية وغير العضوية لاحكام عملياتهم الكيميائية الدقيقة المعقدة .

وأشهر من عرف من أطبائهم (هرمس الأول [1]) الذي ألف اثنين وأربعين كتاباً مقدساً كان منها ستة في الطب وتركيب البدن وأعضائه ، ولا سيما في العينين وفي الجراحة والآلات الجراحية المستخدمة لتوليد النساء ، ومعالجة أمراضهن . وكان يعتقد أن المرقات والمقيئات والحقن من مقتضيات المرض وموجبات الشفاء .

ثم جاء من بعده وسار على منواله الهرامسة الثلاثة الذين أورد ذكرهم صاحب طبقات الأطباء وكان أقدم كتاب طبي عرف عند المصريين « رسالة في التشريح » ورسائل طبية عديدة تأليف (أثوثيس بن منيا) من ملوك الدولة الأولى المصرية .

وتدلنا شريعة حمورابي المؤرخة في حدود عام (٢٠٨٤ — ٢٠٨٠) قبل الميلاد على أن البابليين كان لهم أطباء وجراحون ، وكحالون ، وبياطرة ، وكانت أجرة الطبيب والجراح والبيطري معينة ومنصوصاً عليها في مواد الشريعة ، وكذلك ورد فيها عقاب من يسيء عمله عمداً أو جهلاً .

وفي القرن السابع من الميلاد اكتشفت فيما بين النهرين (دجلة والفرات) احدى المدارس التي كان يدرس فيها الطب .

---

(١) هرمس Hermès هو الاسم اليوناني للاله (طوت أوتوت) المصري ويطلق الاسم أيضاً لرجل من حكماء مصر تنسب اليه بعض الكتب الطبية . والهرامسة عدة أشخاص اشتهروا كلهم بالطب والعرب تسمي (هرمس الأول) ادريس وهو من بابل .

والبابليون أول من بنى أساسات المعالجة على الأمزجة الأربعة (١) والأخلاط الأربعة (٢) وأول من مارس الاختصاص في مهنة الطب . وكانوا كالمصريين يستعينون بالأدوية والتعاويذ والرقى والسحر لشفاء الأمراض وطرد الأوبئة واخراج الأرواح الخبيثة من المصابين بالصرع أو الجنون . وكان التنجيم عندهم من جملة الوسائل لشرب الدواء وقطف الزهور وجمع الأعشاب وتعيين وقت العمل ووقت التناول ، ووقت الفصد والحجامة .

ولما ازدهرت حضارة اليونان كان «أبيقراط» المولود عام ٤٦٠ قبل الميلاد أول من ألف كتب الطب وأول من فصله عن الدين ، وأول من جعل مصدر الأمراض الغذاء والهواء . وكان طبيباً ماهراً وله مدرسة يدرس فيها الطب ، وعيادة خاصة يداوي فيها مرضاه . وقد عرف عنه أنه كان يعتمد في معالجة المرض ومداواته على المشاهدة والتجربة . ومن تعاليمه : (أن الأمزجة (٣) أربعة ، والعناصر (٤) أربعة ، وخواص الأشياء (٥) أربعة) ، وكان يعتني بالصحة والتشخيص ، ويتعاطى التشريح والجراحة ، وامتاز في عملياته .

وذكر التاريخ أن «أبيقراط» سكن مدينة حمص ، وذهب منها الى دمشق ، وأقام فيها في بستان غربي الصالحية في محل يسمى (قبة اليسار (٦)) . وهو واضع

(١) الأمزجة الأربعة : المزاج الصفراوي ، والمزاج الدموي ، المزاج البلغمي ، والمزاج السوداوي .
(٢) الأخلاط الأربعة : الدم ، والبلغم ، والمرّة الصفراء ، والمرّة السوداء .
(٣) الأمزجة الأربعة : الدموي ، والبلغمي ، والصفراوي ، والسوداوي .
(٤) العناصر الأربعة : هي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .
(٥) خواص الأشياء الأربعة : حار ، وبارد ، ورطب ، ويابس .
(٦) قبة اليسار (ولعلها السيّار) : على بالقرب من (دير مرّان) ذكره القفطي في أخبار الحكماء وفي معجم البلدان (٤ – ١٧٢) هو الدير الكائن بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن وهو دير كبير وفيه رهبان ومدحه الصنوبري . ويوجد دير آخر بهذا الاسم واقع على جبل يشرف على (كفرطاب) قرب المعرة ، ويقال ان فيه قبر عمر بن عبد العزيز .

الميثاق الطبي الشهير الذي طلب من تلامذته أن يقسموا عليه ويعملوا بموجبه ، وقد بقي منذ ذلك العهد حتى زمننا الحاضر عهداً يقسم عليه الأطباء في كلياتهم وجامعاتهم أمام أساتذتهم قبل أن يتخرجوا ويمارسوا مهنتهم .

ما هو هذا القسم ؟

جاء في كتاب (طبقات الأطباء) للطبيب ابن أبي أصيبعة أن محتويات القسم هي ما يأتي :

« اني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ، وأقسم بأسقليبوس ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً ، على اني أفي بهذا العهد وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة أبي وأواسيه في معاشي واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي الخاص ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لاخوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير أجرة ولا شرط ، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصنعة ، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك ، وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي ، ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالا ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة ، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة[1] تسقط الجنين وأحفظ في نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة ، ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل .

(١) الفرزجة : هي التحميلة التي تحملها المرأة لاسقاط الجنين وفي الغالب تكون من عقار يهيج الرحم .

«وكل المنازل التي أدخلها انما أدخل اليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجا فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به» .

ويظهر أن أبيقراط لم يكتف بهذا القسم بل توكيداً له وضع ناموساً لتعاطي الطب ، ووضع وصايا لمن يريد أن يكون طبيباً وأيده العرب في قسمه وناموسه ووصاياه واتبعوها قولاً وعملاً .

أما الناموس[1] فقد قال فيه : «ان الطب أشرف الصنائع كلها ، إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلب الناس اياها لأنه لا يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها ممن ليس بأهل للتسمي بها . اذا كانوا يشبهون الأشباح التي يحضرها أصحاب الحكاية ليلهوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الأطباء بالاسم كثيرون وبالفعل قليل جداً . وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها اذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثماراً حسنة مثل ما يرى في نبات الأرض . أما الطبيعة فمثل التربة وأما منفعة التعليم فمثل الزرع ، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البذر في الأرض الجيدة ، فمتى قدمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ثم صاروا الى المدن لم يكونوا أطباء بالاسم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه مملوء سروراً ، سراً وجهرا ، والجهل به لمن انتحله صناعة سوء وذخيرة ردية عديم السرور ، ودائم الجزع ، والتهور ، والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبرة بالصناعة» .

---

(١) نقلا عن ابن أبي أصيبعة : ١ – ٢٦ .

وفي الوصية قال : « ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً ، وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للمال ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغاية ، ولا يكون بليداً ، وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل ، مشفقاً عليه ، حافظاً للأسرار ، لأن كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم ، وينبغي أن يكون محتملاً للشتيمة لأن قوماً من المبرسمين [1] وأصحاب الوسواس — السيداوي) يقابلوننا بذلك . وينبغي أن نحتملهم عليه ونفهم أنه ليس منهم ، وان السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن تكون ثيابه نقية ومعشره سليماً » .

وتأييداً لما تقدم أذكر اعتقاد أطباء العرب فيمن يريد أن يكون طبيباً .

قال الطبيب مهذب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المتوفى عام (٦٣٠) هجري في كتابه « المختارات الطبية » [2] :

---

(١) المُبَرْسَم : مشتق من البرسام — وهو التهاب في الحاجز الواقع بين الكبد والأمعاء ، والمبرسم من يصاب بهذا الداء . وأصل الكلمة دخيل على العربية وهي مركبة من « بر » ومعناه الصدر بالفارسية و « سام » ومعناه (الموت) .

(٢) وما جاء في وصايا البغدادي يتفق مع ما جاء في وصايا عميد أطبـاء القاهرة (ابن رضوان) الذي اشترط على الطبيب أن يكون متحلياً بسبع خصال ، هي : « ١ — أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خير الطبع . ٢ — أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم . ٣ — أن يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة نظيف البدن والثوب . ٤ — أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء . ٥ — أن يكون حريصاً على التعلم والمبالغة في منافع الناس . ٦ — أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللهجة ، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلاء ، فضلاً عن أن يتعرض لها أو الى شيء منها . ٧ — أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ولا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه . ولا دواء يسقط الأجنة . يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه . » ابن أبي أصيبعة — جزء ٢ ص ١٠٢ — ١٠٣ .

« ان لكل واحد من الناس حداً من الاستعداد في قبول العلوم والصنائع بحسبه يكون مطبوعاً فيها ، فاذا توفر على ما هو مستعد له ومطبوع فيه انتفع به ونفع ، وان تعداه الى غيره ضرّ واستضرّ ، والصنائع والعلوم تنمى وتزيد بوقوعها الى المستعدّين المطبوعين فيها ، وتنقص وتفسد بوقوعها الى غيرهم . ويعرف المطبوع في الحكمة بصحة مزاجه وتناسب أعضائه وطهارة أخلاقه » . « مجلد ٣ ص ٦ » .

ويضيف على قوله :

« ومما يمتحن به حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر فيما اذا أنفق زمانه في الماضي في الاشتغال بهذه الصناعة وملازمة خدمة الكبراء ممن هو أهل لها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم والعلاج بين أيديهم ، والتدرب في الدخول على المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستانات التي يجتمع فيها حذاق الأطباء وكثرة نظره الى معالجة الأستاذ فيشار اليه ويعول عليه . وكذلك هل يثني عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وان همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة ، وأنه غير مشتغل باللهو واللعب والشرب ومواترة السكر ، ولا ببعض هذه الخلال المذمومة التي تستغرق الزمان بالتضييع ، والخاطر بالتوزيع ، فان كان ينسب الى شيء من ذلك فلا ينبغي أن يوثق اليه ولا يعول عليه في هذه الصناعة » .

وهو قول اذا نظرنا اليه بعين تلك الزمن وبعين زمننا وبعين التحليل السيكولوجي والصحي والمسلكي نجده متوافقاً مع قسم ايبقراط ومع ناموسه الطبي ومع وصاياه ومع ما كانت تتطلبه العصور العربية في معاهدها وبيمارستاناتها من أطبائها ، ومع ما تسعى الى تحقيقه والعمل به معاهدنا العلمية الحديثة في تنشئة الأطباء وتهذيب أخلاقهم وتربيتهم الصناعية لأنه قول صادر عن تجربة وعلم ، ونفس

نذرت نفسها للتعليم والتدريب والتنشئة وخدمة المهنة ، وخدمة الإنسان والإنسانية .

وبعد هذا لنعد الى متابعة بحثنا عن تطوّر الطب ونشأة الأطباء ، فأقول :

ومن بعد أفلاطون ظهر أريسطو الذي ولد في عام ٣٨٤ قبل الميلاد ومات في عام ٣٢٢ وكان من أعظم فلاسفة اليونان وهو وان لم يكن طبيباً ولكن تعاليمه أثرت تأثيراً عميقاً في تقدم الطب وفي ذهنية العرب فدعوه المعلم الأول .

ويذكر متتبعو حياته وآثاره أنه ألف في مواضيع عديدة تتعلق بالطب كعلم الأحياء ، وعلم التشريح المقارن ، وعلم الفيسيولوجيا ، وعلم الأجنة ، وعلم الحيوان ، وعلم النباتات ، علاوة على ما ألّفه في الفلسفه والمنطق والبيان والسياسة وعلم النفس وعلم الأخلاق .

وكان أستاذاً ومربياً لاسكندر الكبير في صغره ولما تولى اسكندر زمام الحكم ، وقاد جيشه للفتوحات اتخذ معلمه مشاوراً له في اجراءاته وأموره السياسية .

وقد اشتهر أريسطو بالولع العلمي والتحري الواسع والدقة العلمية والنهج الرتيب .

وفي أيامه أنشأ الاسكندر مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ قبل الميلاد وأنشأ معها مدرسة الاسكندرية التي ارتقت ارتقاءً عظيما في عهد البطالسة وبقيت مناراً للعلم ونشره ومعهداً لتخريج العلماء والفلاسفة والأطباء والحقوقيين حتى الفتح الإسلامي عام ٦٤٣ ميلادية . ومن هذه المدرسة تخرج الأطباء (هيروفيلس ، وارسطرارطس) واشتهروا بترقية علمي التشريح والفيسيولوجيا ، وتخرّج منها (جالينوس [1]) أعظم طبيب ترجم له العرب وأخذوا عنه أيام الأمويين لأنه كان خاتمة الأطباء الكبار الثانية الذين اشتهروا في هذه المدرسة .

وفي طبقات الأطباء يقول الطبيب ابن أبي أصيبعة : « ان جالينوس لما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ، وامحت

(١) جالينوس Galinus ولد عام ١٣١ وتوفي عام ٢٠١ . له اكتشافات خطيرة في التشريح ، ائتمّ به أئمة أطباء العرب .

محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك وشيد أقوال (أبيقراط) وآراءه وآراء التابعين له ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة ، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها ، ولم يجيء بعده من الأطباء إلاّ من هو دون منزلته ومتعلم منه » .

وكانت مدة حياة جالينوس على رأي الطبيب النحوي سبعة وثمانين سنة ، منها صبي ومتعلم (١٧) سنة ، وعالم ومتعلم (٧٠) سنة . ولكن جالينوس يقول عن نفسه في كتابه (مراتب قراءة كتبه) : « ان أبي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهيت من السن الى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصدَ بي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها ، ثم رأى رؤيا دعته الى تعليمي الطب فأسلمني في تعليمه وقد أتت عليّ سبع عشرة سنة ، وبعدها تعلمت الطب وتعاطيته حتى بلغت الثاني وثلاثين سنة .

وكان جالينوس عبقرياً واسع المعلومات ، ذرب اللسان ، كتب الكثير في مختلف المواضيع الطبية المعروفة في زمانه انما كان ينقصها سلاسة أبيقراط ووضوحه .

وكان في حياته ومعيشته يحب الفخفخة ، وطالما ساقه عقله المولّد الى الدخول في عالم الخيال والفلسفة ، ولذلك أتى ببعض الآراء الوهمية غير المعقولة ، وأتت مؤلفاته صعبة الدرس والفهم ، ومع هذا فقد كانت بين المؤلفات الأولى التي نقلت الى العربية ، ترجمها حنين بن اسحق وولده اسحق وابن اخته حبيش الأعسم .

وكانت مدرسة الاسكندرية جمعت تآليف جالينوس كلها وبوّبتها ووضعتها في ١٦ مجلداً ليسهل درسها ، وذكر ابن أبي أصيبعة أن هذه المجموعة من الكتب المترجمة الى العربية كانت المتداولة بين الناس وفي أيديهم والمعتمد عليها في دراسة الطب (ككتاب الفرق الطبية ، وكتاب الصناعات الصغيرة ، وكتاب النبض الصغير ، وكتاب « غلوقن » الذي معناه الأزرق كتبه في التأني لشفاء

الأمراض ، وكتاب في العظام ، وكتاب في العضل وتشريح العصب ، وتشريح العروق غير الضوارب ، وتشريح العروق الضوارب ، وكتاب الاسطقسات [1] وهو يبين جميع الأجسام التي تقبل السكون والفساد وهي أبدان الحيوانات والنبات ، والأجسام التي تتولد في بطن الأرض ، وكتاب المزاج ، وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العلل والأمراض ، وكتاب تعريف عمل الأعضاء الباطنة « باثالوجيا » ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب أصناف الحميات ، وكتاب البحران ، وكتاب حيلة البرء ، وكتاب علاج التشريح الكبير ، وكتاب فيسيولوجيا الأعضاء ، وكتاب في قوى الأدوية المسهلة ، وكتاب في العادات ، وكتاب في الأدوية المفردة ، وله كتب أخرى في أمور طبية ومسائل تتعلق بالتداوي نظر فيها وفسرها من جاء بعده من الأطباء الاسكندرانيين كاصطفان ، وانقيلاوس ، وجاسيوس ، ومارينوس ، وثادووسيوس ، وديسقوريدس ويحيى النحوي الذي عاش ولحق زمن عمرو بن العاص في مصر وله كتب عديدة ترجمت الى العربية أيضاً مع كتب ديسقوريدس صاحب الفضل في تعليم وتصنيف مفردات الطب) .

وبعد ما انشقت الامبراطورية الرومانية [2] الى مملكتين واضطهد رؤساء النساطرة السريان الذين كانوا في مدارس أثينا هاجر النسطوريون الى الشرق وكانوا من العلماء والفلاسفة والأطباء وحملوا معهم العلوم اليونانية وثقافتها وسكنوا بلاد الرها وما جاورها وأقاموا فيها مدارسهم .

---

(١) الاسطقسات : معناها العناصر . وهي عند الأقدمين . (الماء والأرض والهواء والنار) وأصلها مأخوذ من اليونانيه .

(٢) لم يكن العصر الروماني البيزنطي الممتد من عام ٤٧٦ الى ٧٣٢ بعد الميلاد من العصور التي لها أثر كبير على العرب ؛ بل كانت المدنية اليونانيـة خلالها في انحطاط وانحصرت تعاليم أبيقراط ، وسوقراط ، وجالينوس في الأديرة .

ومنهم من سكن في نصيبين ، وقنسرين ، وميافارقين ، وأسسوا فيها مدارس علمية وطبية أخرى بلغت خمسين مدرسة ، ومنهم من هاجروا الى جنديسابور من بلاد العجم وأوجدوا أيضاً مدرستهم الشهيرة التي تخرج منها الطبيب العربي الشهير الحارث بن كلدة أول طبيب في الجاهلية قابل كسرى أنوشروان مع وفد من رؤساء العرب وتحدث اليه ووصف له فضائل العرب ومكارمهم وأجابه على عدة أسئلة سأله عنها ليمتحن معرفته .

وكان النساطرة ترجموا العلوم اليونانية الى السريانية ، ولما فتح العرب بلاد سورية والعراق وايران ، وفتحوا قلوبهم للعلم وبذلوا الأموال للحصول عليه وصرفوا حياتهم للحصول على كتبه وترجمتها وسافروا لأجل ذلك الى بلاد اليونان وايران والهند والصين وعملوا على ترجمتها ، واستقدموا العلماء والتراجمة لهذه الغاية وللتعليم والتدريس والتطبيب ، كان هؤلاء النساطرة وغيرهم من خير ما ساعد على ذلك .

والذي نستطيع استنتاجه من كل ما تقدم أن أطباء العرب بدأوا تعلم الطب من الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية ابان فتح مصر ، ثم من أطباء النساطرة الذين كانوا يدرسون في مدارس الرها وغيرها مما ذكرنا أسماءها .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٤ —

ان المرحلة الطويلة التي عاش فيها العرب الغساسنة متحدين بالسريان في مناطق سورية وغيرها ، أتاحت أعظم فرصة للقاء اللغتين العربية والآرامية السريانية ولاتصالها الطويل ، مما كان له الأثر الفعال في كلتيهما ، وعلى الأخص في بلاد سورية ، وقد بقيت آثاره الى اليوم دائرة على الألسن السورية ، إذ اصطبغت اللغة العربية المحكية فيها بصفات سريانية كثيرة منذ تلك العصور الى يومنا هذا .

وأهم الآثار السريانية الآرامية في اللغة العربية المحكية في بلاد الشام على الأخص هي ما يأتي :

١ — قلب (ميم الجمع) الى نون في ضميري المخاطبين والغائبين مثل (أبوكن ، أخوكن ، بيتكن) ، عوض (أبوكم ، أخوكم ، بيتكم) ، ومثل (أبوهن ، أخوهن ، بيتهن) عوض (أبوهم ، أخوهم ، بيتهم) . وذلك مستمد من السريانية الآرامية اذ يقال (ܐܒܘܟܝܢ ، ܐܚܘܟܝܢ ، ܒܝܬܟܝܢ) كما يقال (ܐܒܘܗܝܢ ، ܐܚܘܗܝܢ ، ܒܝܬܗܝܢ) . وهي صيغة سريانية لا غير .

٢ — اسكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة ، وقد تنقل حركته الى الحرف الذي قبله مثال ذلك : (عِلَتَك ، تَمَتَك . و محَمَّله ، زلقطه) وما اليها عوض (عِلْتُك ، تَمْتُك . مْحمله ، زلقطة) كما هي الحال في بقية البلاد العربية .

٣ – اسكان المتحرك في أول الكلمة وفي مواضع أخرى من ذلك : (كْبير ، صْغير ، كبار ، زروح) وهذه توجد في لغة الموصل العامية أيضاً ، وهي مستمدة من السريانية لا غير ، لأن هذه الحالة لا توجد إلا في اللغة السريانية .

٤ – استمداد لغة الشام العربية المحكية الى الآن كلمات كثيرة سريانية صرفة من ذلك : دَقَر أي (صَدَم) ، سكر (أغلق الباب ونحوه) ، دَنَق (نظر) ، فقع (انفجر) ، دلف (بمعنى وكف) ، شحط (استل السيف ونحوه) ، شطح (بسط ، مدّ ، وامتدّ) فلش (هدم) ، (وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ، شقل (نقل ، أخذ) . ومن الأسماء : شوب (الحر) ، شرش (جذر) ، شكارة (ما يزرع لأجل القوت القليل ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ، القاتول (القاتل) ، الشاقول (ما يستعمله المعمار لوزن استقامة البناء) ، القرطب (نوع من الشوك معروف) .

كل هذه الأفعال والأسماء مستمد من السريانية الآرامية ، وهي فيها في هذه الصيغة . ونحن لا ندعي أنها موجودة من عهد الغساسنة العرب كلها ، فلا بد أن هنالك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية منذ انتشارها بعد هروب السريانية من الألسنة السورية ، ومن هذا القبيل أيضاً أسماء كثير من القرى والأنهار والأماكن التي ورثت أسماءها من اللغة الآرامية القديمة . وهذه الأمور تكفي للدلالة على تأثر اللغتين احداهما بالأخرى في سيرهما جنباً الى جنب كل هذه المدة الطويلة ، وتمازج أهليها في مختلف العصور التأريخية .

والآن ننتقل الى منطقة عربية أخرى هي منطقة نجران في بلاد اليمن السعيدة ، فقد تبوأها العرب المسيحيون منذ أقدم العصور المسيحية ، وكانوا متحدين مع الكنيسة السريانية الآرامية في بلاد سورية وغيرها ، وهو ما جعل اتصالاً آخر مباشراً بين اللغتين العربية والآرامية بعد الاتصالات القديمة التي عرفناها سابقاً .

في مدينة نجران العربية ازدهرت المسيحية [١] ، وأقيمت الكنائس الجليلة فيها وفي بقية المدن اليمنية أمثال مأرب والمجران [٢] ، وأصابتها الشدة بين سنتي ٥١٩ — ٥٢٤ مذ داهمها ذو نواس اليهودي فعاث فيها وفي سائر المدن المجاورة تقتيلاً وتقطيعاً ، ولشتهر من الشهداء المسيحيين العرب الشجعان الحارث بن كعب وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال [٣] . وكذلك اشتهرت من الشهيدات عقيلة الحارث الشريفة (رومي) ، وقد أثبت خبر شجاعتها المؤرخ ميخائيل الكبير نقلاً عن رسالة شمعون الأرشمي معاصر هذه الحوادث الدامية [٤] .

ان المسيحية في نجران والمدن المجاورة لما كانت مسيحية عربية آرامية بآن واحد ، كما كانت قبلها الوثنية وثنية عربية آرامية حيث عبد العرب وعلى الأخص قبائل حمير (الشمس) [٥] وهو (شمس) الإله الآرامي القديم ، فتكون القبائل العربية في هذه المنطقة متعلقة بالآرامية في عهديها الوثني والمسيحي ، لأن الفرصة أتيحت في كلا العهدين لالتقاء اللغتين العربية والآرامية ، غير أنه في العهد المسيحي قويت العلاقة بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، لأن أهل حمير أخذوا يكتبون بالقلم الآرامي السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم قبل ذلك [٦] .

ويظهر من سياق حوادث التاريخ أن أهل نجران كان فيهم كثيرون ممن يقرأون اللغة الآرامية ويفهمونها . وقد وجه اليهم العلامة يعقوب السروجي الملفان رسالة ضافية يشجعهم فيها على الثبات في ايمانهم ومكافحة المعتدي الأثيم

(١) الطبري مجلد ١ ص ٩١٨ وابن خلدون ، العبر ٢ ص ٥٩ .
(٢) الدرر النفيسة لنبطة البطريرك أفرام برصوم ص ٣٩٣ و ٤٩١ — ٤٩٢ .
(٣) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .
(٤) ميخائيل الكبير ص ٢٧٣ — ٢٧٦ .
(٥) ابن العبري مختصر الدول ص ١٥٩ .
(٦) المكتبة الشرقية للسمعاني المجلد ٣ ص ٦٠٣ .

بالصمود في حومة الاستشهاد وذلك في شدة ذي نواس اليهودي سنة ٥١٩ م . وكتبت هذه الرسالة بالسريانية وهذا مطلعها : « الى المجاهدين المختارين ، محبي النصر الحقيقي ، عبيد الله المؤمنين الصادقين . . . . . في نجران مدينة الحميريين » [1] وذكر من أساقفة نجران العرب قس بن ساعدة (الخطيب العربي المشهور) كما ذكر من أساقفتها السريان الأسقف فولا الذي كان قد توفي قبل اضطهاد ذي نواس ، فأخرجت عظامه من القبر وأحرقت بأمر هذا الطاغية [2] .

وعلى ذكر كتابة الحميريين بالخط السرياني الآرامي نعود فنقول مع الأستاذ ولفنسون : إن العرب في عهد جاهليتهم الوثنية كانوا يستعملون الخط النبطي الآرامي المتأخر ، وكانت حضارة العرب الوثنية مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ، وكان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية التي كانت لغة العمران والدين عند نصارى الشرق ، وكان أهل نجران على الأخص ، وهم عرب خلص ، يعرفون اللغة الآرامية [3] ، وعلى الأخص في طقوسهم الدينية ، واتصالهم بالكنيسة الأم في سورية وفي غيرها من الأصقاع الكنسية [4] ، وهذا كاف لتأييد رأينا في اتصال اللغتين الساميتين ، وتبادل المادة بينهما كما سنرى فيما يأتي :

وكانت في العراق قبائل عربية كثيرة تسير تحت راية الكنيسة السريانية الأرثوذكسية متحدة معها بالإيمان والعمل ، وأشهرها قبائل تغلب وطي ونمر واياد ، ومن أشهر أساقفتها الأقدمين العلامة الفيلسوف أحودامه ، وكان أسقفاً للمنطقة المعروفة بـ (باعرباي) أي ديار العرب ، وهي الواقعة بين الموصل وسنجار

(١) المتحف البريطاني – المخطوطات السريانية رقم ١٤٧٢٦ ١١ ورقم الرسالة في هذه المجموعة ١٥ وخمائل الريحان بقلمنا ص ٤٣ – ٤٥ .

(٢) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٣) ولفنسون ص ٢٠٢ .

(٤) تحقيقات تاريخية ص ٢٧ .

ونصيبين[١] ، وبعد أن قلده مار يعقوب البرداعي مطرانية بلاد المشرق العامة سنة ٥٥٩ م سار بنفسه الى جنوبي العراق ، فدعى بقية العرب الرحل الى النصرانية ، فهدى جماهير كثيرة منهم الى المسيحية ، وأنشأ لهم ديرين وعدة كنائس[٢] .
وهذا يدل على أن هذا المبشر كان يتكلم العربية كما كان يتقن لغته السريانية ، ومن المؤكد أنه أنشأ لهم الشعائر الدينية ، هو والكهنة الذين رسمهم لهؤلاء العرب ، باللغة العربية ، كما اشتهر بعده من الأساقفة العرب جرجس أسقف العرب الفيلسوف الذائع الصيت[٣] ، وسنكتب عنه دراسة وافية إن شاء الله .

على أن أشهر القبائل العربية العراقية هي قبيلة تغلب ، وقد حدثنا التاريخ عن وحدتها مع الكنيسة السريانية الأم في العراق ؛ ورسم البطاركة الانطاكيون السريان لها أساقفة كثيرين ، يتصل بعضهم بنسب عربي والبعض الآخر ينحدر من محتد سرياني ، ومن أولئك الأساقفة يوسف التغلبي الذي رسمه البطريرك يوليان الثالث (٦٨٨ — ٧٠٩ م)[٤] . ورسم البطريرك قرياقس التكريتي (٧٩٣ — ٨١٧) ثلاثة أساقفة لهؤلاء العرب ، أولهم الأسقف يوحنا للكوفة ، ثم الأسقف داود ، ورسمه في (دقلا)[٥] عاصمة التغالبة ، والأسقف عثمان العربي ، وهو الخامس والأربعون في عداد أساقفته[٦] ، ورسم البطريرك التلمحري (٨١٨ — ٨٤٥) خمسة أساقفة للعرب التغالبة هم : يوحنا من دير قرقفتا ، وتوما من دير بيرقوم ، وحبيب من دير كنوشيا ، ويوسف ويسمى (مرزوق) ، وجرجس ، وكذلك رسم لبقية العرب أساقفة آخرين

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٥٠٩ الطبعة الأولى وقصته السريانية المخطوطة .
(٢) قصته السريانية المخطوطة .
(٣) اللؤلؤ المنثور ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .
(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري ، ترجمة البطريرك يوليان الثالث .
(٥) دقلا كلمة سريانية معناها النخل .
(٦) ثبت البطاركة والأساقفة في تاريخ ميخائيل الكبير ص ٧٥٢ — ٧٦٩ .

أشهرهم يوحنا أسقف العرب الرحل ، ويوحنا أسقف تدمر ، وسبرو من دير أطو[1] . ورسم البطريرك يوحنا الخامس (٨٤٧ — ٨٩٤ م) سبعة أساقفة للعرب من بني معد والتغالبة والنجرانيين (هم بقايا مسيحيي نجران الذين شتتهم ذو نواس اليهودي في اضطهاده لهم سنة ٥١٩ — ٥٢٤ م) وهم : الأسقف يعقوب للتغالبة وأحودامه أسقف بني معد ، وطيبري لبني معد ، وشمعون لبني نجران وبني معد من دير كنوشيا ، وماركوس للتغالبة ، ويوحنا من دير مار زكى لبني معد ، ويوحنا للتغالبة الضاربين في بادية الموصل ، ومثلها فعل البطاركة أغناطيوس الثاني ، وتيودوسيوس ، وديونسيوس الثاني ، ويوحنا السادس ، وباسيل الثاني من سنة ٨٧٨ الى سنة ٩٣٥ م[2] ، فرسموا أساقفة كثيرين لهذه القبائل العربية المتحدة بالكنيسة السريانية في سورية والعراق .

وكان معظم هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع قبائلهم من دار الى دار ، يسكنون الخيام ، ويقيمون الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وقد حدثنا الفيلسوف يحيى بن جرير التكريتي منهم قال : « وقد كان في العرب نصارى كبني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ، ومعهم أسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم ، وينقل المذبح أعني الدفة المقدسة (الطبليث)[3] من موضع الى موضع ، الى سنة ثلاثمائة للعرب (٩١٢ م) ، فوصل الى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها ، وكان منهم رجل دين حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الأسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكان يقدس لهم على الإنجيل[4] » .

---

(١) الثبت نفسه ص ٧٥٤ — ٧٥٥ .

(٢) الثبت نفسه .

(٣) هي قطعة من الخشب تكرس ليوضع عليها القربان المقدس .

(٤) كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي الباب ٥٤ (مخطوط) .

نستنتج من هذا كله أن العربية والآرامية ، سارتا جنباً الى جنب في جميع العصور منذ عهد الوثنية الى قرون عديدة من عهد المسيحية ، حتى بعد انتشار الاسلام ، مما أثر في كلتيهما تأثيراً عظيماً وعلى الأخص العربية التي أفادت من اختها الآرامية فوائد عظمى . قال الأستاذ محمد عطية الأبراشي : « في الوقت الذي كان للغة الآرامية الغلبة والانتصار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً ، وكلما أمعنا في الفحص والاستقصاء اتضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التي تدلّ على درجة معينة من المدنية استعيرت من اللغة الآرامية ، ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال وأنهم قد تأثرو بها » [1] .

ونختم بحث العلاقات التأريخية بين اللغتين العربية والآرامية بقول الأستاذ الأبراشي أيضاً وهو : « إن اللغة العربية الفصحى . . . نشأت من الآرامية في الشمال والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الإسلام » [2] . ونضيف عليه قولنا : إن ذلك حديث بفعل الاتصال الدائم الذي رأيناه بين هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التأريخية الى العصور المتأخرة .

٥ ــ العلاقات الفنيــة في الأبجدية

ان العلاقات الفنية في نشوء الأبجدية بين اللغتين الآرامية والعربية هي من الأهمية بمكان عظيم ، بل هي الناحية الأعظم إشراقاً والأرفع شأناً في كيفية

---

(١) لغة العرب وكيف ننهض بها لمحمد عطية الابراشي طبع مصر سنة ١٩٤٧ ص ١١٤ – ١١٥ والآداب السامية له طبع سنة ١٩٤٦ ص ١٠٨ .

(٢) لغة العرب للأبراشي ص ١٢٢ .

تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في جميع عصورهما التاريخية ، وتآزرهما على الحياة والنمو والتكامل ، وانبثاق القوى الحيوية وانسكابها من إحداهما في الأخرى ، فما هو الحق التاريخي الذي تحوزه كل من الأبجديتين ؟ وما هو التسلسل الزمني والفني الذي سار فيه كل من القلمين ، كل ذلك سندرسه في سطورنا التالية :

يذهب علماء الساميات الى أن أقدم أبجدية سامية هي الأبجدية الكنعانية [١] ، وعنها نشأت بقية الأبجديات في عصور متفاوتة ، فصدرت الأبجديات الآرامية [٢] والعبرية [٣] ، وفي العصور القريبة من الإسلام انبثقت الأبجدية العربية منحدرةً من الأبجدية النبطية الآرامية [٤] ، ونحن لا يهمنا هذا التدرّج التاريخي في بحثنا هذا وإن كانت فيه هنات لا يصح التغاضي عنها ، إنما تهمنا العلاقة الوثقى بين الأبجديتين الآرامية والعربية ليكون بحثنا حائزاً على كل صفاته الموضوعية الكاملة .

من البديهي أن علماء الساميات أصدروا قرارهم السابق بشأن التدرج التاريخي في نشوء الأبجديات السامية استناداً على الكشوف الأثرية التي وجدت الى الآن ، ولكن الكل يعلم أن هذه الكشوف ما زالت قليلة جداً ـ رغم كثرتها ـ بالنسبة الى ما ستحدثه الكشوف الأثرية القادمة في المستقبل ، لذلك لا يسوغ الركون الى تقرير يستند على مصادر ناقصة ، قد تنقلب رأساً على عقب في لحظة واحدة ، اذا اكتُشف رقيم واحد يضاد معلوماتنا الحاضرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن تقريراً يستند على مصادر ما زالت آخذة في الازدياد والتكامل يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام لا يسوغ أن تُبنى عليه حقيقة علمية تاريخية

(١) ولفنسون ص ٥٢ .
(٢) فيه .
(٣) فيه ص ٥٣ .
(٤) فيه ص ٢٠١ احمد رضا ص ١٧ و ٣٨

هامة كأصالة الأبجديات وتقديم بعضها على البعض الآخر ، ولذلك نقول إن لدينا نصوصاً تاريخية هامة من القرن السابق للميلاد والقرنين اللذين يليانه تذهب الى أن الآراميين هم أول من اخترع الكتابة ، وبالتالي تجعل الأبجدية الآرامية أول أبجدية سامية ، وتدّعي أن الأبجدية الكنعانية هي الصورة الأولى البسيطة للأبجدية الآرامية ، ونورد هنا نصين من تلك النصوص بتحفظ غير جازمين الآن بصحتها المطلقة . قال ديودوروس الصقلي المؤرخ الشهير الذي عاش في القرن السابق للميلاد : « إن اختراع الكتابة يعود الفضل فيه الى الآراميين » . وقال اقليميس الإسكندري في القرن الثاني للميلاد : « ذهب كثيرون من القدماء الى أن الآراميين هم الذين اخترعوا الكتابة »[1] . وعلى هذا الأساس نقول إن لم تكن الأبجدية الآرامية أقدم أبجدية سامية فهي حتماً من أقدمها[2] .

أما العلاقة الفنية بين الأبجديتين الآرامية والعربية فتنحصر في أربع وجوه هامة هي:

١ — انحدار الأبجدية العربية من الأبجدية الآرامية .

اختلف المؤرخون العرب في المصدر الذي انحدرت منه الأبجدية العربية ، فذكر معظمهم أنها منحدرة من الخط المسند[3] . ولكننا لا نستطيع إقامة دليل ملموس على صحة هذا الرأي ، لأننا لا نحوز آثاراً خطية تؤيده ، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة رقم حجرية عثر عليها المستشرقون في فترات متفاوتة من الزمن ، وهي تحوي دلائل ملموسة تنير طريق البحث في هذا الموضوع ، وبعد دراسة هذه الرقم الحجرية الهامة قرّر علماء الساميات أن الأبجدية العربية اشتُقت من الأبجدية النبطية الآرامية[4] . ولا نعدم شهادة تاريخية عربية هامة تؤيد هذا

(١) اللمعة الشهية . ليوسف داود . ج ١ ص ١٠١ — ١٠٢ .
(٢) اللؤلؤ المنثور . لبطريرك افرام برصوم ص ٢٦ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ - مطبعة مصطفى محمد . صبح الاعشى ص ١٣ .
(٤) ولفنسون ص ٢٠١ واحمد رضا ص ١٧ و ٣٨ .

الرأي . قال البلاذري في فتوح البلدان : « اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقة وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدوة[1] فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل ، يأتي الحيرة ، فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبا »[2] .

واذا دققنا هذا النص التاريخي الهام نجد أنفسنا أمام شهادة صريحة تؤيد ما ذهب اليه علماء الساميات وهو أن (النفر) الذين (اجتمعوا) ببقة (وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية) . والأصح أن يقال أن هؤلاء الثلاثة (تعلموه) لا وضعوه .

أما الخط المسند فانه خط حمير[3] ، ومن المعروف أن الحميريين استبدلوا الخط المسند بالخط السرياني[4] . والمعروف أيضاً أن الخط المسند الحميري هو خط سبئ ، وقيل إن الخط المسند منقول من الخط الكنعاني مباشرة[5] ، إلا أن ثقات المستشرقين ينكرون ذلك ، ويؤيدون أن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرة عن الخط الآرامي اعتماداً على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته غير هؤلاء (النفر) ص ٤١٨ .
(٢) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧١ .
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٨
(٤) المكتبة الشرقية السمالي الجزء ٣ ص ٦٠٣ .
(٥) ولفنسون ص ١٧١ .

العربية من القربى والجوار [١] ، وهذا الرأي نرجحه ، لأن القبائل العربية لم تلتق مطلقاً بالمدنية الكنعانية ، بل امتزجت بالمدنية الآرامية كما رأينا في أوائل بحثنا هذا .

أما صدور الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية فنرى أنه تمّ على مراحل وفي فترة تقارب القرنين من الزمن ، وقد ظهرت رقم أثرية هامة أنارت الطريق أمام الباحث في هذا الموضوع .

إن هذه الرقم الأثرية توضح لنا كيف تولدت الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية ، ويتم لنا ذلك اذا قابلنا بين القلم النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، وأشهر الرقم التي يجب دراستها في هذا المضمار هي خمسة نقلها المستشرقون نيبيه آبوت [٢] وسفجت ووايت [٣] ، وقد حظينا بدراسة وافية لبعضها قام بها سفجت ووايت وهو ما يساعدنا على الافادة منها في موضوعنا ، ونقلها أيضاً وعلق عليها الأستاذ اسرائيل ولفنسون [٤] كما نقلها الأستاذ ناصر النقشبندي في مقاله (منشأ الخط العربي) [٥] .

أما كيفية المقابلة بين هذه النصوص الأثرية فتتم بملاحظة القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ؛ ويمكن وضع هذين الرقيمين (النبطي المتأخر والعربي القديم) أنموذجاً للملاحظة والمقابلة والاستنتاج ، أما النبطي المتأخر فانه رقيم أم الجمال الأول الذي عثر عليه في أم الجمال الواقعة في جنوب حوران في شرق الأردن ، وهو يعود الى قبر فهر بن جذيمة ملك تنوخ [٦] ، وتاريخه نحو سنة ٢٥٠ م ،

(١) ولفنسون ص ١٧١ .
(٢) نيبيه آبوت لوح ١ ص ٥ .
(٣) سفجت ووايت ص ١ — ٥ .
(٤) ولفنسون ص ١١٠ و ١٩١ ، ٩٢ .
(٥) مجلة سومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ١٣٠ — ١٣٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٧
(٦) دوسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه بحسب نظم اللغة السريانية الحاضرة .

وأما العربي القديم فانه رقيم النمارة الذي عُثر عليه في موقع النمارة بجبل الدروز وتاريخه نحو سنة ٣٢٨ م ، وهو يعود لقبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب في الحيرة [١] ، وملاحظة هذين الرقيمين تعطينا فكرة كاملة في تولد الخط العربي ، فان معظم الحروف متشابهة تقريباً ، وهذا التشابه يظهر في شكل الحروف ، ومن المعروف أن الخط النبطي القديم كانت حروفه منفصلة بعضها عن بعض على ما نراه في رقيمي (مرانا ملك النبط) [٢] و (مجرفس الملك) [٣] . أما هـذا الرقيم وما اليه [٤] فنجد فيه كثيراً من الحروف متصلة بعضها ببعض ، وهو ما يوضح كيفية تطور هذا القلم حتى تولّد منه القلم العربي ، ويظهر لنا هذا التطور اذا وضعنا ازاءه رقيم النمارة الذي يُعد أقدم نص عربي ، فحروفه في معظم الأحوال متصلة على غرار الرقم النبطية المتأخرة ، وهي تتشابه تشابهاً عظيماً .

ولننتقل الى دراسة رقيمين آخرين هما رقيم زبد الذي وجد في خربة كنيسة بين قنسرين والفرات بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية ، ويعود تاريخه الى سنة ٥١٢ م ورقيم حران الذي وجد في المنطقة الشمالية من جبل الدروز مكتوباً باليونانية والعربية على حجر فوق كنيسة قديمة ، ويعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ م ، ويعتبر أول نص عربي كامل في جميع كلماته وأسلوبه ، ففي دراسة هذين الرقيمين نجد تطوراً عظيماً في أسلوب الخط العربي وسيره أشواطاً هامة في الاستقلال عن مصدره الخط النبطي ، فالحروف في جميع الكلمات متصلة تماماً ، وقد اتخذت اتجاهاً مستقلاً خاصاً ، ولم يبق فيها من الشكل النبطي إلا الشيء القليل ، تجده في بعض الحروف فقط وهو الدلالة الباقية على مصدره الأصلي النبطي .

---

(١) دوّنّا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه وعلّقنا عليه سابقاً .

(٢) وليفنسون ص ١٤٣ .

(٣) وليفنسون ص ١٤٤ .

(٤) وليفنسون ص ١٤١ و ١٤٢ .

واذا تقدمنا في الزمن فاستعرضنا رقيم أم الجمال الثاني ، الذي يعد أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ، ويعود تاريخه الى منصرم القرن السادس الميلادي ، نجد أمامنا كتابة عربية مستقلة تمام الاستقلال ، مع الاحتفاظ بأشباح باهتة من الشكل النبطي ، وهذا آخر تطور للخط العربي بعد اتخاذه صبغته الخاصة ·

وأقدم صورة للخط العربي المستقل هو الخط الكوفي الذي كان يسمى أيضاً بخط الجزم [1] ، واذا تأملنا هذا الخط نجد فيه الأشباح النبطية لم تزل ماثلة ، ثم انتقل هذا الخط من الحيرة الى مكة ، وقيل وصل من اليمن الى الحيرة والأنبار بوساطة كنده والنبط [2] · وهكذا لم يزل الخط العربي يتطور وينحو جانب السهولة والتبسيط حتى وصل الى حالته الحاضرة ، كما أن الخط الآرامي أيضاً تطور تطوراً محسوساً فاشتقت منه عدة أقلام وأشكال مختلفة ذكر بعضها ابن النديم في فهرسته [3] ·

وأجلّ أقلام الخط الآرامي المتأخر الاسطرنجيلي ، ويقال له الخط الرهاوي أو الثقيل ، وقد استنبطه بولس بن عرقا أو عنقا الرهاوي في مطلع القرن الثالث ، وقد تأثر به الخط الكوفي تأثراً عظيماً ، بل قيل إن أصل الخط العربي الكوفي هو الخط الاسطرنجيلي نفسه [4] · إلا أننا نعتقد أن الخط الاسطرنجيلي هذا انتقل في القرن الثالث الى اليمن فاحتلّ كتابات آل نجران [5] ثم وصل الى الحيرة القريبة من الكوفة ، والأظهر أن الخط الكوفي بعد أن

(١) صبح الاعشى جزء ٣ ص ١٤ واحمد رضا ص ١٣ و ٤٣ و ٦٥ ·
(٢) اسرائيل ولفنسون ص ١٩٨ واحمد رضا ص ٣٩ و ٥٧ ·
(٣) الفهرست ص ١٨ ·
(٤) اللؤلؤ المنثور ص ٣٦ الطبعة الاولى · حمص سنة ١٩٤٣ ·
(٥) المكتبة الشرقية لسمعاني ص ٦٠٣ الجزء ٣ ·

أخذ عناصر من الخط النبطي تأثر بالخط الاسطرنجيلي وأخذ أشكاله عنه ، وذلك عن طريق نجران والحيرة . وقد علمنا أن اليمن والحيرة كانتا مركزين للكتابة والثقافة (١) وتأثر الخط العربي بهذا الخط الآرامي معقول جداً ، بل إنه صواب ، لأن اشكال الخطين المتقاربة تؤيد ذلك ، وقد دام استعمال الخط الاسطرنجيلي عند السريان الى المئة الرابعة عشرة ، على أنه نشأ من خط سرياني آخر في القرن التاسع ، وهو الخط السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ الآن بالخط الاسطرنجيلي كاملاً لتزيين رؤوس الفصول (٢) في الكتب الخطية الهامة ، كما نشأ عن الخط الاسطرنجيلي أيضاً ما يسمى بالخط السرياني الشرقي ، ونشأت أشكال أخرى للخط السرياني ما زالت ماثلة في المخطوطات الكثيرة النفيسة التي تملأ خزائن الشرق والغرب .

ولو عدنا مرة أخرى نستعرض هذه النصوص الأثرية الخمسة ، لرأينا أعظم نصر يحققه التعاون الوثيق بين الآرامية والعربية ، فالنص الأول (رقيم أم الجمال الأول) هو آرامي الأبجدية واللغة ، شأنُ عدد كثير من الرقم الأثرية المكتشفة في مواطن الآراميين الأول . ولكنه ينقل الينا حادثة عربية صرفة . أو بالحري إنه يُعنى بتخليد علم عربي خالص ، والنص الثاني (رقيم النمارة) نجد فيه لوناً جديداً من ألوان الحياة ، فانه آرامي عربي بلغته وأبجديته ، أي ان اللغة التي كُتب فيها وردت فيها مفردات آرامية الى جانب المفردات العربية ، وأبجديته ما زالت محافظة على لونها الآرامي ، إنما ظهرت فيها بوادر أبجدية فنية جديدة هي طلائع الأبجدية العربية ، والنص الثالث (رقيم زبد) يشبه النص الذي سبقه بامتزاج اللغتين الآرامية والعربية مادةً وحرفاً ، إلا أننا نلاحظ زيادة في جنوح الناحية العربية الى التبلور والاستقلال ، أما النص

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧٧ وصبح الاعشى جزء ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤

(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ و ٢٧ .

الرابع (رقيم حران) فقد زالت منه المفردات الآرامية ، وبقيت فيه صيغتها الحرفية ماثلةً ، ومثله النص الخامس (رقيم أم الجمال الثاني) نجد فيه تحرر العربية من الآرامية مادةً وحرفاً ، ما خلا ما بقي من الدلائل الشكلية التي تعيد الى أذهاننا صور الأبجدية الآرامية بشكل ضئيل ، وهذا لعمري أعظم دليل على سير اللغتين الشقيقتين في طريق النمو والاكتمال .

وعند انتشار اللغة العربية في مواطن الآراميين في سورية والعراق ، على أثر الفتوحات العربية ، نشأت طريقة جديدة عند الآراميين المسيحيين ، وهم السريان ، لكتابة العربية ، وهي التي تسمى (الكَرشوني ، أو الجَرشوني بالجيم المصرية) وهي أن تكتب اللغة العربية بالحروف السريانية ، وذلك منذ منتصف القرن السابع الميلادي . وكأني بالسريان أرادوا بهذه الطريقة إعادة مجد أبجديتهم التي كُتبت بها اللغة العربية في عهد كتابتها الأولى . وهذه الطريقة ما زالت مستعملة عند عموم طوائف السريان الى يومنا هذا ، فتجد جميع طقوسهم وكتبهم المقدسة الكنسية المترجمة الى العربية تُكتب بالأبجدية السريانية . ولدينا نسخ كثيرة من هذا النوع قديمة وحديثة في جميع كنائسنا السريانية .

أما لماذا سميت هذه الطريقة من الكتابة بـ (الكرشوني) فلم يتصل بنا تعليلها من السلف ، مع أنها قديمة جداً كما علمنا الآن ، والأظهر أنها اتخذت اسمها (الكرشوني) من (قريش) . ونحن نعلم أن القرشيين في مستهل القرن السابع كانوا يؤمون أمصار الشام وغيرها لغايات تجارية ، ومن المعلوم أن التجار يحتاجون الى سجلات ودفاتر حسابية وغيرها في عملهم التجاري ، ولما كانت الأبجدية العربية في مستهل القرن السابع غير شهيرة على الأقل ، يكون من المؤكد أن تجار قريش كانوا يكتبون سجلاتهم بالحرف الآرامي واللغة العربية ، وربما شاعت هذه الطريقة في ربوع الشام قبل غيرها ، ولما كان القرشيون هم الذين روّجوها واستعملوها أكثر من غيرهم نسبت اليهم . ولكن كلمة

(كرشوني) لا تحمل طابعاً عربياً في صيغة النسبة بل تحمل طابعاً سريانياً آرامياً صرفاً ، لأن صيغة النسبة باللغة السريانيــة كثيراً ما تكون بالنون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق ، وهكذا وضعت في هذه اللفظــة النون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق الملغاة ، فتكون لفظة (كرشوني) والحالة هذه منسوبة الى قريش العربية ، وبذلك عادت الأبجدية الآراميــة السريانية الى معانقة صديقتها القديمة اللغة العربية ، ولما كان حرف (القاف) يُقلب في اللهجات العربية المحكية الى (ج) كالجيم المصرية (مثل القاف في : قلب ، قبر ، قصر ، ويقال فيها : كلب ، كبر ، كصر) ، قيل في نسبة هذه اللفظة (كرشوني ـ لا قرشوني) كما كان يجب أن يقال فيها وهذا أوجه تعليل نراه الآن .

ولما كان في الأبجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً فقط ، وهذه ليست كافية لكتابة اللغة العربية التي تحتاج الى ثمانية وعشرين حرفاً ، عمد السريان الى الطريقة التي اعتمدها العرب أولاً عندما اعتمدوا الأبجدية السريانية الآرامية للغتهم ، فصوروا كل حرفين متجانسين شكلاً بحرف واحــد ، فصوّروا التاء والثاء بحرف (التاو) ، والدال والذال بحرف (الدولث) ، والصاد والضاد بحرف (الصودى) ، والطاء والظاء بحرف (الطيث) ، والجيم والغين بحرف (الجومل ـ بالجيم المصرية) ، والكاف والخاء بحرف (الكوف) . وميّزوا بين هذه الحروف بطريقة الترقيق والتفشية السريانية المعروفة عندهم ، فوضعوا نقطة حمراء فوق الحرف القاسي كالدال ، ونقطة حمراء تحت الحرف اللين كالذال) وهكذا أعادوا الحروف الآرامية السريانية الى سابق عهدها مع اللغة العربية .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

بطولات العرب[1]

يا دامي الجرح، لا جرح ولا ألم ... الجرح بعد انتفاض العرب ملتئم
امسح دموعك إن ماجت مواثجها ... فكل ثغر على الأيام مبتسم
أسا مجع وبطاح الأرض في لجب ... كأنما الأرض والأفلاك تصطدم
أتحسب الشمس من أبراجها هبطت ... فجنَّت الشمس والأبراج والنجم
ما صيحة في سواد الليل راعبة ... كأنما الليل من أصدائها وَجم
الله أكبر هذا الصوت من مضر ... دوّى فزلزلت الأطواد والأَجم
في كل غاب ضجيج من مواكبهم ... وكل طود على هاماته شمم
كأنهم والأعادي نصب أعينهم ... سيل يفيض على أعدائهم عرم
هل العيون خلال الليل في يقظ ... أم العيون على أجفانهـــا حلم
كلا وربك ما في العين من حلم ... وانما العرب ثارت فيهم الهمم



(١) القصيدة التي ألقاها الأستاذ شفيق جبري عضو المجمع العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مهرجان الشعر في دمشق في ١٦ مايس ١٩٥٩ .

شتان ما حاضر تزهى بغرّته وغابر فاض فيه الدمع والألم
أتت ليال وعين العرب ساهية كأنهم في ذرا ذؤبانهم غنم
على بصائرهم إن أرشدوا حجب وفي مسامعهم إن خوطبوا صمم
تكاد تحسبهم في دارهم رمماً وهل تثور على أكفانها الرمم
تبجبح العجم في أوطانهم زمناً لله ما اعتسفوا فيه وما اجترموا
فما اللسان لسان العرب إن نطقوا ولا الثغور ثغور العرب إن بسموا
أيصبح العرب في أوطانهم هملاً ويزحم البوم هذا الأفق والرخم

٭ ٭ ٭

هوّن عليك ، فللايام دولتها فما تدوم على حالاتها الازم
أما ترى العرب من إغفائهم نهضوا من كل فجّ لهم زحف ومقتحم
كأنما بعثوا التاريخ من أمم فاليوم مجدهم من عيننا أمم
كانوا العماليق والدنيا تساندهم هيهات ما يستوي العملاق والقزم
هذا ابن حمدان والآثار ناطقة فما يعفّي على آثاره القدم
حمي الديار ديار العرب فانطلقت له الأناشيد والأوتار والنغم
سيوفه من دماء الروم قد رويت وكاد يشرق منها السيف والقلم
ملّ البطاريق من غاراته وبدا على البطاريق من أهوالها السأم
اضرب بعينك في آيات شاعره تظل تنطق في آياته الكلم
تكاد تسمع صوت الروم إن صرخوا وتلمس الخوف إن خافوا وإن وجموا

إمّا قتيل تواري الأرض أضلعه ... أو سالم من سيوف العرب منهزم
لو كان يعبد دون الله من صنم ... ما كان لي غير سيف الدولة الصنم
لولا جهاد بني حمدان في حلب ... ما كان للعرب تاريخ ولا علم

* * *

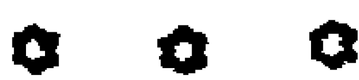
تلك البطولات كالأهرام راسخة ... فاين ماطمسوا منها وما هدموا
انهض ورتّل صلاح الدين آيتها ... الأذن مصغية والعين تلتهم
جاءوا إليك بجيش يعصمون به ... قبر المسيح فما صانوا ولا عصموا
لو كان همهم قبر المسيح لما ... تهودت منهم ذرية ظلموا
أيمنحون بني صهيون تربته ... ويزعمون التقى، هيهات ما زعموا
الحقد يأكل أكلاً من جوانبهم ... والحقد نار على الأكباد تضطرم
عيسى بن مريم في الإسلام حرمته ... في كل قلب له من أهله حرم
ما في شريعته إلا السلام فهل ... صمّوا عن الشرع إنكاراً له وعموا
أين السلام وقد هدّوا قواعده ... وانما السلم في أفيائنا عَدم
محوتهم وبطون الأرض تكتمهم ... في كل رابية عظم لهم ودم
حطين قد غذيت منهم منابتها ... فاخضوضر الشيح والقيصوم والسلم
أين الحصون وأين النازلون بها ... لم يفتهم عن جماح العرب معتصم
ودّ العباب الذي خاضوا غواربه ... لو كاد يبلعهم من بعد أن هزموا
ليغسل العار عن شنعاء هزمتهم ... وكيف يغسل هذا العار بعدهم

* * *

يا أمة من تراث الدهر خالدة مضت ولم تستبح آثارك الأمم
ظنوا اجتياحك مأموناً عواقبه وما دروا أنهم في ظنهم وهموا
كم غارة لهم في الشام عاصفة فلم يصبك على غاراتهم هرم
في كل غور من الأغوار معترك وكل نجد من الأنجاد مصطدم
مضوا وخلوا هشيماً من شبابهم نما به العود والغيطان والأكم
حلوا بأرضك حيناً ثم ما لبثوا أن غادروا الأرض لم تثبت لهم قدم



لمّا رأوك وقد أعيت جحافلهم ولّوا وقد أورثوا الغيظ الذي كظموا
كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا أن يبعثوا الحقد نيراناً وينتقموا
فأقحموا في ديار العرب شرذمة من آل صهيون لا عهد ولا ذمم
هذي حضارتهم والشرّ يملؤها ماتت على ضرحها الأخلاق والشيم
يشردون شيوخاً من ديارهم كأنهم في صحارى تيههم بهم
قوم يموتون من بؤس يشتتهم وآخرون على أطلالهم نعم
خير من العلم جهل تستقرّ به حرية الخلق والأنفاس والنسم
هل يبعث الله نوحاً في سفينته حتى يعم الورى الطوفان والديم
كأنما الروض من آثامهم يبست فما ينضرها ورد ولا عنم



مهلاً فلا تيأسن اليوم ان عبست ... لك الليالي وإن ماجت بك الظلم
ما ضرّ موكبك الجرار إن طرحوا ... صخراً على دربه فالصخر ينحطم
فما يعوق ضياء الشمس إن سطعت ... غيم على جنبات الشمس يزدحم
تمضي الليالي واسرائيل جاثمة ... على فلسطين لا عاشوا ولا جثموا
ذل ومسكنة في كل أعصرهم ... هذا اللباس وهذا الجلد والأدم
أضحوا جراثيم في الأوطان ناخرة ... يشتد منها على أوطاننا السقم
تلك الثعابين إن سالت مزاحفها ... سال الذعاف على الأنياب والنهم
فهل تظل سفوح القدس ضائعة ... فأين ما سلبوا منها وما غنموا
إذا ضحكنا فما في جدهم ضحك ... وإن 'عبثنا بهم فالعابثون هم

* * *

ألهى بني يعرب عن نصر إخوتهم ... شمل على غمرة الأحداث منفصم
على الفراتين من آثاره ثلم ... فسل عبابهما هل سدّت الثلم
كأن دجلة قد ثارت أباطحه ... أما ترى هذه الأمواج تلتطم
تخاله معرباً عن نار غضبته ... وللخضمّ لسان معرب وفم
بيني وبينك يا بغداد واشجة ... من الأواصر ما تنفك تلتحم
أتصرمين حبالاً حاكها نسب ... من العروبة يا ويح الذي صرموا
ماذا تقولين للمنصور إن لمحت ... عيناه في حلمه الملك الذي قسموا
كانت قصور بني العباس آمنة ... واليوم ألوت بها الأحقاد والنقم
دم يسيل على أطرافها دفعاً ... وأربع ملء عين الناس تنهدم

فما تنام عيون تحتهـــا وَسَن ولا تبين شفاه فوقهـــا لجم
في الليل إن جنحت ظلماؤه ظِلَن وفي الصبـــاح على إشراقه تهم
كأنما الثورة الحمراء ديدنهـــا ملك على ظله الأَرواح تختزم
فهـــل يثوب رجال بعدما جهلوا أم هل يثوب رجال بعد ما علموا
متى أرى حمرة الرايات صائرة الى البياض عليها السلم منتظم

٭ ٭ ٭

سيندم العرب إن طال الشقاق بهم وليس ينفع عضّ الكف والندم
لم نبن ملكاً ولم نلهج بثورتـــه ليهدم العرب ما نبني ويختصموا
إن الدماء التي روّت جوانبـــه يكاد منها يشيب الرأس واللمم
أيذهب اليوم ما ضحوا به هدراً أما لنا من هدى ايماننـا حكم
أخبثٌ بها نزوة أملى وساوسها إبليس حتى يرى منا الذي يصم

٭ ٭ ٭

هذا فؤادي وقد هاجت هوائجه فكان مثل لهيب النار يحتدم
ليست قوافي ما غنيتُ سامعهـــا وانما عبرات القلب تنسجم
فهل أرى العرب أغصاناً يلفّهم على الديار بيان العرب والرحم
حتى يعيدوا ضحى التاريخ خافقةً أعلامه فيرف العز والكـــرم

شفيق جبري

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

(٢)

مؤلّفات الزجّاجي :

ورد في إنباه الرواة ، وبغية الوعاة ، وكشف الظنون ، وكتاب بروكلمن كثير من أسماء الكتب التي ألّفها أبو القاسم الزجاجي في شتى علوم اللغة . ولكن لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا القليل ، ولم يُطبع مما وصل منها إلينا إلا كتابان ، وما زال سائرها ينتظر الجهد والعزيمة لينفض عنه الغبار ، ويأخذ مكانه في المكتبات .

وسنتحدث فيما يلي عن هذه الآثار وما يتصف به كل منها ، بادئين بما طبع منها ، ومعقّبين بعد ذلك بالمخطوطات من موجودة ومفقودة .

١ — كتاب « الجُمَل » : وهو أهمّ كتب الزجاجي ، وموضوعه النحو ، تحدثوا عنه أكثر مما تحدثوا عن صاحبه ، وذكروا أنه صنّفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب منه طاف به سبع مرّات داعياً أن يغفر الله له وأن ينفع بكتابه قارئه [1] . وكان عدد الذين انتفعوا به وافراً لا يُحصى ، وكلهم وصفه بالبركة حتى عمّ نفعه بلاد الإسلام [2] .

---

(١) إنباه الرواة ٢ : ١٦١ ، وكشف الظنون ١ : ٦٠٣ ، وبغية الوعاة ٢٩٧

(٢) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

ويبدو أنه كانت لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة في عصره ، حتى انشغل به الناس وجعلوا حفظه همهم . قال القفطي ـ وهو أحد شراح الجمل ـ : «أكثر الناس من استعمال «الجمل» ودراسته ، وألزموا أنفسهم حفظه ودرايته ، . . . وإنه تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار»(١) . و «الجمل» هو الكتاب النحوي الذي عول عليه الدارسون حتى جاء الفارسي وابن جني فشغلاهم بكتبهما . قال القفطي : «وهو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بـ «اللمع» لابن جني ، و «الإيضاح» لأبي علي الفارسي»(٢) .

وقيمة الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب مرآة الجنان : «أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتابه ـ أي للجمل ـ مائة وعشرين شرحاً»(٣) . وكذلك نقل ابن العماد في شذرات الذهب(٤) . وقد طوت الأيام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبلغنا إلا أقلها .

أما كتاب «الجمل» نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعل أحد المتقدمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس الى كتب النحويين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب . فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقلّ أن نجد بين كتب النحو القديمة مثل كتاب الجمل وضوحاً وبياناً . وليس عيباً أن يخرج الزجاجي عما وضعه سيبويه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ،

---

(١) مقدمة وشي الحلل .
(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٦١
(٣) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢
(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

والخلل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات «الكتاب» لا يفهمه إلا فقهاء العلم والراسخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلئن كان كتاب سيبويه وأمثاله يصلح للشيوخ الذين تعمّقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأسراره ، فإن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتطلعين الى تعلمه ، وذلك لأنه : «كانت طريقته في النحو متوسطة ، وتصانيفه يقصد بها الإفادة»[1] . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتآليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السِّيْد البطَلْيوسي : «وإنه ـ أي الزجاجي ـ من أئمة هذه الصناعة ، فإنا بكتابه قد افتتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رشّح بصائرنا لما مُنحناه من الفهم . »[2] .

ويجدر بنا ـ ونحن بصدد الحديث عن صعوبة النحو ، وضرورة تيسيره ـ أن نعود إلى مثل كتاب الجمل ، لنرى النحو فيه واضح العبارة ، قريب المتناول ، سخيًّا بالأمثلة ، بعيداً عن التعقيد . وتظهر رغبة الزجاجي في توضيح النحو وتقريبه حين يهجر بعض المصطلحات أو يفسرها ليكون كلامه أقرب الى الفهم ، ويصرّح بذلك فيقول : «وليس هذا من ألفاظ البصريين ، ولكنه تقريب على المبتدئ»[3] . وكذلك ينقل أفكار الكوفيين بغير عباراتهم ، لأن ألفاظهم لا يفهمها إلا من تعوّد النظر في كتبهم»[4] . بل هو يشرح كتاب «الزاهر» ويختصره «لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة . . .»[5] .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٦٠
(٢) اصلاح الخلل : الورقة ١
(٣) الجمل : ٩٠
(٤) الايضاح
(٥) مختصر الزاهر : الورقة ١

والزجاجي ـ على عادة القدماء ـ يُلحق بالنحو في كتاب الجمل بعض ما يتصل بالإملاء كبابي الهجاء ، وهما بحثان مفصّلان في رسم الحروف ، وباب أحكام الهمزة في الخط ، وهو بحث في قواعد الهمزة الإملائية وما دار حولها من خلاف بين البصريين والكوفيين ، الذين امتدّ اختلافهم في النحو حتى شمل قواعد الخط فكان لكل منهم رأي فيه ! وتعرّض في كتابه أيضاً للضرورات الشعرية مخصّصاً باباً عنوانه «ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر» ، ولكنه كان بحثاً موجزاً خالياً من الشواهد والأمثلة على خلاف العادة . وضمّن الكتاب أيضاً بعض البحوث الصوتية كباب الإمالة وباب الإدغام وما يتصل بخصائص الحروف من مهموسة ومجهورة .

ومن كتاب الجمل نسخ خطية كثيرة منتشرة في أكثر مكاتب أوربا[1] . ومن نافلة القول أن نتحدث عن نسخه الخطية بعد أن طُبع[2] . وكان طبعه سنة ١٩٢٦ بنفقة كلية الآداب في الجزائر وبتحقيق الأستاذ الشيخ ابن أبي شنب . وجاء في هذه النسخة المطبوعة أن المستشرق الألماني «يوحنس ڤولف» طبع في ليبسغ سنة ١٩٠٤ مقالة لخص فيها كتاب الجمل ، وترجم إلى اللغة الألمانية الأربعة والستين شاهداً الأولى[3] .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٨٣

(٢) من الواجب ان أشير هنا الى وجود نسخة غير معروفة من كتاب الجمل ، فلعلّه ينتفع بها أحد المشتغلين بالعربية أو الطامحين إلى اعادة طبع «الجمل» بعد ان فقدت نسخه حتى من أشهر المكتبات العامّة وهذه النسخة في دار الكتب بالقاهرة مجلّدة مع مخطوطات أخرى ، ورقمها / ٤٨٦ مجاميع / وهي لا تحمل اسم الجمل ، ولكنها تحمل اسم الزجاجي ، وقد تبيّن لي لدى قراءتها ومعارضتها بالنسخة المعروفة للجمل ذات الرقم / ٦٧ ش / أنها نسخة أخرى كاملة من الكتاب نفسه . وقد كتبت في حلب سنة ٨٩٥ هـ . وهي تبدأ من الورقة ٩٦ وتنتهي في الورقة ١٧٠ .

(٣) الجمل : ٣٨٣

وأما الكتب التي أُلفت حول الجمل فكثيرة جداً ، منها الشروح ، ومنها شروح الشواهد ، ومنها في التعقيب عليه أو التعليق . . وقد رأينا أن شروحه بلغت في المغرب وحده مئة وعشرين شرحاً . ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن الجمل نسختان : كبرى وصغرى ، وأن أكثر هذه الشروح كانت للكبرى . ومن شروح الصغرى شرح ابن بابشاذ الذي شرح الجمل وألف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى [١] . على أن هذه الشروح جميعاً لم يُطبع منها شيء ، فيما أعلم ، وقد ضاع أكثرها ، ولم أستطع أن أعرف منها أكثر من ثمانية وثلاثين كتاباً أقتصر على ذكر أهمها فيما يلي :

أ — شرح الجمل لأبي القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف والمتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ [٢] .

ب — عَونُ الجُمَل ، وهو شرح لشواهد الجمل ألّفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم . وهو آخر كتاب أملاه أبو العلاء [٣] . وللمعرّي كتابان آخران يتصلان بجمل الزجاجي ، كما ذكر ياقوت [٤] ، وهما « تعليق الجليس » [٥] و « إسعاف الصديق » .

ج — شرح أبيات الجمل لابن سيده ، علي بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ [٦] .

د — شرح الجمل لأبي الحجاج ، يوسف بن سليمان ، المعروف بالأعلم الشنتمري ، المتوفى سنة ٤٧٦ . وله أيضاً شرح أبيات الجمل .

---

(١) مقدمة الجمل .

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة . رقمها / ٤٦٤ نحو / وعدد أوراقها ١٠٥ ورقة .

(٣) معجم الأدباء ٣ : ١٦٠

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٥٧ و ١٥٨

(٥) جاء في إنباه الرواة أنه « تعليق الخلس » ١ : ٦٤

(٦) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . رقمها ١٤٩٣

هـ — إصلاح الخلل الواقع في الجمل[1] ، لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ . قال عنه صاحب كشف الظنون « إنه أحسن شروح الجمل » [2] .

و — الحلل في شرح أبيات الجمل[3] ، للبطليوسي أيضاً ، وهو يشرح فيه معاني الأبيات ويعزوها الى قائليها . وجدير بي أن أنبه على سهو القفطي حين عدَّ الكتابين السابقين كتاباً واحداً [4] .

ز — شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد ، المعروف بابن خروف الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ [5] .

ح — شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن عصفور الاشبيلي ، المتوفى سنة ٦٦٩ [6] .

ط — شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الاشبيلي ، المعروف بابن الضائع ، المتوفى سنة ٦٨٠ [7] . وذكر السيوطي أن

---

(١) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها ١١١٠ نحو . وعدد أوراقها ٧٦ ورقة مكتوبة بخط مغربي . وذكر محقق الجمل أن منه نسخة أخرى في مكتبة ليدن

(٢) كشف الظنون ١ : ٦٠٣

(٣) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، مجلدة مع كتاب البطليوسي السابق / رقم ١١١٠ نحو / تبتدىء من الورقة ٧٧ وتنتهي في الورقة ١٥٠ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقمها ١٤٩٤ . وقال ناشر الجمل ان منه نسخة في مكتبة برلين .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٦٠

(٥) ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر ٢ : ٣٠ . وأشار إليه بروكلمن . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٦) نقل السيوطي كثيراً منه في الاشباه والنظائر ١ : ٣٠ و ١٠٧ و ١٤٣ و ١٤٩ و ٢١٤ و ٢٩٨ و ٣٣٨ . ج ٢ : ٧٤ و ٨٠ و ٩٨ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقمها ١٤٩٢ . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في ليدن وأخرى في الامبروزيانه .

(٧) قيل إنه في ثلاثة اجزاء . ورأيت منه جزأين في دار الكتب بالقاهرة . كتبا سنة ٧٣٠ الأول في ٩٨ ورقة والثاني في ٩٧ ورقة .

أبا الحسن هذا ردّ اعتراضات البطليوسي على الزجاجي .

ي- شرح الجمل لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوي ، المتوفى سنة ٧٦٢ .

وقد نقل السيوطي كثيراً من جمل الزجاجي ، وأقوال شارحيه في كتبه ولا سيما الأشباه والنظائر والاقتراح .

٢ — كتاب الأمالي :

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وحققه الأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، إلا أنه لم يكلف نفسه عناء التعريف بالكتاب أو بصاحبه ، بل اكتفى بأن ذكر موجزاً لما قاله ابن خلكان عن الزجاجي .

وقد جاء ذكر الأمالي في كل الكتب التي تحدثت عن الزجاجي أو آثاره ، كما جاءت نقول عنه في الأشباه والنظائر (١) وفي خزانة الأدب (٢) . إلا أننا بمراجعة هذه النقول ومعارضتها بالنسخة المطبوعة نتبين أن للأمالي أكثر من نسخة واحدة ، فقد نقل البغدادي في خزانة الأدب عما أسماه بالأمالي الوسطى ، ونحن لا نجد ما نقله في «الأمالي» التي بين أيدينا . وكذلك نقل السيوطي في الأشباه والنظائر كثيراً من أخبار الأمالي مما لا نجد في النسخة المطبوعة إلا بعضه فقط ، كمناظرة أبي حاتم السجستاني والتوّزي (٣) ، ومناظرة ابن الأعرابي والأصمعي (٤) . وقد يكون السبب في ذلك ، أن السيوطي كان ينقل عن نسخ الأمالي المختلفة دون أن يشير الى ذلك . فما كان منقولاً عن الأمالي الصغرى وجدناه في هذه المطبوعة وما كان عن غيرها لم نجده فيها . وهكذا

(١) خطبة الكتاب . و ج ٢ : ٢ و ج ٣ : ٢٢ و ٢٣

(٢) ج ٢ : ١٠٩

(٣) الأمالي : ٧٦ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢

(٤) الأمالي : ٣٩ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣

فما دمنا لم نجد في نسختنا ما نقله البغدادي عن الوسطى ، ولا كثيراً مما نقله السيوطي ، فالأرجح أن تكون النسخة الموجودة هي الأمالي الصغرى . وقد أشار بروكلمن الى وجود الوسطى والصغرى ، ولم أعثر على غير النسخة المطبوعة التي رجّحت أنها الصغرى ، فلذلك سأقصر حديثي عليها وحدها .

كتاب الأمالي عبارة عن مجموعة أخبار وقصص متتالية متنوّعة ، لا نظام لها ، ولا رابطة بينها . ينتقل القارئ فيها من تفسير آية من سورة الكهف مثلاً ، وما قيل فيها من أقوال ، إلى خبر وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعامله رَوْح ابن زنباع (١) ؛ ومن شعر لابن أبي ربيعة وجميل بثينة الى رثاء قيل في أحمد ابن أبي دُؤاد (٢) .

ولست أدري ، لعلّ ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يُملي دروسه على طلاّبه ، فإذا ما انتهى الخبر انتهى معه الدرس ، ثم يأتي الدرس الجديد فيأتي معه الخبر الجديد على نحو ما كان يدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .

على أن هذا التباين في الأخبار لا يعني أن الكتاب أشتات جُمعت ، فقد تكون الناحية اللغوية هي التي تَنظم كل ما ورد في الكتاب من أخبار وحكايات وأشعار . وعناية الزجاجي باللغة تظهر في هذه الأمالي أكثر من أي ناحية أخرى ، حتى كأنها هي وحدها الغرض من إملائه ؛ إنه يورد الخبر أحياناً ولا شيء فيه غير اللغة . قال : « أخبرنا أبو عبد الله نفطويه ، عن أحمد بن يحيى ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصبر مصدر صبرت . والصَّبْر لغة في الصَّبِر هذا المرّ . والصبر الحبس ، يقال صبرت فلاناً على كذا وكذا أي حبسته عليه . وفي الحديث أن رجلاً أمسك رجلاً فقتله آخر ، فقال : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسوه . والصبر الاجتراء على الشيء ، ومنه قول الله عزّ وجل :

(١) الأمالي : ٦

(٢) الأمالي : ٥٥ و ٥٦

«فما أصبرهم على النار» أي ما أجرأهم عليها . وقال المبرد تأويله ما دعاهم إلى الصبر عليها [1] . وأنشد ابن الأعرابي :

سقيناهمُ كأساً سقونا بمثلها ... ولكننا كنّا على الموت أصبرا

أي كنا أجرأ منهم على الموت فاقتحمناه [2] » . ومثل هذا كثير جداً في الأمالي .

وقد يتعرّض لبعض المسائل النحوية فيورد أقوال النحاة فيها ثم يذكر رأيه ويعلله كما فعل حين أورد في بعض الأخبار قصيدة الأحوص التي يقول فيها :

سلام الله يا مطر عليها ... وليس عليك يا مطر السلام

فقال : «وأما قوله سلام الله يا مطر عليها فإنه منادى مفرد ونونه ضرورة . فأما الخليل وسيبويه والمازني فيختارون أن ينوّنوه مرفوعاً ويقولون : لمّا اضطررنا إلى تنوينه نوّناه على لفظه . وإلى هذا كان يذهب الفراء ويختاره . وأما أبو عمرو ابن العلاء ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي فينشدونه سلام الله يا مطراً عليها بالنصب والتنوين ، ويقولون : رُدّ التنوين إلى أصله ، وأصله النصب ، وهو مثل اسم لا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر إلى تنوينه نوّنه وصرفه وردّه إلى أصله . قال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى في مدّتي ... كجواري يلعبن بالصحراء

ألا ترى كيف نوّنه وخفضه ؟

قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله : القول عندي قول الخليل وأصحابه ، وتلخيص ذلك ان الاسم المنادى المفرد العلم مبنيّ على الضم لمضارعته عند الخليل وأبي عمرو وأصحابهما للأصوات ، وعند غيرهما لوقوعه موقع المضمر ، فإذا لحقه التنوين في

(١) قال الفرّاء في هذه الآية وجهان : أحدهما فما الذي صبّرهم على النار ؟ والوجه الآخر : فما أجرأهم على النار . » معاني القرآن ١ : ١٠٣

(٢) الأمالي : ٨

ضرورة الشعر فالعلة التي من أجلها بني قائمة بعد ، فينوّن على لفظه ، لأنّا قد رأينا من المبنيّات ما هو منوّن نحو « ايه وغاق » وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة ما لا ينصرف أصله الصرف . وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا « أفعل منك » وعلى هذه اللغة قرئ قواريراً قواريراً من فضة بتنوينهما جميعاً ، فإذا نوّن فإنما يردّ إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوّناً منصوباً في غير ضرورة شعر وهذا بين واضح . »(١)

أما طريقة الزجاجي في هذا الكتاب فهي طريقة من يُعنى بالأسانيد عناية جيدة حتى يكاد لا يخلو من السند خبر من أخبار الكتاب ، كأن يقول: « قال أبو القاسم أخبرنا أبو اسحاق الزجاج قال أخبرنا أبو العباس المبرد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال ... » وهذا أسلوب من اعتقد أن اللغة لا يعتدّ فيها بالرأي وإنما هي بنت النقل والرواية وللاسناد فيها المكان الأول ، ولمّا كان الزجاجي في أماليه لغوياً فقد اتبع منهج اللغويين ، أما في غير هذا الكتاب فقد يكون للزجاجي موقف آخر كما هو في الإيضاح ، حيث يحدثك عن مشاكل النحو وعلله مستغنياً عن السند ، وما ينفعك السند ما دام محدثك يعلّل لك القول حتى يقنعك قوله أكثر مما يقنعك اسم صاحب الخبر وناقله وسلسلة سنده .

وبكتاب الأمالي نختتم الحديث عن آثار الزجاجي المطبوعة لننتقل الى الحديث عن آثاره المخطوطة من موجودة ومفقودة .

٣ — الايضاح في علل النحو :

وهو الكتاب الذي سنعرض مادته ونخصّه بالحديث بعد قليل .

---

(١) الأمالي : ٥٤ و ٥٥

٤ — شرح مقدّمة أدب الكاتب[1] :

وهو كتاب شرح الزجاجي فيه خطبة ابن قتيبة في كتابه المعروف بأدب الكاتب . وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : « هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكتاب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي » ومما قاله الزجاجي في المقدّمة : « وقد رأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب لابن قتيبة ، لأنه ذكر فيها جملاً من الآداب غريبة ، وأعرض عن شرحها صفحاً يسوغ المقال فيها ويتسع الكلام . ففسرت ما تضمنته من اللغة باشتقاقه وتصاريفه ، ومن النحو بعلله ومقاييسه ، وأوضحت ما أومأ إليه مما ذكر ، لحاجة الكتّاب إليه من معرفة المصادر والأبنية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والألف عنهما ، وجملاً من التصريف نافعة لمن نظر فيها وتأملها بعين تدبر واستبصار . وفسرت أخبار الرسول ﷺ التي ذكرها ولم يفسرها ووصلت بها ما جانسها . وذكرت معاني الكلام الذي حكاه عن المنطقيين والمهندسين ، وجملاً من المساحة تكفي من نظرها عما سواها .

وجعلت جميع ذلك موجزاً غاية الإيجاز ، ليقلّ حشوه ، وتكثر فائدته . ولم أخل كل فصل فيه من تضمينه خبراً طريفاً يشاكله ، وأبياتاً نادرة ، وبنتَ معنىً ، ليكون هذا الكتاب ـ باحتوائه على ما ذكرته لمتطلع الى المعرفة بهذه الأشياء ـ أحضر فائدة ، وأسرع نفعاً من الكتاب المقصود بالرسالة . وبالله التوفيق »[2] . (انظر صورة الأصل) . ويأخذ الزجاجي بعد ذلك بشرح كلام ابن قتيبة .

---

(١) ورد ذكر هذا الكتاب في : إنباه الرواة (٢ : ١٦٠) وبغية الوعاة (٢٩٧) وإشارة التعيين (ورقة ٢٦) وكشف الظنون (١ : ٤٨) وفهرسة ابن خير (٣٤٤) وبروكلمن (١ : ١٧١) . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٣٩ ش أدب / وهي في ٧٠ ورقة ، كتبت سنة ٥٨٦ هـ بخط عاديّ ، وعليها شهادة بأنها عورضت بنسخة أخرى عليها خطّ ابن الخشّاب النحوي . وهي نسخة كاملة . صورها معهد المخطوطات تحت الرقم ٣٧٧ . ومنه نسخة أخرى في اسطمبول ، صورها المعهد ايضاً .

(٢) شرح مقدمة أدب الكاتب . نسخة دار الكتب رقم ٣٩ ش أدب ، الورقة ٢

٥ — مختصر الزاهر :

« الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » كتاب لأبي بكر محمد ابن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨ . وهو مجلد شرحه واختصره الشيخ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي[١] » ويحدثنا الزجاجي عن هذا المختصر فيقول : « هذا كتاب جمعت فيه جمل الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الموسوم بالزاهر ، فشرحتها مختصرة موجزة ، وحذفت منها الشواهد وما يتعلق بهما من كلامه المطوّل . وقد كان المفضّل[٢] ، صاحب الفرّاء ، أنشأ كتاباً في هذا المعنى سماه الفاخر[٣] ، جمع فيه قطعة من اشتقاق ما يكثر ترداده في المحاورات والمخاطبات ، فعمد أبو بكر محمد بن القاسم لذلك الكتاب ، فنقله نقلاً ، وذلّل صعبه وبسطه ، وكثّره بالشواهد ، وليس للكتاب ترصيف ولا نظم مستخرج يتعب فيه المؤلف ، وإنما هي حروف بأعيانها ، منقولة من كتب المتقدّمين ، معروفة منهما ، فهما ومن تكلم في هذه الحروف غيرهما سواه . إلا أني تدبرت الكتاب الزاهر ، فوجدت فيه من السهو والغلط شيئاً كثيراً ، فرأيت مع اختصاره وتهذيب ألفاظه

(١) كشف الظنون ٢ : ٩٤٧ . وورود ذكر الزاهر في المزهر (١ : ٨٧) وفهرسة ابن خير (٣٤١) وبروكلمن (١ : ١٧١) وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٢ : ١٨٣) .

ومن مختصر الزاهر للزجاجي نسخة خطيّة في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٧ د ه لغة عربية / كتبت سنة ٦٢٠ ه بخط مغربي أندلسي . وعدد أوراقها ١٧٩ ورقة ، متوسطة الحجم .

(٢) لعلّ الصواب هو « المفضّل بن سلمة بن عاصم » ثم سقط ما بعد المفضّل ، وذلك لأن سلمة بن عاصم هو صاحب الفراء لا ابنه المفضّل .

(٣) الفاخر كتاب لأبي طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم الكوفي ، ألّفه فيما دار واشتهر بين الناس وسار كالأمثال . وقد طبعه المستشرق الانكليزي شارلس أمبروس ستوري (C. A. Story) في ليدن سنة ١٩١٥ م .

إصلاح ما فيه من الغلط ، وكشفَه وشرحه ، لأنه كتاب مقصود به المبتدئون النظر في علم اللغة ، فمتى تعلّق المبتدئ بشيء من هذا الكتاب وعرف عليه اعتقده ، ورأى أنه الحق دون سواه . فبيّنت للناظر فيه حقيقة الأشياء ليعرفها . ورأيته قد حكى في مواضع كثيرة للفظة الواحدة وجوهاً ، وللمسألة أجوبة ، تكثيراً لذلك ، وإنما يرجع جميعه إلى أصل واحد وإن تباينت ألفاظ العلماء فيه ، فنبهت على ذلك ، وأريت كيف رجوعه إلى أصل واحد . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ذكرها من النحو وعلله ومن التصاريف على مذهب الكوفيين ، فذكرتها على مذهب البصريين ، ودللت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين ، ووجدته قد ذكر في بعض الفصول شيئاً يسيراً من اشتقاق أسماء البلدان ، وترك عامة ما يحتاج إليه منها ، فأضفت إليه باباً ذكرت فيه جمهور اشتقاق أسماء البلدان ، وأسباب تسميتها . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ترك فيها للمسألة وجوهاً متباينة لفظاً ومعنىً قد ذكرها العلماء مشهورة ، وزيادات في الباب من اللغة لم يأت بها ، فذكرت ذلك أجمع ، ليكون الناظر في هذا الكتاب مع إحاطة علمه بما تضمنه الزاهر ، عارفاً بمواقع السهو فيه ، وبهذه الأشياء التي ذكرتها ، مع اختصار هذا الكتاب ، وإنه دون الثلث من مقدار جملة الزاهر .

وقد وقع في شيء يسير من هذا الكتاب تقديم وتأخير ، على ما اتفق من اختصار ، إلا أنا قد أتينا عليه أجمع . »[1]

ولم يترك لنا أبو القاسم ما نزيده على وصف مختصره القيم ، إلا أن السيوطي نقل لنا كلمة تبين قيمته إذ قال : قال أبو حسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين

(١) مختصر الزاهر ، نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٥٧ لغة . الورقة ١ .

للزبيدي [1] ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة [2] . » فتأيدت بهذا القول شهادة الزجاجي بنفسه حين جعل مختصره فوق الأصل .

٦ — كتاب اشتقاق اسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل .

جاء في إشارة التعيين أن اسم هذا الكتاب هو « شرح اسماء الله الحسنى » وأكثر الذين تحدثوا عن الزجاجي لم يشيروا الى هذا الكتاب ، وقد عدّ صاحب كشف الظنون واحداً وثلاثين عالماً عن ألّف تحت هذا العنوان ولم يشر الى الزجاجي بينهم بل لم يذكر بينهم من مات قبل سنة ٣٨٨ ، وعلى هذا فان الزجاجي قبلهم جميعاً في السبق الى هذا النوع من التأليف [3] .

ويعرّف الزجاجي بكتابه هذا فيقول في خطبته [4] : « هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الأثر أن من أحصاها دخل الجنة حسب ما رواها أهل العلم واستنبطوها بعد الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك ، ولا يختلج في الصدور زيغ

(١) كتاب العين المشهور والذي ينسب للخليل ، اختصره اختصاراً حسناً ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي صاحب طبقات اللغويين والنحويين ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

(٢) الواضحة في تجويد الفاتحة ، قصيدة دالية في اثنين وعشرين بيتاً للشيخ برهان الدين بن ابراهيم الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢ . وقد اختصرها فضل بن سلمة .

(٣) يجب أن نشير إلى أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ قال في مقدمة كتابه « تفسير غريب القرآن » : « نفتتح كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته التي فنخبر بتأويلها واشتقاقها ... » وبذلك يكون سابقاً لغيره ولكنه لم يفرد ذلك بالتأليف كما فعل الزجاجي .

(٤) من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقمها / ٣ ش لغة وهي في ١٤٩ ورقة وصورتها في معهد المخطوطات (لغة / ٣١٢) وهي من رواية أحمد بن محمد بن سلمة النسّالي عن أستاذه الزجاجي . وصححها منه علي بن الحسين الربعي .

في التصديق بها ، على مذاهب (أهل) العربية العلماء باللغة ، العارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه وتصاريفه ، غير عادل عن مذهب العرب في ذلك خاصة .
وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت ، ووجوه النعت في كلام العرب ، ومجاري صفات الله عز وجل وموقعها من ذلك ، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والردّ عليه وبالله التوفيق » (انظر صورة الأصل) .

٧ — كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر :

وهو كتاب يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض وتعاقبها وتناظرها [١] .

٨ — كتاب اللامات :

ذكره كثير ممن ترجموا للزجاجي كالسيوطي [٢] وبروكلمان [٣] وغيرهما ، وهو كتاب جيد يبحث في اللامات ومواقعها في كلام العرب . قال الزجاجي في خطبته : « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرّفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف . وبالله التوفيق [٤] . » (انظر صورة الأصل) .

٩ — شرح كتاب الألف واللام للمازني :

ذكر السيوطي [٢] هذا الكتاب في جملة كتب الزجاجي وأشار اليه صاحب عيون التواريخ [٥] كما أشار اليه صاحب كشف الظنون حين تحدث عن كتاب

---

(١) منه نسخة في اسطمبول مصوّرة ضمن مجموع في جامعة القاهرة / ٢٢٩٦٧ وفي معهد المخطوطات (فيلم ٣٥٦ / ٢ نحو) .

(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٨

(٣) G. A. L. الذيل ١ : ١٧١

(٤) من « اللامات » نسخة في اسطمبول وصورتها في معهد المخطوطات (فيلم / ٧٩٢) ونحن الآن بصدد تحقيقه لنشره قريباً ان شاء الله .

(٥) عيون التواريخ . المخطوط . ورقة : ٣١٧

الألف واللام للمازني (١) . ولم أقع على نسخة منه ولا وجدت أحداً وصفه أو تحدّث عنه .

١٠ — المخترع في القوافي :

ذكره السيوطي وقال انه وقف عليه (٢) وذكره صاحبا « عيون التواريخ » و « كشف الظنون » (٣) . وأما ابن النديم فلم يذكر للزجاجي سواه ولكنه اقتصر من عنوانه على « القوافي » فقط فقال « وله ــ للزجاجي ــ من الكتب كتاب القوافي » (٤) وعدّهما محقق الجمل كتابين ثم استدرك فقال عند ذكره كتاب القوافي : « ولعله هو المخترع . » (٥) وهذا هو الأرجح لأنه ما من أحد جمع بين ذكر الكتابين .

١١ — كتاب الهجاء :

لم يشر أحد إلى هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاجي سوى بروكلمن . إلا أن الزجاجي نفسه أشار إليه في كتاب الجمل ، فقال في باب الأفعال المهموزة : « وقد ذكرت عامتها في كتاب الهجاء . » ونقل ذلك عنه ناشر الجمل ولم يزد عليه شيئاً .

١٢ — كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه :

جاء اسم هذا الكتاب منسوباً الى الزجاجي في فهرسة ابن خير (٦) . ونقله عنه محمد بن أبي شنب محقق الجمل . ولم يذكره أحد سواهما .

(يتبع) مازن المبارك

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٩٦ .
(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢٨ .
(٣) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٥ .
(٤) الفهرست : ١١٨
(٥) مقدمة الجمل .
(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ .

كتاب شرح الألفات

لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي

-٢-

فان سأل سائل ، عن الف الوصل ، فقال همزةٌ هي أم ألف ، قيل له ، قال قطرب[1] ، هي همزةٌ ، كثر الكلام بها فتركت [الورقة ال ١١/ب] لأنّ الألف ، لا تحتمل الحركة ، وهي ، في قال ، وباع ، وعماد ، وحمار ، ألفٌ لا [يشك] فيها ، فلو كانت في ، اضرب ، الفاً ، ما تحركت ، وردّ أبو العباس[2] ، أحمد بن يحيى ، هذا القول ، عليه وقال ، لو كانت همزة ، لثبتت في الابتداء ، والوصل ، كما ثبتت ، همزة امر ، واصر ، وأذن ، في كل حال . وقال الفراء[3] ، وسيبويه[4] ، ومن أخذ بقولهما ، هي ألفٌ ، إذا كانت

---

(١) هو محمد بن المستنير ، المتوفى سنة ٢٠٦ / ٨٢١ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٧٨) ، والوفيات (رقم ٦٤٦) وبغية الوعاة (ص : ١٠٤) وتاريخ ابي الفداء (ج ٢ ص ٢٨)

(٢) هو ثعلب من مشاهير نحويي الكوفة ، ولد سنة ٢٠٠/٨١٥ م ، وتوفي سنة ٢٩١/ ٩٠٣ م ، روى عنه ابن الانباري . له ترجمة في الفهرست (ص: ١١٠) والوفيات (رقم ٤٢) ومعجم الادباء (ج ٢ ، ص ١٣٣) وغاية النهاية (ج ١ ، ص ١٤٨ رقم ٦٩٢) وبغية الوعاة (ص : ١٧٢) وتاريخ ابي الفداء (ج ٢/٦٠)

(٣) هو ابو زكريا ، يحيى بن زياد ، كان ابرع الكوفيين وأعلمهم ، توفي سنة ٢٠٧/٨٢٢ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٩٨) والوفيات (رقم ٨٠٨) ومعجم الادباء (ج ٢٠ . ص ٩) وبغية الوعاة (ص ٤١١) وتاريخ ابي الفداء (ج ٢ ص ٢٨) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٣٧١ رقم ٣٨٤٢) .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، صاحب « الكتاب » ، توفي سنة ١٧٧/٧٩٣ م (مع اختلاف) وله نيّفٌ واربعون سنة ، وانظر الفهرست (ص : ٧٦) والوفيات (٥١٥) ومعجم الادباء (ج ٦ ص ٨٠) والبغية (ص ٣٦٦) وغاية النهاية (ج ١ ص ٦٠٢ رقم ٢٤٥٩)

صورتُها ، صورتَها ، وانما دخلت الألف ، في اضرب ، واصنع ، وما أشبههما ، من أجل أن الضاد والصاد ساكنتان [1] ، لايمكن الابتداء بهما ، فدخلت الألف ، ليقع الابتداء بها ، والاعتماد عليها .

وقال البصريون ، كسرت الألف ، في اضرب ، لسكونها ، وسكون [1] الضاد ، وكذلك كل ألف للوصل ، تبتدأ مكسورةً ، علةُ كسرها ، أنها ساكنة في الوصل ، لقيها حرفٌ ساكن ، وضمت عندهم ، في أُعبُدْ ، وأشكُرْ ، لأنّ عين الفعل مضمومة ، فلما احتيجَ الى حركة الألف ، للساكن الذي لقيَها ، ضمّوها بضمّ مابعدها ، وتنكبوا الكسرةَ ، كراهيةَ الانتقال من كسرٍ الى ضمٍّ .

والف الاستفهام ، تعرف بمجيء أم بعدها ، أو يحسن هل في موضعها ، وهي مفتوحة أبداً ، كقوله تعالى ، أفترى على [2] الله كذبا ، ألف أفترى ، ألف استفهام ، لقوله ، أم به جنّة ، فاتيان أم ، بعدها ، يدل على أنها ألف استفهام ؛

وكذلك ، أستغفرت [الورقة الـ ٥ / ظ] لهم أم لم تستغفر [3] لهم ، أَطّلع [4] الغيب ، أَتّخذَ ، أصطفى البنات على [5] البنين ، (لانه بعد [6] ،

(١) في العبارة نوع تخليط يجب الانتباه اليه وذلك ان الاصل في همزة الوصل عند نحوي البصرة ان تكون متحركةً مكسورةً ، وانما تضم في أدخُل ونحوه لاستثقال الخروج من كسرٍ الى ضمٍّ ؛ وعامة الكوفيين ذهبوا الى أنها تتبع عين الفعل وذهب بعضهم الى انها تكسر لالتقاء الساكنين (راجع الانصاف في مسائل الخلاف ص ٣٠٩ – ٣١٢ ، طبعة ليدن . سنة ١٩١٣ م) .

(٢) س ٣٤ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٣) س ٦٣ ع ١ ، الآية الـ ٦

(٤) س ١٩ ، ع ٥ ، الآية الـ ٧٨ .

(٥) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٣ .

(٦) ورد فوقه – « صح » – .

أم لكم) سلطان مبين [١] ؟

وقرأ « نافع [٢] « لكاذبون [٣] اصطفى » باسقاط الألف » في الوصل ، وبكسرها في الابتداء ، يجعلها الفَ وصلٍ « ويوجّه [٤] » اصطفى « الى انه حكاية من أهل الكفر « الا [٥] انهم من إفكهم « ليقولون اصطفى البنات ؟ والاستفهام من الله عز وجل « تقرير » [٦] وتوبيخ ؟

والأصل « في هؤلاء الأفاعيل « أإصطفى [٧] » أإفترى ، أألشكر [٨] ، أألظلم » فذهبت ألف الوصل » لا تثبت في اللفظ ، إلا [عند الابتداء بها] .

وقوله ، ألم أحسب [٩] الناس أن يتركوا » الألف في أحسب » الف استفهام ، تحسن هل في موضعها ، وكذلك ما أشبه هذا .

وكل ألفٍ ، تدخل على حرف عطفٍ ، أو حرف جحدٍ ، في كتاب الله عز وجل ، فهي ألف التقرير ، والف التقرير ، الف الاستفهام ، هي كقوله [١٠] تعالى ، أو آباؤنا الأولون [١١] ، أو لو كان [١٢] آباؤهم ، أو لم يسيروا [١٣]

---

(١) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٦ .

(٢) توفي سنة ١٦٩ (على اختلاف الاقوال) انظر غاية النهاية (ج ٢ ص ٣٣٠ ، رقم ٣٧١٨) .

(٣) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٢ .

(٤) انظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ص ٦١) والنيسابوري على هامش المرجع المذكور ، ومفاتيح الغيب (ج ٧ ص ١٦١ ، طبعة الشرفية سنة ١٣٠٨)

(٥) الأولى ان يُحذف .

(٦) انظر التاج (ج ١٠ ص ٤٢٢) .

(٧) الاصل — « اصطفى » — .

(٨) كذا . ولم يرد في ما تقدم .

(٩) س ٢٩ ، ع ١ ، الآية الـ ١ — ٢ .

(١٠) الاصل — « كقولك » — .

(١١) س ٣٧ ، ع ١ ، الآية الـ ١٧ .

(١٢) س ٢ ، ع ٢٠ ، الآية الـ ١٧٠ .

(١٣) س ٢٠ ، ع ١ ، الآية الـ ٩ .

في الأرض ، ألم يأتكم نذير[١] ، ألست[٢] بربكم ، هذا وما أشبهه .

وألف المخبر عن نفسه ، وتعرف بأنا وغداً ، (تضم اذا) كان ماضي فعلها ، على أربعة أحرف وتفتح اذا كان الماضي على < أقل أو > أكثر من أربعة أحرف .

فتبتدئ ، قوله عز وجل ، ولكن اعبد[٣] الله ، أعبد ، بالفتح ، لأنها ألف المخبر عن نفسه ، فيقال في امتحانها ، أنا غداً ، وفتحت (لأن الماضي ، أقل من[٤]) ، [الورقة الـ ٥/ب] أربعة ، وهو عَبَدَ ؛

وكذلك ، استخلصه لنفسي ، ألفه ، ألف المخبر عن نفسه ، يحسن انا وغداً ، في امتحان فعلها ، اذا أتت ، كقول القائل ، استخلصه أنا غداً ، وابتدأت بالفتح ، لأن الماضي ، استخلص ، وعدة حروفه أكثر من أربعة أحرف ؛

وتبتدئ ، قوله تعالى ، افرغ عليه[٥] قطرا ، بضم الألف ، لأنها الف المخبر عن نفسه ، في فعل ماضيه ، أربعة أحرف ، وهي أفرغ ، فألف المخبر عن نفسه ، لا تكون أبداً ، الا أول المستقبل ، لأنها احدى دلائل [الاستقبال ، فمحال[٦] ، أن تحل] ماضياً أو دائماً ؛

والف المخبر في فعل ما لم يسم فاعله ، لا تكون إلا مضمومة ، قلت حروف الماضي ، أو كثرت ، كقوله ، اكرم ، أو اضرب ، واستخلص ؛

وألف ما لم يسم فاعله ، تكون في أربعة أمثلة ، في افعل ، وافتعل ،

(١) س ٦٧ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .
(٢) س ٧ ، ع ١٢ ، الآية الـ ١٧٢ .
(٣) س ١٠ ، ع ١١ ، الآية الـ ١٠٤ .
(٤) ورد فوقه « صح » .
(٥) س ١٨ ، ع ١١ ، الآية الـ ٩٦ .
(٦) ما بين القوسين مخروم والواضح « ان يحل » .

واستفعل ، وانفعل ، وقد تكون في فعل ، غير لازمة له ؛

فأما ألف أفعل ، فألف (١) أخرج ، وأكرم ، وأحسن ؛

وألف افتعل ، ألف أكتسب ، وأصطنع ، وأضطُرّ (٢) ، وأجتثّ (٣) ، من أجل أنّ الأصل ، في اضطُرّ ، اضطور ، و < في اجتُثّ > أجتثِث ، فأبدلوا من التاء ، طاءً ، لأنها أشبه بالضاد ، من التاء (٤) فاستثقلوا [الجمع بين حرفين] متحركين ، من جنسٍ واحدٍ وأسكنت الراء الأولى ، وأدغموها في التي بعدها وكذلك سكنوا الثاء (٥) الأولى ، وأدغموها ، في (٦) الثاء ، الثانية ؛

وألف استفعل ، الف استضعف ، واستخرج ، وما أشبهها [الورقة الـ ٤/ظ]

وألف انفعل ، الف انقطع بالرجل ، والف فعل ، ألف أخذ ، وأكل ، و (أمِر ، وليست لازمةً (٧)) هذا المثال كله ، كلزوم أولئك الألفات ، مثلها ، من قبل انك تقول ، ضُرِب ، وشُتِم ، وذُعِر ، فلا تجد فيهنّ ألفاً ؛

واعلم أن الف استفعل ، وانفعل ، وافتُعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف الوصل ، اذا كنت تقول ، في حال تسمية الفاعل ، استفعل ، وافتعل ، وانفعل ، فلا تحل عليك أنها الف وصلٍ ، مبنيةٌ على عين الفعل .

والف أفعل ، الف ما لم يسمّ فاعله ، من الف القطع ، من قبل انك اذا سميت الفاعل قلت ، اخرج فلان الشيء ، فوضح لك الف قطع ؛

والف فُعِل ، الف ما لم يُسَمّ فاعله ، من ألف الأصل ، لأنك [تسمي] الفاعل ، فتقول ، أخَذَ ، وأمَرَ ، فلا يغمض عليك ، أنها الف أصلٍ ؛

---

(١) في الاصل « والف » .
(٢) في الاصل « اصطبر » .
(٣) في الاصل « اجتث » بفك الإدغام .
(٤) في الاصل « الثاء » .
(٥ - ٦) في الاصل « التاء » .
(٧) ورد فوقه « صح » .

وانما ابتدئت : الف ما لم يسمّ فاعله ، بالضم ، لدلالة الفعل ، الذي هي[1] أوّله ، على فاعل[2] ومفعول ، اذ ضُرب ، لا يخلو[3] من دلالةٍ على ضارب ومضروب ، فكأن ضمّ أوّله دلالةً على تضمّنه[4] معنيين ، كما قالوا ، زيدٌ حيثُ[5] عمرو ، فالزموا حيث[6] ، الضمة لمقامها مقام محلين ، كقولك في مكان فيه عمرو ، وقالوا ، نحن [قمنا] فضموا نحن في جميع الأحوال ، لتضمنه معنى التثنية ، ومعنى الجمع ، إذ كان الرجلان يخبران[7] عن أنفسهما ، فيقولان ، نحن قمنا ، ويقول الرجال (مثال ذلك[8]) .

[الورقة ١٠/ب] باب[9] ذكر الألفات المبتدأة في الأسماء

اعلم أنّ ألفات الأسماء ، أربع ، ألفُ أصلٍ ، وألفُ قطعٍ ، وألف وصلٍ ، وألف استفهام ؛

فألف الأصل ، تعرف بمثل حركاتها في الفعل[10] ، ان رفعاً فرفعاً ، وان نصباً فنصباً ، وان خفضاً فخفضاً ، كقوله عزّ وجلّ ، وأخذتم على ذلكم[11] إصري ، ألف إصري ، الف أصلٍ ، لأنها فاء من الفعل ثابتة في التصغير ، ووزن إصرٍ من الفعل ، فِعْلٌ فاعلم ، ويقال في تصغيره أُصَيْراً ، باستينافها بالقطع ؛

---

(١) هامش الاصل « احسبه : بنى » ، قلت هذا التصويب ظاهر الخطأ .
(٢) في الاصل « او » .
(٣) في الأصل « لا يخلوا » .
(٤) حروف مخرومة .
(٥) في الاصل « بحيث » .
(٦) في الاصل « حيث » .
(٧) في الاصل « على » .
(٨) ورد فوقه « صح » .
(٩) نسخة برلين « ذكر الالفات الخ
(١٠) في الاصل – « الوصل » –
(١١) س ٣ ، ع ٩ ، الآية الـ ٨١ .

وكذلك ، قل اذن (١) خيرٌ لكم ، ألف اذن ، ألف أصلٍ تبتدئ بالضم على مثال فُعلٍ ، والألف فاء من الفعل ، ويقال في تصغيرها ، هذه أُذينة ، فثبتت الألف فيها ، وكذلك ، وكان (٢) أمر الله ، الف أمر الله ، الف أصلٍ ، تبتدئ بالفتح ، لأنها كالزاي في زيدٍ ، وزن أمرٍ ، من الفعل ، فَعلٌ ، فالألف فاء من الفعل ، وتصغير أمرٍ ، أُميرٌ ، فالألف ثابتةٌ فيه ، ومثله ، أبٌ ، لأنّ وزنه فَعَلٌ ، وأصله أبوٌ (٣) ، وتصغيره ، أُبَيٌّ ، وأمٌّ ، لأنّ وزنها فُعْلٌ ، وتصغيرها أُمية ؛

وألف القطع في الأسماء ، تكون أوّل الاسم المفرد ، وأوّل الجمع (٤) ، فالتي يبتدأ بها في أوّل الاسم المفرد ، تعرف بثباتها في التصغير ، وبأنها [الورقة الـ ٣/ظ] فاء من الفعل ، كقولك ، هو أحسن من غيره ، الف أحسن ، الف قطع (في الاسم المفرد ، (٥) لأنّ) وزنه من الفعل ، أفعل ، فألفه غير فاء من الفعل ، وتقول في تصغيره ، أُحيسِن ، فتوجد الألف فيه ، ومثله ، أكبر ، وأعقل ، وأنبل وأجمل ، وأحمد ، وأحزم ، وأصبغ ، وما أشبههنّ .

وألف القطع في الأسماء المجموعة ، تعرف بحسن دخول الألف واللام عليها ؛ وانها ليست فاء من الفعل ، ولا عيناً ، ولا لاماً ، كقوله تعالى ، مختلف (٦)

(١) س ٩ ، ع ٨ ، الآية الـ ٦١ .
(٢) س ٤ ، ع ٧ ، الآية الـ ٤٧ .
(٣) في الاصل « الف » .
(٤) جاء في اللسان ما نصه : وقال ابو بكر بن الانباري ، ألف القطع ، في اوائل الاسماء ، على وجهين ، احدهما ان تكون في اوائل الاسماء المتفردة ، والوجه الآخر ، ان تكون في اوائل الجمع ، فالتي في اوائل الاسماء ، تعرفها بثباتها في التصغير ، بان تمتحن الالف فلا تجدها فاء ، ولا عينا ولا لاماً ، وكذلك فميّزوا باحسن منها الخ (اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣) .
(٥) ورد فوقه — « صح » — .
(٦) س ١٦ ، ع ٩ ، الآية الـ ٦٦ ، س ٣٥ ع ٤ ، الآية الـ ٢٨ .

ألوانه ، ألف ألوان ألف قطع في الجمع من الأسماء ، لأنّ وزن ألوان ، أفعال ، فالألف غير فاء ، ولا عين ، ولا لام ، وتدخل عليها الألف واللام ، فتقول الأوزان [1] ، و كذلك ، ألسنة والألسنة [2] ، وأبيات ، والأبيات ، وأثواب، والأثواب .

وألف القطع في هذين النوعين ، مفتوحة ، ومتى وردت عليهم مكسورةً أو مضمومةً كانت بمنزلة المفتوحة ، فاذا كانت أول الاسم الاعجمي ، ألفٌ فهي ألف قطع ، وتعرف الاسم الأعجمي [بامتناعه] من الاجراء [3] ، وبأنه معدوم من عتيق كلام العرب ، الا ان تخلوه عن العجم ، كقولك ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، وإدريس ، وهي مكسورة في الوصل والقطع ، كسر بناء ، لازمٍ غير محكومٍ عليها ، بأنها ألف أصلٍ ، إذ كان الأعجمي مجهول الاشتقاق ، والف استبرق [4] أيضاً ، ألف قطع في الاسم الأعجمي ، وان كان عجرى (لأن العرب أخذته [5]) [الورقة الـ ٣/ب] عن العجم ، وأجرته لتنكيره ، ومنعت ابراهيم ودونه الاجراء [6] ، للتعريف والعجمة ؛ فان أتت الألف في أول الأعجمي مفتوحة أو مضمومة فهي أيضاً بمنزلة المكسورة ، ألف القطع ؛

---

(١) كذا ولو كان « الالوان » لكان اوفق بالسياق .

(٢) في اللسان - « السَّنَة » - مصحّفا (ج ٢٠ ص ٣١٣) .

(٣) في الاصل : الاجزاء .

(٤) زعم بعضهم انه استفعل من البرق (انظر الملائكة : ص ٢٢ مع الحاشية) وتسبه المرّي الى الزجاج والذي حكى عنه صاحب اللسان ينفيه (انظر اللسان ج ١١ ص ٢٨٥ .

(٥) ورد فوقه - « صح » -

(٦) في الاصل : الاجزاء .

وألفات الوصل ، في الأسماء ، تسعة [1] ، الف ابن ، وابنة ، واثنين ، واثنتين [2] ، وامرئ ، وامرأة ، واسم ، واست ، والرجل .

فثمانية منها ، تعرف بسقوطها في التصغير [3] ، وتكسر في الابتداء ، فتقول في تصغير <ها> بُنيّ ، وبُنيّة ، وثُنيَّان ، وثُنيْتان ، ومُرَيْ ، ومُرَيْـة ، وسُمَيّ ، وسُتيهة .

والتاسعة تعرف بدخولها مع اللام للتعريف ، وسقوطها عند [4] التنكير ، كقولك رجلٌ ، والرجل ، وطفلٌ ، والطفل ، وحمدٌ ، والحمدُ [5] ؛

وأما ألف ابن ، فكسرت لأن أصله أمرٌ من بنيت ، والف اثنين كسرت لأنّ أصله أمر من ثنيت ، اثني [6] على مثال ، افض من قضيت ، إرم من رميت ، والف اسم كسرت ، لأن أصله أمرٌ من سميت ، وألف امرئ لم يصلح بناؤها على الثالث إذ كان يضم في الرفع ، ويفتح في النصب ، ويكسر في الخفض ، فيقال : قام امرؤٌ ، ورأيت امرأً ، ومررت بامرئٍ ، فلما لم يصلح ذلك ، ألحقت بأخواتها من ألف ابن ، وابنة ، واثنين ، واثنتين ، وألف است أيضاً ملحقة بأخواتها .

وألف الرجل تبتدأ بالفتح ، لأنها دخلت مع اللام للتعريف ، فشبّه أَلْ ،

---

(١) هذه العبارة لخصها صاحب اللسان والتاج ، فيما حكياه عن ابن الانباري (راجع : اللسان ج ٢٠ ص ٣١٣ ، والتاج ، ج ١٠ ص ٤٢٣)

(٢) اللسان والتاج : ابنين وابنتين ، مصحفاً .

(٣) اللسان والتاج : « ويحذف في الوصل » .

(٤) في المرجعين : وهي مفتوحة في الابتداء ، ساقطة في الوصل .

(٥) من هذا الباب أيم الله في القسم قال ابن خالويه : وليس في كلام العرب ، الف وصل مفتوحة الا في هذين ، يعني حرف اللام التعريف وأيم الله (راجع كتاب ليس : ص ١٢ ، ٦٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٧)

(٦) في الاصل — اثنى —

بهلْ ، وبَل ، ومَن ، وكم ، فان قال قائل ، فهلا [١] كُسرت وشُبّهت بِإن [الورقة الـ ٣ / ظ] وإن [٢] ، فقل كرهوا أن يكسروها ، فتلتبس بألف إين ، وإثنين ، وهي مخالفة (لها من جهة [٣] امتحانها) فآثرنا فتحها [٤] لذلك ؛

وألف الاستفهام ، تُمتحن في الأسماء ، بمثل الذي تعرف به في الأفعال ، فان سأل سائل ، عن قوله عز وجل ، قل آلذكرين حرم أم الانثيين [٥] ، قيل له ، الألف في آلذكرين ، ألف استفهام [بدليل] أم بعدها ، وانما زيدت المدّة ليفرّق بها بين الاستفهام والخبر ، من أجل أنهم لو قالوا ، ألذكرين حرّم ، بغير مدّ ، لم يقع بين الاستفهام والخبر فرق ، وكذلك ، ءالآن وقد عصيت [٦] ، وءالله [٧] خير <أمّا يشركون> .

فان قال قائل ، فلِمَ لم يزيدوا ، مدّة في قوله ، أفترى ، والفه ، الف استفهام كالف الذكرين ، قيل له ، ألف الخبر افترى ، مكسورة ، وألف الاستفهام مفتوحة ، فانفتاح الألف فرّق بينهما في الاستفهام والخبر ، فأغنى عن المدّة ، وألف الذكرين ، مفتوحة في الاستفهام والخبر ، فمن أجل ذلك ، فرّقوا بينهما في المدّة ؛

---

(١) في الاصل – فهل –
(٢) ترقيع
(٣) ورد فوقه – صح –
(٤) لفظ ابن خالويه : . . . . فتحت لانها خالفت بدخولها موضعها ، فخالفوا بحركتها حركتها ، لان الف الوصل ، انما تدخل على الافعال وعلى الاسماء ، وهي فيها مكسورة أو مضمومة (كتاب ليس : ص ٦٩ ، ١٢)
(٥) س ٦ ، ع ١٧ ، الآية الـ ١٤٤
(٦) س ١٠ ، ع ٩ ، الآية الـ ٩١
(٧) س ٢٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ٥٩

واعلم أن ألف الدعاء (١) ، كألف الاستفهام في اللفظ ، تعرف بأن يحسن في موضعها ، يا ، كقولك ، أزيد أقبل ، معناه ، يا زيد أقبل ، من ذلك ، قرأ نافع ، وغيره (٢) ، أمن هو قانت (٣) بالتخفيف في الميم ، كأنه (٤) يا من هو قانت ؟

باب (٥) الألفات المستأنفات في الأدوات وما تجري في مجراها من المكاني وأسماء الاشارات

اعلم أن الألفات ، المبتدأة ، في الأدوات المحضة ، أصلية ، حظها الكسر ، كقولك (إن ، وإذا ، وإمّا ، وإلاّ ، وإذ) [الورقة الـ ٢٥/ب] وإذن (٦) وإلى . وقد تأتي ، مفتوحة كقولك ، أمّا ، وأما (٧) ، وأنا ، وتعرف الأدوات ، بافتتاح الكلام بها ، وبأنها لا يصحبها خبرٌ لها يرفعها ، ولا يقع بها خبرٌ تخبر عنه ، فينصبها ولا يدخل عليها حرف خفض فيكسرها .

وألف الاسم المحوّل ، من الأداة أصلية ، لا تكون إلا مفتوحة ، كقولك أنّ ، وأنما ، وأن ، ويدلك على أنهنّ أسماء ، دخول عوامل الرفع والخفض عليهن ، كقولك يعجبني أنك قائم ، وان تقوم ، موضعها رفع بالاعجاب ،

(١) يعني الف النداء

(٢) منهم ابن كثير وحمزة (مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨) وانظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ، ص ١١٨/٧)

(٣) س ٣٩ ، ع ١ ، الآية الـ ٩

(٤) هذا قول الفرّاء . وفي التخفيف ايضاً ان تكون الالف ، الف استفهام ، داخلة على مَن (انظر مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨)

(٥) هذا الباب اغفله اهلوردت في فهرسته

(٦) في الاصل : اذا

(٧) في الاصل : إما

واعلم أنك قائم ، وان تقوم ، موضعها نصب بالعلم ، وتقول فكرت في أنك قائم ، وفي أن تقوم فخفضها بفي يكشف لك أنهن محولات عن الأدوات سقوط الإعراب عنهن ، إذ العوامل لا تؤثر فيهن أثراً من ضمّ ولا كسر ولا فتح ؛

وألف المكني الأصلية المرفوعة ، تستأنف بالفتح ، كقولك أنا ، وأنت ، وأنتما ، وأنتم ، وأنتن ، وقد تأتي في مواضع الخفض عند الضرورة ، كقولك إياك أنت موضع أنت خفض بالكاف ، وكذلك أنت كأنا [1] ، الكاف خافضة أنا ، وتأتي أيضاً في موضع النصب ، كقولك ضربتك أنت ، موضع أنت نصبٌ على التوكيد للكاف المنصوبة إلا أن الأكثر فيهن والأغلب عليهن الوقوع في موضع اياك نعبد ، ومثله اياكما ، واياك ، واياكن ، وربما وقعت في موضع الخفض كقولهم أنا كإيَّاك ، وأنت كإيَّاي ، قال الشاعر [2] :

[الورقة الـ ٣٢ / ظ]

فاحسن [3] وأجمل في أسيرك انه ضعيف ولم يأسر كإيَّاك آسِرُ [4]

والأغلب عليهن التعرف [5] بالنصب ؛

وألف أسماء الإشارات ، أصلية تستأنف بالضم ، كقولهم أُولَيَّاء [6] ، وأولئكم ، وأولئكن ، وألف وأولي مال ، أصلية تبتدأ بالضم للبناء ، وكذلك

(١) الاصل : كأنت

(٢) هذا الشاعر لم يتعلموا عليه والبيت استشهد به الفراء وهشام عن الكسائي ، وثعلب في اماليه وابن عصفور في كتاب الضرائر (راجع خزانة الادب : ج ٤ ص ٢٧٤)

(٣) في رواية : فاجمل وأحسن

(٤) في الاصل : أسير

(٥) ترقيع

(٦) تُمَدّ وتُقصر ، وهو تصغير أولى

ألف أولات ، وواحد أولي ، ذو[1] ، وواحد أولات ، ذات[2] ، وهذان الحرفان ليسا من أسماء الإشارة ، إذ كان أولو مال بمعنى أصحاب مال وأولات بمعنى صاحبات يقاس[3] على هذا ما يرد من هذا الباب إن شاء الله تعالى ،[4]

تمّ كتاب شرح الألفات للأنباري النحوي ، رضي الله عنه ، بحمد الله وعونه

(عبارة من كتاب الوقف والابتداء)

هذا نصّ ما ورد ، في حاشية الورقتين الـ ١١/ظ — الـ ١٠/ب ، من نسخة الأصل :

«من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الأنباري ، أيضاً : كان الأصل في قولهم ، ابت يا رجل ، ائت[5] يا رجل ، ائتوا[6] يا رجال ، فجعلوا الهمزة الساكنة ياء ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وذلك ان العرب ، تجعل الهمزة ياء ، اذا انكسر ما قبلها وكانت ساكنة ، ويجعلونها ألفاً اذا سكنت وانفتح ما قبلها ، ويجعلونها واواً اذا سكنت وانضمّ ما قبلها ، وأما الهمزة التي سكنت وانكسر ما قبلها ، فنحو الذيب ، كان الأصل فيه الذئب ، فأبدلوا من الهمزة ياء[7] ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وأما حكمنا على الذيب بالهمز ،

---

(١) في الاصل : ذووا ، وفي نسخة برلين : ذى

(٢) في الاصل : ذاتى

(٣) في نسخة برلين : يقاس على ما شرحنا ، ما يرد مما يشاكله ان شاء الله تعالى (راجع فهرس اهلوردت ، ج ٦ ص ٢٠٠)

(٤) ورد هنا ما نصه : بلغت المقابلة

(٥) في الاصل : ايت

(٦) في الاصل : ايتوا

(٧) خرق وتلليف

لأنه مأخوذ من تذاءب الريح و < هو > مجيئها من كل وجه ، قال ذو[1] الرمة :

فبات يشئزه[2] ثأد[3] وسهّده[4] تذاؤب[5] الريح والوسواس والهضب[6]

فمعنى يشئزه[7] ، يشخصه[8] ويُقلقه[9] ، والثأد[10] ، الندى ، وتذاؤب الريح مجيئها من كل وجه ، والهضب ، الدفعات من المطر ، وقال ذو الرمة[11] أيضاً :

غدا كأنّ له جنّاً تذاءبه[12] من كل أقطاره يُخشى ويُرتقبُ

فمعناه كأن به جنّاً يأخذه من كل وجهٍ ؛

وأما الهمزة التي جعلتَ ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ، فكقوله ، آمن الرسول ، كان الأصل فيه أأمن الرسول ، فجعلوا الهمزة الساكنة ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ، وذلك أنها اذا سكنت ضعفت ، فنقلت الحركة عليها ، وكذلك ، يا بني آدم ، كان الأصل فيه أأدم ، فجعلوا الهمزة الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها .

---

(١) ديوانه : ص ٢٢ ، ب ٨٤ ، واللسان : ج ٧ ص ٢٢٨ ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، والتاج : ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ج ٤ ص ٤٣

(٢) في الاصل : يشره

(٣) في الاصل : ثأد ، وبخط الزبيدي في التاج : ثاه (ج ١ ص ٢٤٨) وكلاهما مصحّف

(٤) الرواية السائرة : يسهره

(٥) في رواية : تذوّب

(٦) جمع هاضب مثل تابع وتبع عن ابي عمرو ، ويروى « الهيضب » كمنب (التاج ج ١ ص ٥١٥)

(٧) في الاصل : يشئره

(٨) في الاصل : يسحصه ، بلا نقط

(٩) في الاصل : يقلقله

(١٠) في الاصل : الثاد

(١١) ديوانه : ص ٢٢ ب ٨٧

(١٢) في الاصل : يدابه

وأما الهمزة التي سكنت ، وانضمّ ما قبلها فكقولك ، يُومن كان الأصل فيه يُؤمن فجعلت الهمزة الساكنة واواً ، لانضمام ما قبلها ،

فان قال قائل ، اذا قلنا في الدرج ، لقائلنا ائت ، فما هذه الهمزة ، قيل له ، هذه الهمزة ، هي الساكنة التي في ائت ، وهي فاء الفعل [الورقة الـ ١٠/ب] < وألف[1] الوصل > ساقطة ، وقد أجاز الكسائي ، أن تثبت الهمزة في الابتداء ، فأجاز للمبتدي أن يقرأ ، إئت بقرآن ، بهمزتين مخففتين ، قال ابن الأنباري : حدثنا بذلك إدريس[2] عن خلف[3] عن الكسائي ، قال أبو بكر ، وهذا قبيح ، لأن العرب لا تجمع بين همزتين ، الثانية منها ساكنة ، ومع هذا ان أبا العباس حدثنا عن سلمة بن[4] عاصم عن الفراء ، أنه قال : العرب لا تنطق بهمزة ساكنة إلا بنو تميم ، فانهم يهمزون فيقولون ، الذئب ، والكأس ، والرأس ، من كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري » .

أبو محفوظ الكريم معصومي



(١) ما بين المكفين خرق

(٢) هو ادريس بن عبد الكريم الحداد ، المتوفى سنة ٢٩٢/٣ (٩٠٤/٥ م) راجع غاية النهاية (ج ١ ص ١٥٤ ، رقم ٧١٧)

(٣) هو خلف بن هشام البزار المقدم الذكر ، وهو من الملقين عن الكسائي (راجع غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٦)

(٤) في الأصل : سلمة عن عاصم - والصواب ما قدرته وهو صاحب الفراء ، المتوفى بعد الـ ٨٨٣/٢٧٠ م (راجع الفهرست : ص ١٠١ ، وغاية النهاية ج ١ ص ٣١١)

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

— ٣ —

رقم المصطلح		رقم المصطلح	
٥٦١	غيبة الثدي	561	Amastie

وأرجح اللاثدية (مجمع اللغة) .

٥٦٢	كُمْنة، عمى مُطْبِق (بدون تلف طَبَقَات العين)	562	Amaurore, cécité (comptète sans alté- (-ration des milieux de l'œil)

الكُمْنة ثلة تأخذ في البصر (اللسان) وقد أقرها مجمع اللغة . والغالب أن تطلق على ذهاب البصر من العين الواحدة . أما العمى المطبق وغير المطبق فلا يطلق في اللغة العربية إلا على ذهاب البصر من العينين وإلا فهو عَوَر ، ففي اللسان : العمى ذهاب البصر كله ، وفي الأزهري من العينين كلتيهما الى أن قال رجل أعمى وامرأة عمياء ولا يقع هذا النعت على العين الواحدة لأن المعنى يقع عليها جميعاً فيقال عَميت عيناه .

564 Amblyopie غطش ٥٦٤

وأقر مجمع اللغة كلمة كمَش . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة غمَش ، ففي اللسان : الأكمش الذي لا يكاد يبصر ، والغمَش ظلام البصر من جوع أو عطش ، والغمش سوء البصر ، والغمش عارض ثم يذهب ؛ أما الغطش في العين نشبه العمش ، الغطش الضعف في البصر كما ينظر يبعض بصره ، ويقال هو الذي لا يفتح عينيه في الشمس . واللفظة الافرنجية تطلق على الضعف العارض على البصر ولا سيما ما كان منه غير متأت عن علة عضوية أو عن زيغ في طبقات العين . لذا أفضل الغمَش والكمَش على الغطش .

567 Amélie غيبة الأطراف الأربعة ٥٦٧

والأفضل أن يقال اللاطرفية قياساً على ما تقدم في اللفظين المرقومين بـ ٧ و ٥٦١ .

574 Amétropie تيه البصر ٥٧٤

وهو فقد انطباق بؤرة المرئي على الشبكية ، أرجح أن يقال فقد القياس البصري أو اللاقياس البصري ؛ أما تيه البصر فقد جاء في اللسان تاه بصرُ الرجل وتاف اذا نظر الى الشيء في دوام ، وتاف عني بصرك وتاه اذا تخطى كما أن التيه يعني الصَلَف والكِبْر (١) .

598 Amibe متحول ، متمور ٥٧٨

والأفضل تعريب الكلمة الفرنجية كما فعل مجمع اللغة فيقال آميبا أو أميبة و ج آميبات .

591 Aminoalcools غوليئات ٥٩١

الأفضل أن يقال الأغوال الأمينية .

---

(١) وكذلك يمكن استعمال زيغ القياس . ففي اللسان الزيغ الميل ، زاغت الأبصار مالت عن مكانها كما يعرض للانسان من الخوف .

592 Ammines ٥٩٢ نُشادربنات

وقد عرفت اللفظة بأنه مركب يحوي ذرات الأمونيـاك (النُشادِر) المرتبطة مع أحد المعادن . بينما قد يفهم من نشادربنات المواد أو المادة المستخرجة من النشادِر على غرار الكافئين وما اليها . والأفضل أن تبدل بما يفي بهذا المعنى كالنشادر المعدني أو سواه .

600 Amnésie antéro--grade ou de fixation ٦٠٠ نسيان سابق أو نسيان التثبيت

والأصح أن يقال نسيان لاحق ، لأنه يتعلق بالأمور المستحدثة بعد الإصابة بالعلة . وقد انتبهت اللجنة الى ذلك في ترجمة (Antérograde) رقم ٨٣٢ بقولها نسيان مابعد الحادث .

600 Amnésie rétrograde ٦٠٠ نسيان لاحق

والصحيح نسيان سابق لأن الأمور المنسية هنا تتعلق بما سبق أن كان متذكَّراً قبل الإصابة بالعلة .

601 Amnios ٦٠١ سابياء

ويطلق على الغشاء الباطن الذي يحوي سائلاً يحفظ الجنين ، وأقر مجمع اللغة السَلَى فقد جاء في اللسان السَلَى لفافة الولد من الدواب والإبل وهو من الناس المَشيمة مما يدل على تخصيص السَلَى بالحيوان . والسابياء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد لأن الشيء قد يسمى بما يكون فيه على المجاز ، ولذلك يصح أن تدعى المشيمة (وهي الدارجة) كما أن السابياء صحيحة وتعريب الكلمة بقولنا أمنيوس (عن الفرنسية) أو أمنيون (عن الانكليزية) ممكن وربما كان أقل عجمة وأخف على اللسان .

602 Amniotique (liquide) ٦٠٢ سُخْط

والمشهور عنه السخد . ففي اللسان : دم وماء في السابياء وهو السلى الذي

يكون فيه الولد . وفي اللسان أيضاً ويقال للسُخْد وهو الماء الذي في المشيمة : النُخط . وأرجح السُخْد لأنها دارجة متعارفة وألطف من الثانية .

٦٢٧ نسيان اللّحن (أو الموسيقى) Amusie 627

الأفضل أن يقال اللاموسيقية لأن هذه الحالة المرضية تبدو تارة بنسيان اللّحن أو النغَم وأخرى بفقد قراءة النوطة الموسيقية على غرار الخَرَس واللاقراءة واللاكتابة [1] .

٦٤١ مُقوٍّ ، منشط Analeptique 641

وقد عرف اللفظ الفرنجي بأنه الدواء الذي يُصلح التنفس وخوَر الشعور بالضعف ، وفقد الوعي أو السبات . وأرجح أن يقال عنه الناعش ففي اللسان نَعَش الإنسان ينعَشُه نَعْشاً تداركه من هَلَكة . وفي الأساس نعشته فانتعش اذا تداركته من ورطة وانتعش نعشك الله ونعشني نعشة كريم والربيع ينعَش الناس .

وأرى أن تخصص المقويات بـ (Toniques) والمنشطات بـ (Stimulants) وناعشات بـ (Analeptiques) .

٦٤٣ فقد الألم ، لا ألم Analgésie 643

وكذلك بطلان الألم .

٦٥٩ تأقٍ Anaphylaxie 659

وأقر مجمع اللغة التحساس واللاوقاية . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة الاستهداف اقتباساً من معجم شرَف ، ومدلول الكلمة العلمي هو فقد الوقاية (اللاوقاية) وأن يصبح من به هذه الحال عرضة للإصابة بأحد المسببات المرضية ، وبالتالي مستهدَفاً للإصابة .

(١) راجع الشرح الوارد في المقال السابق في رقم ٤٨٩ والصفحة ٣١٤

أما التأق فقد جاء في اللسان : التأق شدة الامتلاء تَئِق السقاء يتأق تأقاً فهو تَئِق امتلأ وأتأق إتآقاً ، إلى أن قال ورجل تَئِق ملآن غيظاً أو حزناً أو سروراً وقيل هو الضيق الخلق ، وقيل تئق اذا امتلأ حزناً وكاد يبكي والخ .

وعلى ذلك فان لكلمة تأق معناها اللغوي الصريح والأفضل أن لا نقحمها في المعنى الطبي البعيد عنها كل البعد ، مما يرجح أن يقال في ترجمة (Anaphylaxie) الاستهداف واللاوقاية دون غيرهما .

661 Anaplasie ترقيع ٦٦١

وأقر مجمع اللغة ارتكاس — ارتداد ، وعرّف هذه اللفظة معجم (M. Garnier)[1] الفرنسي بما يلي : (لفظ استعمله بقراط للدلالة على رد كسر أو خلع) يرادفه (Cataplasie) ، الحدث الذي بمقتضاه تفقد بعض الخلايا مميزاتها الخاصة دون أن ترد الى حالة الخلايا البدئية . وعرّفها معجم (Blakiston's)[2] بتراجع الشكل في الخلية أو في الخلايا الى الحالة الجنينيّة مع ازدياد خاصتها على التكثر ، ويغلب أن تطلق هذه اللفظة على تراجع الشكل وحده دون النظر الى خاصة التكثر اهـ . كما ان معجم كليرفيل نفسه ذكر في ترجمة اللفظة الى الانكليزية بـ (anaplasia ، reversionary atrophy) أي الضمور التراجعي ، والى الألمانية بـ (Rückschlag) ومعناه التراجع .

وعلى ذلك أرى أن نترجم لفظة (Anaplasie) بالمؤول أو التحول الراجع أو التراجعي أو الارتداد ، ولا أرى لاستعمال ترقيع مسوغاً .

678 Anelectrode قُطب ايجابي (بطارية غلوانية) ٦٧٨

والصحيح منفذ ايجابي ، لأن القطب الايجابي ترجمة لـ (Anode) كما قلت

(١) M. Garnier & V. Delamare, Dictionnaire des termes techniques de médecine

(٢) Blakiston's new Gould medical Dictionary

الجنة في ترجمة هذه اللفظة برقم ٨٠٩ والقطب الايجابي غير المنفـذ الايجابي ، وينبغي التمييز بينهما .

681 Anémie de déperdi- -tion après hémorragie فاقة دم بالانقراض بعد النزف ٦٨١

وهي فاقة الدم المتأتية عن نزف الدم ، وأرجح أن يقال في الترجمة فاقة دم نزفية أو بالنزف ؛ ففي اللسان نزفه الدم اذا خرج منه كثيراً حتى يضعف ، والنُزف الضعف الحادث عن ذلك ، وانقرض القوم درجوا ولم يبق منهم أحد .

690 Anergie تصام ، عدم التجاوب ٦٩٠

وأرجح أن تعرّب هذه اللفظة بـ أنيرجيا على غرار لفظـة أليرجيا[1] . في اللسان أصمه الداء ، وتصام عنه أراه أنه أصم وليس به تصام عن الحديث وتصامه أرى صاحبه الصَّمَم .

691 Anesthésie, narcose فقدان الحس ، خَدَر ٦٩١

وتطلق لفظة (Anesthésie) على فقد حاسة الحس فقداً تاماً أو جزئياً ، منه ما يتأتى عن حالة مرضية ويدعى بطلان الحس (شأن ما يكون في بعض علل الجملة العصبية المركزية والمحيطية) ومنه ما يكون محدثاً بأحد الأدوية سواء أثر هذا موضعياً أو عاماً ، وهذا ما يدعى بالتخدير (التخدير الموضعي والتخدير العام) . ولعلّ القصد من إثبات كلمة (Anesthésie) وبجانبها (Narcose) يقصد منه التخدير . أما الخدر فالأفضل أن تخصص لكلمة (engourdissement)[2] .

714 Anévrisme أُمدَمْ ٧١٤

وأقر مجمع اللغة كلمة انورسما تعريباً . وهي الكلمة ذاتها المستعملة في كتب

(١) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من هذه المجلة في الرقم ٥٢٨

(٢) جاء في اللسان والخدر امذلال يغشى الأعضاء : الرجل واليد والجسد ، وقد خدرت الرجل تخدّر والخدر من الشراب والدواء فتور يعتري الشارب وضعف .

الطب القديمة[1] . ودرجنا على استعمال كلمة أم الدم التي استعملها الأقدمون أيضاً ولا أرى حاجة الى هذا النحت .

٧٢٢ ذات العروق الشعرية، التهاب العروق الدقاق Angéite 722

والصحيح ذات العروق أو ذات الأوعية أو التهاب العِرْق أو التهاب الوعاء دون تخصيص بالعروق الشعرية أو الدقاق .

فقد جاء في معجمي غارنيه (M. Garnier) وبلاكستون (Blakiston's)[2] في شرح لفظة (Angéite) ان قال الأول اسم عام يشمل جميع التهابات العروق (التهابات الشريان والتهاب الوريد والتهاب العروق اللنفاوية وغيره) وذكر الثاني في مادة (Angitis) أنه التهاب عرق الدم أو اللنفا .

٧٢٤ توسع الأوعية الشعرية Angéectasie 724

والأصح توسع العِرْق أو الوعاء

٧٢٥ خُناق Angine 725

وأقر مجمع اللغة كلمتي ذبحة وذُباح .

٧٣١ خناق الصدر، انقباض القلب Angine de poitrine, Angor, Sténocardie 731

اللفظة ذات الرقم ٧٢٥ تطلق على التهاب البلعوم وكلمة الخناق تفيد هذا المعنى وكذلك الذبحة والذباح أيضاً، والكلمات الثلاث قد وردت في كتب الأقدمين ولا ما يميز بينها فيها . وحبذا لو خصصت كلمة خناق وجمعه خناقات بالتهاب البلعوم

---

(١) كامل الصناعة الصفحة ٣١٢ من الجزء الأول وقد جاءت في جملة مواضع مصحّفة بـ (ابورسما) وعرفت بأنها ورم يحدث من دم وريح وحدوثه يكون من انخراق الشريان مفتوحاً لا يلتئم ولا ينبت عليه اللّحم وعلامة هذا الورم أن يكون موضعه ينبض واذا غمز عليه باليد ذهب أكثر الورم ويسمع له في بعض الأوقات الصرير ويكون لون الورم على مثال لون الباذنجان او البنفسج .

(٢) وهما المذكور اسمها في الصفحة (٤٦٦)

العادي ، والخانوق بالتهاب البلعوم الدفتريائي (Angine diphthérique) .
وجمعه خوانيق (كذا وردت في كتب الطب القديمة ، وهي كلمة دارجة على ألسنة الناس أيضاً)[1] ، وخناق الصدر على الألم الشديد البادي في مقدّم الصدر ، وأن تخصص الذبحة والذباح بالتهاب الحنجرة الدفتريائي (Laryngite diphtérique ou croup) . أما ترجمة اللجنة لـ (Sténocardie) بانقباض القلب فلا أراه في موضعه لأن انقباض القلب ينبغي له أن يدل على (Systole cardiaque) كما جاء في ترجمة لفظة (Systole) في الرقم ١٣١٠٠
والصحيح أن تترجم بضيق القلب وهو ما ينطبق على اشتقاق الكلمة ذاتها .

734 Angine pseudo - mem - - raneuse خناق غشائي موهم غمامي ٧٣٤

والمشهور عنه خناق غشائي كاذب ، لأن وصفه بالموهم قد يتعدى الكذب ويستدعي الوهم والايهام (بينا الإصابة به سليمة في الغالب) وكثيراً ما استعمل العرب الكذب بالمعنى المجازي كقولهم الفجر الصادق والفجر الكاذب وفي الكتاب العزيز « وجاءوا على قميصه بدم كذب » (سورة يوسف) .

735 Angine rouge érythémateuse, catarrhale خُناق أحمر ، حَمامي ، نزلي ٧٣٥

لقد ضبطت صفة حَمامي بالفتح والصواب بالضم حُمامي وهو غلط مطبعي .

739 Angiologie, angéiologie مبحث الأوعية ٧٣٩

740 Angiome ورم وعائي ٧٤٠

أرجح أن يستعمل العِرْق مكان الوعاء لأنه أخص .

---

(١) لقد جاء ذكر سنّة الخوانيق (ولولا أن عندي بابة من موسم سنة الخوانيق أترمق بها والا كنت من الهالكين) في دعوة الأطباء لابن بطلان سنة ٤٠٠ هـ (الصفحة ١٠ من كتاب دعوة الأطباء على مذهب كليلة ودمنة تحقيق الدكتور بشارة زلزل وطبع المطبعة الخديوية بالاسكندرية سنة ١٩٠١

754 Angoisse, anxiété ضجر ، مَلَل ، ضيق ٧٥٤

وكذلك القَلَق .

759 Anhidrose, anidrose صَلَد ، انحباس العَرَق ٧٥٩

والصحيح أن يقال احتباس العَرَق لأن مطاوع حبس احتبس لا انحبس .

769 Anhydride carbonique, gaz carbonique بلاماء الفحم، غاز الفحم ٧٦٩

سبق أن رجحت كربون على الفحم في هذه الترجمة وأضرابها .

782 Anion شارسَبية (آنيون) ٧٨٢

والأفضل أن يقال شاردة سلبية أو آنيون .

784 Ankylose, raideur articulaire ُجسأة ، يبوسة المفصل ٧٨٤

وأقر مجمع اللغة القَسَط وهي الكلمة الدارجة على ألسنة الأطباء ولا أرى حاجة الى تبديلها بأخرى قاموسية .

885 Ankylostome duodénal مَلْقوَّة عَفَجية ٧٨٥

789 Ankylostomiase داء الملقوّات، فاقة الدم المعدنية الخ ٧٨٦

وأقر مجمع اللغة تعريب الكلمة بأنكيلوستوما ولا أراها إلا أقل عجمة وألطف من المَلْقوّات .

819 Anox (h) émie, anoxyémie, anoxie عدم تأكسد الدم ٨١٩

والأفضل نقص أوكسجين الدم ونقص الأوكسجين، فقد عرفت أنوكسيميا[1] فقد الأوكسجين من الدم بقصور التهوئة الناجم عن الارتفاع الزائد ، أو نقص الضغط في الأوكسجين في التخدير أو في قصور القلب أو في الخنق ،

(١) معجم بلاكستون

وعرفت الآنوكسيا بأنها فقد الأوكسجين وهي حالة لا يمكن للحياة أن تدوم معها ، أو قصور النسيج عن ضبط الأوكسجين أو استعمال ما يكفي منه .
ويقول صاحب المعجم المذكور أن الأفضل أن تحل الآن كلمة نقص الأوكسجين (Hypopexie) محل (Anoxie) .

أقول : ولا صلة بين نقص الأوكسجين أو فقده ، بحدوث التأكسد أو عدم حدوثه .

٨٣٢ نسيان ما بعد الحادث Antérograde 832

وهو النسيان اللاحق (انظر الرقم ٦٠٠) .

٨٣٣ خَنَث Antéversion 833

٨٣٤ خَنَث الرحم Antéversion de l'utérus 834

اللفظة الأولى تعني الميل أو الانثناء الى الأمام والثانية الانقلاب الأمامي تستعمل الأولى في بعض العلل العصبية التي تمتاز بانعطاف جذع البدن الى الأمام أثناء المشي أو الانتصاب ، والثانية انقلاب جدار الرحم وميله الى الأمام . فالكلمتان اذن ليستا مترادفتين ولا يصح أن يطلق عليهما اسم واحد وهو الخنث . وإني لم أتوصل بمراجعة المعاجم التي بين يدي الى ما يشير فيها الى الميل والانقلاب . فقد جاء في اللسان : الخنثى الذي لا يخلص لذكر أو أنثى ، وخنث الرجل خنثاً فهو خنث وتخنث والخنث تثنى وتكسر وخنثت الشيء فتخنث ان عطفته فتعطف (ولعل الجنة أخذت بهذا المعنى) والمخنث من ذلك للينه وتكسره .

أقول ما أغنانا عن استعمال هذه الكلمة التي تفيد المعنى غير المطلوب من اللفظين الآتيين .

٨٣٥ وتيرة ، وترة (الأذن) Anthélix 835

عرّفت اللفظة الفرنجية بأنه الجزء المنحني من عمود الأذن والكائن أمام

الكِفاف (Hèlix) والذي يحاشيه في معظم أجزائه . وجاء في المخصص الوترة غُضَيرف في أعلى الاذن يأخذ من أعلى الصماخ ، والصماخ هذا الخرق الذي يفضي الى الرأس . كما أن الوَتَرة والوتيرة الحاجز بين المنخرين (وهو المشهور المتعارف) . أفضل أن تترجم الكلمة بصَحْن الاذن فقد جاء في المخصص هو جوف الاذن الظاهر المتقعر فتبعد الالتباس بين الاذن ووترة الأنف .

844 Antibiotiques صادات عن الحياة ، مُرْديات ٨٤٤

ومانعات التعايش (Symbiose) لأن تماسها لأحد الجراثيم يجعل هذا يتوقف عن نشاطه الحيوي . ومُرْديات تعني مُهلكات الجرثوم أو الجراثيم ، وأرجح تخصيص هذه اللفظة لمضادات العفونة .

845 Anticathode ذيل القطب السلبي ٨٤٥

وأفضل أن تترجم اللفظة بنظير القطب السلبي .

فقد عرفت بأنها الصفحة المعدنية أو الهَدَف في مصباح كروكس (Crookes) الشعاعي ، ومقرها مقابل القطب السلبي ، وتتلقى صدمة الأشعة السلبية مولدة الأشعة السينية .

847 Anticoagulants ضد الخثرات ٨٤٧

والأفضل مضادات الخثر ، لأن استعمالها الطبي انما يكون لتخفيف وطأة حدث الخثر لا لكبح جماح مواد مخثرة غير طبيعية .

851 Antidote, contre - poison بادزهر ، ضد السم ٨٥١

وأقر مجمع اللغة كلمة ترْياق ولا شك أنها تفضل على بادزهر التي سبق واستعملت في هذا المعنى ولا أرى داعياً الى بعثها .

858 Antiinfectieux ضد الخمج ٨٥٨

وأرجح ضد العفونة أو ضد الانتان[1] .

---

(١) لقد تقدم رأيي في الخمج (الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من هذه المجلة) .

873 Antiputride ضِد التدعُّص ٨٧٣

وأرجح ضد التفسخ باعتبارها دارجة ومعروفة .

875 Antisepsie تطهير ٨٧٥

876 Antiseptique مُطهِّر ٨٧٦

877 Antiseptiques désin- -fectants مضادات الفساد ، مُطهِّرات ٨٧٧

وأقر مجمع اللغة لفظة مانع العفونة لِ (Antiseptique) ومطهر لِ (désinfectant) بينما أطلقت اللجنة على اللفظتين الافرنجيتين كلتيهما مطهر .

وعليه أرجح أن يقال للأولى منع الفساد وللثانية مانع العفونة أو الانتان ومانعات العفونة أو الانتان ومُطهِّرات تباعاً .

882 Antitoxique ضد السم ٨٨٢

وكذلك الترياق .

883 Antitragus مقابل الوتدة (الأذن) ٨٨٣

وهي الترجمة الحرفية للفظة الفرنجية . ولعلها المحارة والصَّدَفة كما جاء في المخصص . فالوَتِدة كما جاء في الأخير الناشز في مقدمة الأذن مثل الثؤلول يلي العارض من اللحية ، والمحارة والصَّدَفة هي ما تحت الإطار .

888 Anurie زُرام ٨٨٨

وهو انقطاع البول . ففي اللسان وزَرِم دمعُهُ وبولُهُ وحلْقَتُهُ وكلامه وازرأمّ انقطع ، وكل ما انقطع فقد زَرِم . فالزرام اذن ليس خاصاً بانقطاع البول . ألا تفضل الكلمتان البينتان على الكلمة الواحدة القاموسية والغامضة ؟

910 Aphasie حُبْسة ٩١٠

وأقر مجمع اللغة هذه اللفظة ، ودرج كاتب هذه السطور على استعمال

الخَرَس [1] . فالخَرَس فقد النُطق من جراء إصابة في مركز التكلم الكائن في الدماغ ، والمصاب بهذه العاهة العصبية لا يستطيع الإفصاح عما يجول في خاطره لفظاً ، ويشفى صاحب العلة اذا كان حدثاً ، وعلى ذلك يلازمه فقد النطق دون انقطاع . بينما الحُبْسة بخلاف ذلك فقد جاء في اللسان : الحُبْسة والاحتباس في الكلام التوقف وتحبَّس في الكلام توقَّف قال المبرد في باب علل اللسان الحُبْسة تعذر الكلام عند ارادته . وعليه فان الحُبْسة تنطبق على ما نسميه بالخَرَس الموقَّت والعارض (Aphasie transitoire) وهو أن يتوقف المتكلم في أثناء الكلام مدة من الزمن ويستطيع الكلام بعد ذلك شأنه في السابق .

وكلمة الخَرَس سبق للمجوسي أن استعملها في كامل الصناعة [2] في علل اللسان .

٩١٦ مَنْعِظات 916 Aphrodisiaques

ولعلَّ اللجنة استعملت هذه اللفظة قياساً . والمشهور عنها مَغْلَمة . ففي اللسان

---

(١) الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥

(٢) الصفحة ٣٤٨ من الجزء الأول من كامل الصناعة الطبية . بقوله : وأما ما يعرض للعصب الذي في اللسان من العلل فنها ما يعرض للعصب الذي يكون به حس المذاق وهي نقصان المذاق وعدمه وهذا يكون اذا لم يحس الانسان بشيء من الطعوم في فمه البتة . ومنها ما يعرض للعصب الذي يكون به الكلام والحركة وهي ثقل اللسان وعدم الكلام الذي يقال له الخرس وهذه الأشياء تعرض : إمَّا لسوء المزاج الغالب على العصب ، وإما لسدة تعرض فيه إما من ورم ، وإما من ضعف ، وإما من خلط بلغمي غليظ ينصب الى الأعصاب ، وإما أن يكون من تفرق الاتصال يعرض للعصب بمنزلة الهتك ، أو يكون ذلك من خلط حار ، أو من ضربة أو من صدمة تقع على الدماغ ؛ والعلامات الدالة على كل واحد من هذه الأسباب كالعلامات الدالة على علل الحواس التي ذكرنا قبل وقد يعرض ثقل اللسان وعدم الكلام لعلة تكون في الجزء المقدم من الدماغ الذي ينبعث منه العصب الذي يأتي اللسان وفي الدماغ نفسه اهـ .

الغُلْمة بالضم شهوة الضِّراب غَلِم الرجل وغيره بالكسر يغلَم غلَماً واغتلم اغتلاماً اذا هاج الى أن قال وقد أغلمه الشيء وقالوا أغلمُ الأَلبان لبن الخِلفة يريدون أغلمُ الأَلبان لمن شربه وقالوا شرب لبن الإبل مَغلَمة أي انه تشتد عنه الغُلمة .

919 Aphtongie حُكْلة ٩١٩

عرفت اللفظة الفرنجية بأنها ضرب من اضطراب النطق يمتاز بتشنج العضلات الموكلة باللفظ والعصَبة بعصب تحت اللسان كما أنه جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم نفسه ما يفيد المعنى المذكور نفسه ؛ أمّا الحُكْلة فقد جاء في اللسان : الحُكْلة كالعُجْمة لا يبين صاحبها الكلام ، والحُكْلة والحكيلة اللثغة . ابن الأعرابي في لسانه حُكْلة أي عُجْمة لا يبين الكلام .

لذا أرجح في ترجمة هذه اللفظة كلمة العُقْلة ففي اللسان واعتقَل لسانه امتَسَكَ ، مَرِض فاعتُقِل لسانه اذا لم يقدر على الكلام ، أقول : والاعتقال أكثر انطباقاً على التشنج في عضل اللسان من سواه .

923 Aponévrose, fascia غشاء عضلي ، لُفافة ٩٢٣

وأقر مجمع اللغة كلمة الصِفاق وهي الدارجة على ألسنة الأَطباء . بينما اللجنة خصّت كلمة الصفاق بالغشاء المعروف بالبريطون ، وسأعود الى النظر في صحة هذه الكلمة عند الكلام على لفظة البريطون . وقد جاء في اللسان الصفاق جلدة رقيقة تحت الجلد الأَعلى وفوق اللحم ، وهو ما ينطبق على معنى اللفظ الافرنجي تماماً .

997 Apyroxie عمى البصيرة ٩٩٦

وفي الأَصل من المعجم (Apyrexie) ومعناها لا حُمّى ، وهو لا شك غلط مطبعي في اللفظة الفرنجية وغلط ترجمة في اللفظ العربي ، إذ لا محل لعمى البصيرة هنا . ولم تنتبه اللجنة الى تصويب هذا الخطأ .

997 Aquatique ذو ماء ، مائي ٩٩٧

والفظة تفيد ما هو منسوب الى المستنقع . وتستعمل في الغالب للحيوان أو النبات الذي يعيش في المنافع أو الجداول مما ينبغي أن تميز عن (Aqueux) كأن يقال مستنقعي أو منافعي .

1030 Aréole du mamelon لُغوة ١٠٣٠

والمشهور عنها السَّمدانة ، فقد جاء في المخصص : السَّمدانة ما اسود من الثدي حول الحلمة ، وفي اللسان : والسمدانة الشُّنْدُوَةُ ، وهو ما استدار من السواد حول الحَلَمَة ، وقال بعضهم : سمدانة الثدي ما أطاف به كالفلكة . ولم أهتد الى مصدر لُغوة .

1042 Ariboflavinose داء لاحيين ب ، داء اللاحيين الناجم عن نقص الريبوفلافين ١٠٤٢

وأدعوه عَوَز الريبوفلافين .

1043 Arithmomanie جنون حسابي ١٠٤٣

وأرجح وَلَع العَدّ ، لأن المصاب بهذا الخلل لا يفتأ يعد الأشياء ، ويشتغل في الأرقام دوماً .

1056 Arsenal thérapeutique دار صناعة الأدوية ، مصنع الأدوية ١٠٥٦

جاء في تعريف كلمة (Arsenal) مصنع الأسلحة ومدخرها ، على حين أن المراد بـ (Arsenal thérapeutique) ليس مصنع الأدوية كما ذهبت اليه اللجنة ، ولو كان ذلك هو المقصود لجاء بالفرنسية (Usine) أو (Fabrique) . والمراد هو جَعْبَة المداواة أو خزانتها[1] . وعلى ذلك نرى الترجمة الانكليزية

---

(١) كقولك ليس في جعبة أدويتنا أو مداواتنا أو خزانتها أفضل من العقار الفلاني في معالجة الداء الذي نحن بصدده (Il est le meilleur médicament dans notre arsenal thérapeutique) .

لهذا المصطلح في المعجم الأصلي هي (Therapeutique Armement) ومعناه السلاح الدوائي ، والترجمة الألمانية (Heilschatz) ومعناها خزانة الشفاء .

1124 Arthralgie, arthydie عُصاب المَفصِل ، ظُلاع ١١٢٤

ويعنى باللفظة الفرنجية ألم المَفصِل ووجعه . وأقر مجمع اللغة البدَل (ألم المفاصل) فقد جاء في اللسان : والبَدَل وجع في اليدين والرجلين ، بَدِل بالكسر يَبْدَل بَدَلاً فهو بَدِل اذا وَجِع يديه ورجليه .

أما استعمال اللجنة كلمة عُصاب فقد ذكرت اللجنة في الأسلوب الذي اتبعته في وضع المصطلحات (١) وزن فُعال للداء في حشى أو عضو لكباد وعُصاب وقلاب ، مما ينبغي معه تخصيص عُصاب بالألم العصبي (Névralgie) وألم المفصل لا صلة له بايلام العصب ، وأما ظُلاع فقد جاء في اللسان : الظَّلْع كالغَمْز ، ظَلَع الرجل والدابة في مشيه يَظْلَع ظَلْعاً عَرَج وغمز في مشيه ثم قال : والظُلاع داء يأخذ في قوائم الدواب والإبل من غير سير ولا تعب فتَظْلَع منه ، وطبيعي أن ألم المفصل أو المفاصل لا يشترط فيه أن يكون في الرجلين فكثيراً ما يبدو في اليدين .

1125 Arthrite التهاب المَفصِل ١١٢٥

أقر المجمع الرثية لهذا المصطلح ، والأفضل تخصيص الرثية للروماتيزما ، شأن ما فعلته اللجنة .

1127 Arthritisme, diathèse arthritique, bradytro-phique ou dystrophique حَرَض ، تأهب حَرَضي اغتذائي أو حَثَلي ١١٢٧

ويقصد من المصطلح الفرنجي (Arthritisme) التأهب المرضي الناجم عن الإبطاء في التطور الاغتذائي والبادي سريرياً بجملة حالات مرضية كالبدانة

(١) الصفحة ٩٣ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة انها تستعمل .

والداء السكري والرمال البولية والنقرس وغيره ، فهو إذن تأهب للإصابة بعض العلل لا علة معينة وخيمة . أما الحَرَض فقد جاء في اللسان أحرضه الحرض فهو حَرِض وحارض إذا فسد بدنه وأشرف على الهلاك وحَرَض يَحرِضُ ويَحرُض حَرْضاً وحُروضاً هلك . ويقال كَذَبَ كِذْبَة فأحرَضَ نفسه أي أهلكها وجاء يقول حَرَض هالك الى أن قال : وقال الفراء في قوله تعالى : «حتى تكون حَرَضاً أو تكون من الهالكين» . أقول مما يدل على أن الحَرَض في حالة الهلاك أو الاشراف عليها ، وليس الأمر كذلك في اللفظة الافرنجية .

لذا أرجح في ترجمة هذا المصطلح : تأهب مَفْصلي (لأن الآراء الحديثة تكاد تحصر التأهب في الإصابة المفصلية دون سواها وهكذا استبعد الداء السكري منه) إبطاء التغذية (bradytrophie) أو فساد التغذية (dystrophie) .

وبعد كتابة ما تقدم اطلعت على تصحيح ورد لهذه اللفظة لم أنتبه اليه ، وهو تصحيح اللجنة لحَرَض واستبدالها بـ قُفاص الذي لا يفيد المعنى المطلوب فقد جاء في اللسان والقُفاص داء يصيب الدواب فتيبسُ قوائمها .

١١٣١ مَرَض مفصلي Arthropathie 1131

ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللاحقة (pathie) باعتلال تمييزاً لها عن العلة (Affection) ، والمرض أو الداء (Maladie) فأقول اعتلال المفصل أو الاعتلال المفصلي ، ومن المعلوم أن العلة احدى ظاهرات المَرَض .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح



مختارات مما لم يُنشر

من شعر البحتري

- ٤ -

قال البحتري [١] يمدح الفتح بن خاقان [٢]، واقترح عليه هذا الوزن لأنه قيل له إنه ينتحل أشعار العرب :

أصُدودٌ غلا بها أم دلالُ يومَ زُمّتْ [٣] بِرامةَ [٤] الأجمالُ

---

(١) القصيدة من الخفيف، عدد أبياتها ٣٧، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ٣٣٤ ظ — ٣٣٥ ظ ؛ ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن عبد القاهر الجرجاني أثبت أحد أبياتها — البيت ١٩ — فيما اختاره من ديوان البحتري (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام بتحقيق السيد عبد العزيز الميمني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٧٠).

(٢) الفتح بن خاقان صاحب المتوكل وأمين سره وقد قتل معه عام ٢٤٧ هـ، وهو أديب شاعر من كبار مثقفي القرن الثالث ؛ كان يملك خزانة كتب حافلة، وله ألف البحتري (كتاب الحماسة) على نهج حماسة أبي تمام، ومدحه بما يقرب من ثلاثين قصيدة (راجع ترجمته في الفهرست، مصر ١٣٤٨ هـ ص ١٦٩ — ١٧٠ ؛ ومعجم الأدباء لياقوت، المأمون ١٩٣٦ م ج ١٦/ ١٧٤ — ١٨٦ ؛ وفوات الوفيات، مصر ١٩٥١ ج ٣/٢٤٦ — ٢٤٧ ؛ وانظر الفصل الرابع من كتاب أخبار البحتري : ٨٣ — ٩٩).

(٣) زَمَّ البعيرَ : خَطَمه بالزمام.

(٤) موضع بالبادية، قيل بالعقيق، وقيل وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة، وقيل إنه من ديار بني عامر. (راجع المحيط وما على الهامش من تعليقات).

أعرَضَتْ عطفَةَ القضيبِ وحادَتْ[١] من قريبٍ كما يَحيدُ الغزالُ
عَهِدَتني وللشّبيبةِ سِربا لٌ جديدٌ فأنْهجَ[٢] السّربالُ
ورأتني تَداركَ الحِلمُ مِنّي وتَناهَى عن عَذلِيَ العُذّالُ
إنْ يَعُدْ هجرُها جديداً فقد كا نَ جديداً منها ومنّا الوِصالُ
إذْ حواشي الزمانِ خُضرٌ رِقاقٌ وقَناةُ الأيامِ فيها اعتدالُ
ولَنا بالكثيبِ من جنبِ حُزْوى[٣] أَنسٌ[٤] قاطنٌ وحَيٌّ حِلالُ
ذكّرتني الرسومُ والأطلالُ صَبَواتٍ ذِكري لهنّ ضلالُ
تَلَفُ الحِلمِ أنْ يُطاعَ التصابي ورَدَى اللهوِ أنْ يَشيبَ القذالُ[٥]
أبرحَ[٦] العيشُ فالمشيبُ قذًى في أعينِ البيضِ[٧] والشبابُ جمالُ
تَوّلينا وأين منكِ النّوالُ وَعِدِينا ووَعْدُ مثلكِ آلُ[٨]

---

(١) حاد عن الشيء يحيد : صدّ عنه وعدل .

(٢) أنهج الثوب : إذا أخذ في البِلى ولم ينشقق .

(٣) حُزوى : موضع بنجد في ديار تميم ، وقيل هو جبلٌ من جبال الدهناء (معجم البلدان ، بيروت : ٢/ ٢٥٥) .

(٤) الأَنسُ : الناسُ والحيّ المقيمون ، والأَنس ضدّ الوحشة .

(٥) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٦) أبرَحَ : آذى وآلمَ وعذّب .

(٧) كناية عن النساء .

(٨) سرابٌ خادع .

أنا راضٍ بأن تجودي بقولٍ كاذبٍ أو يُطيفَ منكِ خيالُ
أيها المبتغي مُساجَلةَ الفتــــح حَاوَلتَ نَيلَ ما لا يُنالُ
أين تلك الأخلاقُ منكَ إذا رُمْـ ـتَ مداها وأين تلك الخِلالُ
لن تُجارَى البحارُ حينَ يجيشُ الـــمَدُّ فيها ولن تُوازَى الجبالُ
يَبعُدُ البائنُ (١) المُبَرِّزُ فوتاً وتَدانَى (٢) الضُّروبُ والأشكالُ
لم تُسَلِّمْ لهُ المقادةَ حتّى عرفتْ فضلَهُ عليها الرّجالُ
رفعتْ مجدَها (٣) عليه تَنُوخٌ فله فوق غيرِهِ إطلالُ
قائلٌ فاعلٌ وليس يكونُ الـــقولُ مجداً حتى يكونَ الفَعالُ (٤)
وصحيحُ السّماحِ بينَ أناسٍ في سَجاياهُمُ علينا اعتلالُ
ثابتٌ في المَكَرِّ إن زاحَ (٥) للفرسانِ عن جانبِ الصريعِ مجالُ
ملكٌ يستقِلُّ في رأيهِ المُلـــكُ ويحيا في فضلهِ الإفضالُ
وإذا ما حللتَ رَبعَ أبي الفضـــلِ نَمَّ السّماحُ والإبلالُ
مُتَعَلٍّ على الخطوبِ إذ (٦) العا ثرُ كابٍ في صرفِها ما يُقالُ

(١) الغالب في الفضل والمزية .
(٢) بحذف التاء : تتدانى = تتقارب .
(٣) في الأصل : بجده .
(٤) اختار الجرجاني هذا البيت في مختاره .
(٥) تباعد ، وفي الأصل : راح للفرسان عن جانب الصريع محال .
(٦) في الأصل : إذا .

ومقيمٌ صَغَا (١) الأمور وفيها حِيَدٌ (٢) عن جهاتها وانفتالُ
مُتَحَرٍّ (٣) عُلَى الخلافة ما ينـ ـقُصُ في حظها ولا يغتالُ
شاهرٌ دونَ حَقِّها عَزَمات تتحامى مكروهَها الأبطالُ
وسيوفًا إيماضُها أوجالٌ للأعادي ووقعُها آجالُ
مرهفات لها ، إذا أظلم النقْـ ـعُ عليها ، توقّدٌ واشتعالُ
أبداً يَستَجِدُّ منها حديثا نِ : دمٌ من عدُوِّه وصِقالُ
كلّما جئتَـهُ تعرّفتَ مجْداً مُستفاداً للطرف فيه مُخالُ (٤)
حيث لا تَدْفَعُ الحقوقَ المعاذيـ ـرُ ولا يَسْبِقُ العطاء السؤالُ
أعوزتْ من سواكَ عارفةُ الجو دِ وخابتْ في غيرِكَ الآمالُ
أنا من بَلَّهُ نداك وأعلت منه آلاؤكَ العِراضُ الطِوالُ
وتولّتهُ أنعمٌ منكَ يُحمَلْـ ـنَ خفافًا وهُنّ وِقْرٌ (٥) ثِقالُ
مالئاتٌ بذكركَ الأرضَ شكراً وثناءٌ وسيرُها أرْسالُ (٦)
طالعاتٌ تلك النجادَ ففي كُلِّ مَقامٍ لهنَّ فيكَ مَقالُ

* * *

(١) الصغا : الميل .

(٢) جمع حَيَد : اعوجاج والتواء .

(٣) تحرّى الأمر : قصده وتوخاه واجتهد في طلبه وفي الأصل : متحن .

(٤) في الأصل : محال ، ومخال من أخال فيه : تفرّس وتوسّم .

(٥) الوِقر : الحِمل الثقيل .

(٦) أفواج بعد أفواج .

ملاحظات ونظرات

١ — للبحتري في الفتح بن خاقان شعر كثير ، أكثره في ديوانه المطبوع ، والذي لا يزال مخطوطاً منه قليل لا يزيد على ثلاث قصائد ، منها هذه القصيدة التي تنشر لأول مرة .

٢ — أول اتصال للبحتري بالفتح كان في سنة ٢٣٣ هـ — كما يذكر الصولي في أخبار البحتري ص ٨٣ — وقد لقي الشاعر من ممدوحه تشجيعاً أثار عليه نقمة حسّاده الكثيرين ، فراحوا يكيدون له عنده ، ويتهمونه بانتحال أشعار العرب ، وقد كانت هذه القصيدة امتحاناً لشاعرية البحتري ، ذلك أن الفتح اقترح عليه وزنها ، وقد دلّل الشاعر بنجاحه فيها على أصالة موهبته وامتلاكه لناصية فنه ، وحُقّ له أن يقول في قصيدة أخرى يمدح بها الفتح ، ولا تزال مخطوطة أيضاً :

إذا كساني الفتح أثواب الغنى ... فكسوتي إياه مدحٌ منتخبٌ
قصائد تطرب من تهدى له ... ولذةُ النفس من العيش الطرب
لم أستعرْ حليتها يوماً ولا ... أغرتُ حين قلتُها على الكتب

(مخطوطة باريس : الورقة ٣٩ و — ظ) .

٣ — ولهذا نرجح أن يكون تاريخ نظم القصيدة في الفترة الأولى من اتصال البحتري بالفتح ، عام ٢٣٣ هـ ، وقبل أن يتيقن الفتح من أصالة موهبة البحتري وغنى طاقته الشعرية .

٤ — تقع القصيدة في قسمين متميزين : نسيب ومديح .

أما النسيب فيشغل الأبيات (١ — ١٢) وهو غزل تقليدي يتحدث في رشاقة وبراعة عن صد المحبوبة ودلالها وهجرها وإعراضها عن الشاعر منذ ولّى شبابه ، وأصبحت الصبوات من بعد ذلك ذكريات حلوة تهيجها الأطلال والرسوم ، وأمسى الشاعر يقنع بالوعد الكاذب والخيال الزائر .

وأما المديح فيشغل بقية الأبيات (١٣ — ٣٧) وقد أغناه البحتري بكثرة الصور

وتنوعها ، وفيها يمجّد أخلاق الفتح وسجاياه ، فهو فرد لا نظير له ، عرف الجميع فضله فأسلموا له المقادة ، وهو قوّال فعّال ، سمح شجاع صائب الرأي ، كريم مضياف ، لا تنال منه الخطوب ، مصلح يقوّم اعوجاج الأمور ، ويحمي أمجاد الخلافة بعزماته وجهاده وحروبه ، وهو سخيٌّ يسبق عطاؤه سؤاله ، والشاعر غارق في فيض من آلائه وعطاياه ، شاكر حامد ، لا يفتر عن الحمد والثناء .

٥ — الانتقال من النسيب إلى المديح انتقال مفاجئٌ ، وتلك عادة من البحتري ألفناها منه ، وقد أهمل في المديح تمجيد شرف نسب ممدوحه ، ووفّى العنصرين الآخرين (الكرم والشجاعة) تصويراً وتلويناً ، وأبرز دور الفتح في دعم الخلافة وإسهامه في تدبير أمورها ، ولم يكن الشاعر في كل ذلك مغالياً ، فالفتح بن خاقان كان دون ريب من أخطر شخصيات عهد المتوكل وأشدها وعياً وأحكمها سياسة وتدبيراً .

٦ — تمتاز القصيدة بالصنعة الكثيرة المتألقة ، ففيها فيضٌ من التشابيه والاستعارات والمحسنات البديعية ، وذلك تأثير أبي تمام في تلميذه البحتري لا يزال غضاً شديد الوضوح ، ولمّا تمض على وفاة (الأستاذ) — كما كان البحتري يسمي أبا تمام — سنةٌ وبعض السنة ، وسيتحلل الشاعر كلّما امتد به العمر من طوابع مدرسة أبي تمام ومياسمها حتى يصبح الطبع غلاّباً على الصنعة في فنه .

٧ — تظهرنا القصيدة على مقدار الجهد الفني الذي بذله البحتري في نظمها ، ففي النسيب وحده ثلاثة أبيات مصرّعة (الأول والثامن والحادي عشر) وأكثر القوافي فيه مرشحة ، والصور تزدحم في القصيدة كلها في إحكام متين ، وإيجاز خاطف ، وعرض حي مثير ، وليس هذا عجيباً فهذه القصيدة التي يختبر بها الفتح شاعرية مدّاحه هي أجود ما تستطيع عبقرية البحتري أن تتمخض عنه آنذاك ، وما كان للشاعر إلا أن يفجّر كل طاقته وإمكاناته التي يمتلكها إلى ذلك اليوم ، وهو يثبت للتحدي ، ويخوض معركته الحاسمة مع حسّاده ، مناضلاً في سبيل مستقبله ومجده الأدبي في بغداد .

٨ — القصيدة إذاً من جيّد شعر البحتري ومختاره ، وكفى البحتريَّ فخراً أن يقول مثل هذا الشعر وهو شابٌّ لمّا يبلغ الثلاثين !

- ٥ -

قال البحتري [١] يرثي أمّ المتوكل [٢] :

غُروبُ [٣] دمعٍ من الأجفانِ تَنْهَمِلُ ... وَحُرْقةٌ بِغَليلِ الحُزْنِ تَشْتَعِلُ

وليس يُطفئُ نارَ الحزنِ إذ وَقَدَتْ ... على الجوانحِ إلاّ الواكفُ [٤] الخَضِلُ [٥]

إنْ لَجَّ حُزْنٌ فلا بِدْعٌ ولا عَجَبٌ ... وَقلَّ صبرٌ فلا لومٌ ولا عَذَلُ

---

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها عشرون ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة : ٣٤٩ ظ — ٣٥٠ و ؛ ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن المعري يذكر الشطر الأول من المطلع والبيت ١٦ منها في عبث الوليد (مطبعة الترقي بدمشق ١٩٣٦ : ص ١٦٩ — ١٧٠) .

(٢) أم المتوكل خوارزمية اسمها شجاع ، كانت أم ولد ، وكانت تدعى السيدة ، ويذكر ابن تغري بردي أنها « كانت صالحة كثيرة الصدقات والمعروف » وقد حزن المتوكل لوفاتها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها لست خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ، وقتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر (راجع النجوم الزاهرة : مصر ج ٢/٣٢٣ ومروج الذهب للمسعودي مصر البهية ١٣٤٦ هـ ج ٣/٣٦٨ ، ٣٩١ وتاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٤٧ هـ) .

(٣) جمع غَرْب : الدلو العظيمة ، والدمع وسيله أو انهلاله من العين أو الفيضة منه .

(٤) الدمع السائل .

(٥) الندي المبتل .

عَمْري لقد نَدَحَ الخطبُ الذي طرَقتْ ... بِهِ الليالي وجَلَّ الحادثُ الجَلَلُ
لِلّهِ أيُّ يدٍ بانَ الحِمامُ بها ... منّا وأيّةُ نفسٍ غالَها الأجلُ
سيّدةَ الناسِ[1] حقّاً بعدَ سيّدِهمِ ... ومن لها الآثارُ السُّبَّقُ الأُوَلُ
جرى لها قَدَرٌ حَتْمٌ فحلَّ بها ... مكروهُهُ وقضاءٌ مُوشِكٌ عَجِلُ
فكلُّ عينٍ لها من عَبْرةٍ دِرَرٌ[2] ... وكلُّ قلبٍ له من حسرةٍ شُغُلُ
عمَّ البكاءُ لها من[3] المُصاب بها ... كما يَعُمُّ سحابُ الدِّيمةِ الهَطِلُ
فالشرقُ والغربُ مغموران من أسفٍ ... باقٍ لفقدانها والسهلُ والجبلُ
مَثُوبةُ اللهِ مِمّا فارقتْ عِوَضٌ ... وجنّةُ الخُلدِ مِمّا خلّفتْ بَدَلُ
قُل للإمامِ الذي آلاؤُه جُمَلٌ ... وبِشْرُهُ أملٌ وسُخْطُهُ وَجَلُ
لكَ البقاءُ على الأيامِ يُقْتَبَلُ[4] ... والعُمْرُ يمتدُّ بالنُّعمى ويتّصِلُ
والناسُ كلُّهمُ في كلِّ حادثةٍ ... فداءُ نفسِكَ أن يغتالكَ الزَّلَلُ
إذا بقيتَ لدينِ اللهِ تكلؤُهُ ... فكلُّ رُزْءٍ صغيرُ القَدْرِ مُحْتَمَلُ

(١) في النجوم الزاهرة أنّ أمّ المتوكل كانت تُدعى السيدة ، كما قدمنا ، وإلى هذا يشير البحتري هنا .

(٢) في أساس البلاغة : سحابة مِدرار ولها دِرّةٌ ودِرَرٌ .

(٣) في الأصل : والمصاب ، ولا يستقيم به الوزن .

(٤) يُستأنف ، اقتبل البقاء : استأنفه .

لئن رُزِئْتَ التي ما مثلها امرأةٌ[١] لقد أُتيتَ الذي لم يُؤْتَهُ[٢] رَجُلُ
صبراً ومعرفةً بالله صادقةً والصبرُ أجملُ ثوبٍ حين يُبْتَذَلُ[٣]
عَزَّيتَ نفسكَ[٤] عنها بالنبيِّ وما في الخُلدِ بعد النبيِّ المصطفى أَمَلُ
وكيف نرجو خُلوداً لم يُخَصَّ به من قبلنا أنبيــاءُ اللهِ والرُّسُلُ
عَمَّرَكَ اللهُ في النَّعماءِ مُبتهجاً بها وأعطاكَ منها فوق ما تَسَلُ

* * *

(١) كذا في المخطوطة الباريسية ، وفي عبث الوليد (مَرَة) وتعليق المعري يقول فيه : (قد جمع أبو عبادة في قوله « مَرَة » بين شيئين ، تخفيف الهمزة التي في قولك « مرأة » ، وحذف الهمزة الأولى التي هي همزة الوصل ، وهذا جائز على قلته ، ومنه قول بعض اللصوص:
ولستُ أرى مَرْءاً تطول حياتُه فتُبقي له الأيامُ خالاً ولا عمَّا)
ومنه أيضاً قول دعبل الخزاعي معاصر البحتري وصديقه :
فاحفظ عشيرتك الأدنين إنّ لهم حقاً يفرّق بين الزوج والمَرَةِ
(الكامل للمبرد ، طبعة المبارك وشاكر ١٣٥٥ هـ : ج ١/ ٣٥٤) .
(٢) في الأصل : يأته ، وأثبتنا ما جاء في عبث الوليد ، وقد علّق المعري على قول البحتري (أُتيتَ) بمعنى (أُوتيت) فهي كلمة لم تُستعمل لذاك ، وخيرٌ للبحتري أن يقول (فقد حُبيتَ) .
(٣) ابتذل الثوب : لبسه .
(٤) يشير البحتري هنا إلى قول المتوكل عند وفاة أمه ، فقد ذكروا أنه قال في موتها بيتاً من الشعر ، وهو :
تذكّرتُ لمّا فرّق الدهرُ بيننا فعزّيتُ نفسي بالنبي محمد
وقد أجازه له بعض من حضر فقال :
فقلت لها إن المنايا سبيلُنا فمن لم يمت في يومه مات في غدِ
(انظر النجوم الزاهرة : ٢/٣٢٣) .

ملاحظات ونظرات

١ – لم يَرِد لأم المتوكل في شعر البحتري ذكرٌ في غير هذه المرثية التي بكاها بها في حياة ولدها ، فأدى بذلك واجب الشاعر الرسمي للخليفة ، وإن لم يكن للحدث الحزن صلة بقلبه ووجدانه ، على أن أم المتوكل كانت – فيما يحكيه المؤرخون عنهـا – سيدةً جليلة صالحة ، تبسط يدها في الإحسـان إلى الفقراء من مالها ، وكانت أحزان المتوكل لوفاتها عميقةً ، أنطقته بالشعر الحزين بكاءً عليها ، ولهذا كان المأمول من شاعر الخليفة أن يُعمِّق إحساسه بآلام سيده وأن يتمثلها وأن يجد السبيل الى قولٍ مغموس بدم القلب ، لولا أن البحتري من طبيعة نفسية مرحة ، تنفر من الكآبة ، وتستعصي على المشاركة الوجدانية الصادقة في مآسي الآخرين .

٢ – تاريخ نظم القصيدة سهل التحديد ، فقـد توفيت أم المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، ولحق المتوكل بها بعد ستة أشهر من وفاتها ، وفي خلال هذه الفترة دون ريب نظم البحتري هذه المرثية .

٣ – إذا استثنينا من مراثي البحتري قصيدتين هما رائيته في المتوكل وميميته في أبناء حُميد الطوسي (الديوان : الجوائب : ١/٢٨ ، ٢/٥٥) لم نجد للبحتري إبداعاً في الرثاء ، ذلك أن الشاعر كان يبكي في هاتين المرثيتين نفسه ويندب أفول مجده بمصرع المتوكل والقادة الطائيين من آل حميدٍ ، فجاء رثاؤه هنـا صادق اللوعة ، يفيض وفاءً ويتدفق إخلاصاً وجدّةً وأصالة ؛ أما مراثيه الأخرى فهي قصائد يابسة لا تخرج على النهج التقليدي لمرثية ، والبحتري يستهلها غالباً بتعظيم الرزء ، وذم الدهر الخوّان ، والتوجع من صروفه قبل أن يصل إلى الفقيد فيعدد مناقبه ويصوّر الفراغ الكبير الذي خلفه بوفاته ويصف الحزن الطاغي لفقده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهل الفقيد فيعزيهم ويمدحهم ، وبذلك يصبح الرثاء جسراً إلى المديح ، ويتخلص الشاعر من كآبة جو الموت ، باحثاً بعينيه النهمتين أبداً إلى المال عن ممدوح جديد سخيٍ ، من أهل الراحل ، يحل محله ، ويجزي الحمد بالثمن الربيح .

٤ – ورثاء البحتري لأم المتوكل يجمع هذه الخطوط العامة التقليدية ، ذلك أننا نلاحظ في القصيدة الأقسام الثلاثة التالية :

أ – تصوير الحزن وتعظيم المصاب : ويشغل الأبيات (١ – ٤) فالدمع سكوب ، والحزن مشتعل الحرقة ، والصبر مفلول عند هذا الحادث الجلل .

ب – تمجيد الفقيدة : ويشغل الأبيات (٥ – ١١) فقد كانت ذات يد كريمة ونفس طيبة ، وكانت سيدة الناس بمآثرها ، فأرداها الموت ، فبكتها العيون والقلوب ، وعمّ الحزن الناس في الشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ودعوا أن يثيبها الله الجنة .

ج – تعزية الخليفة ومدحه : ويشغل الأبيات الباقية (١٢ – ٢٠) والبحتري يصف هنا آلاء الخليفة وبشره وهيبته ، ويدعو له بطول العمر ، ذلك أن بقاءه بقاء للدين ، وكل خطب هيّن بعده ، والمتوكل قد أوتي الصبر والإيمان فعزّى نفسه عن أمه بالنبي ، وكيف يرجو لها خلوداً لم ينله قبلها الأنبياء ! ويسأل الشاعر الله أخيراً أن يمد في حياة الخليفة ويزيده نعمة وبهجة ، وأن يعطيه فوق ما يسأل .

٥ – في القسمين الأول والثاني وصف للحزن بلهجة تقريرية جافة ومبالغات بائسة تجعل الحداد شاملاً للشرق والغرب ، والسهل والجبل ! ولم يوفق البحتري إلى أن يخفي بهذا الطلاء فقر انفعاله وقصور عاطفته ونفور وجدانه من الانغماس في الجو الحزين القاتم الذي يرسم خطوطه ؛ أما القسم الأخير فيكاد يكون مديحاً خالصاً للخليفة ، مقطوع الصلة بالإطار الأسود الذي تقدمه ، ذلك أننا نرى الشاعر فيه وقد برقت أساريره فذكر البشر والنعماء والبهجة ، وكأنه نسي ما كان يسكبه من (غروب الدمع) وما كان يُشعله من (غليل الحزن) .

٦ – هذه القصيدة لا تقع دون الحسن من شعر البحتري وإن لم تلحق بالجيد المختار منه ، ولو لم تكن مرثية ، والرثاء الحق نبعة تفور من أعماق القلب ، لنجت من أكثر المساوئ التي أشرنا إليها .

(يتبع) الدكتور صالح الأشتر

كـتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي

- ٧ -

الفصل السادس

القولُ في الشمّ

والشمّ هو إدراك معنى المشموم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف . وقد يجب أن نسلك ذلك السَنَن فنفحص عن القابل الأول للمشموم ما هو ؟ فبذلك يتبين لنا ما هو الشمّ بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في البصر . فإن اللون هو المرئي ، والقابل الأوّل هو البسيط . ويشبه أن تكون الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه الحاسة [١] أشد ضرورة في سلامة المتغذي من الأوّلين . ويحقّ [٢] كان ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجبان تغيّر الممتزج ، لما يوجدان [٣] للممتزج لا بالعرض < و > لا بالذات . وان اللون لا يتبع المزاج كما تبين ذلك في مواضع أخر . وقد لخص ذلك الإسكندر الأفروديسي [٤] .

---

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : غير .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابو عثمان الدمشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بخزانة اسكوريال ، ميسود ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic—Hispana Escurialensis. vol.. I. p 242. Foll . 69 b—17 a) . ولقد جهدتُ لحصول نسخته الشمسية ولكنهم رفضوا الطلب وقالوا إن الأب "مرّاتا" يريد ان ينشر هذا الكتاب بتحقيقه . ولكن ابن باجة يشير هنا الى تصنيفه المسمّى « بمقالة الاسكندر في اللون وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في محتويات نسخة برلين المفقودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften.., vol IV. No. 5060 .

والمشموم الأول هو الرائحة . فلنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو ممتزج فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج [١] يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدّم بالطبع ، ذاتيّ فبيّن أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصفح انما وقع لبعضها ووقع اليقين في الكل . والأمر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، انها إنما تصير يقينية في زمان وهي مباينة للأزمان في الكثرة والقلة ، فإنا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فاذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملاقاة المطر له ، ولا سيما متى كان المطر من سحاب قريب فانه عند ذلك يكون حارّاً وربما كان ثلجاً .

وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحةَ فتكاد الرائحة أن تكون هي طعماً ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه [٢] كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقتربت بها [٣] رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة [٤] لأن الحيوان إليها أحوج .

ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس [٥] حتى يستنشق [٦] وهو

(١) هذا الرأي أيّده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) واجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 b 24 sq; 444 b 1 — 14; 30 — 445 a .

(٣) لعل الصواب : اذا اقترنت بها ، او اذا اقتربت منها . (لجنة المجلة)

(٤) واجع أرسطو : De An. ii. 9. 421 a 9 .

(٥) المخطوطة : لا يحس .

(٦) واجع ارسطو : De An. ii. 7. 419 b 1 .

ما كان له رئة [١] . فإنه لو وضع ذا [٢] الرائحة على الأنف لما أحس [٣] حتى يستنشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستنشق بقدر لا تحركه [٤] هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب [٥] لا ينفتح . فاذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعةً بل يتنفس في زمان طويل أو جعل التنفس متلبثاً .

ومما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

(١) أيضا : De An ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b I sq. .

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس فانها لا تدرك كل ما يلاصقها ، راجع ارسطو : De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥١ س ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous. 95 ورقة ٤٧ الف س ٢٠ : « واين حواس ديگرراكه وصف كرديم نه چنين باشدكه اين حواس تادرهوادرميان نباشد محسوسات خردرانيابد ، چون حس بينائى وشنوائى وبويائىكه اگر مردم چيزديدنى رابر حدقه چشم نهدنه بيد ، واگرچيز آواز دهنده بريوست درون گوش نهد آوازآن نتواند شنيد واگرچيز بويارا ظاهر بجراى بينى نهد بوى ان نيابد .

(٤) بقدر لا يحركه . (لجنة المجلة)

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه زعم ان حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما ان البصر له غشاء في العين يحفظها . (De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة تيقن به ، لعله أخذه مما كتبه أرسطو في كتاب الحاس والمحسوس (5. 444 b 21 — 25) ان الحيوانات التي تتنفس يزول فيهم شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ، والحيوانات التي لا تتنفس لا يزال هذا المانع فيها مرتفعا ، راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما ديگرجانوران كه راه گذريني دارند بالاى گذرگاه حجابى بود شان كه هوارا بازدارد ازرسيدن بدان منافذ مگر انكه بركشند وبجنبا نندوهمچنين نتوانندديد مگر كه چشم بكشايند » .

إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات ولكثير من المطبوخات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس [١] . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشتبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع [٢] . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها [٣] وقوابلها [٤] ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك [٥] تانك الحاستان الأطوالَ والأشكالَ أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع أخر ، وقلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والفضة ، وما هو ينضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بعموم وخصوص ، فإذا قيل بعموم كان كالجنس للشيء والطبخ ؛ وإذا قيل بخصوص كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويبس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبوسة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحةُ ، وقد تلخص أمرها في الحاسّ والمحسوس [٦] .

---

(١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 21 — 30 .

(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .

(٣) المخطوطة : محسوساتها .

(٤) المخطوطة : قوابلها .

(٥) المخطوطة : تامل .

(٦) بيّن ابن باجة غاية الشم في كتاب الحس : De Sensu. 5. 443 a 7 .

وتبين أن الرائحة تكون عندما تفسل [١] الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوان وفي الأحجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة الممتزجة باليبوسة التي قد أنضجتها الحرارة ـ ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة للقوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى دُلّك ذو الرائحة أو فرّك [٢] وبالجملة إذا اسخن ظهرت رائحته [٣] . فإن الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكتفي بذلك مثل المسك واللُبنى السائلة [٤] ، وقد لا تكتفي فتحتاج الى حرارة أخرى كعود الطيب [٥] والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشمّ هو إدراك معنى المشموم ، وكان وجود المشموم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشموم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشمّ إلاّ بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشموم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم [٦] بالعرض . فتميزت له جهة الشم [٧] بالقصد الثاني .

(١) راجع أرسطو : De Sensu, 5. 443 a 1; b 3; 445 a 14; 4. 441 b 18 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس . الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، ص ٦ وحس بوياني همان شناسد كه موافق وخوش بود ويا مخالف وناخوش ، وتتواندكه بوى گل‌را ازبوى ميعه جدا كندوته بوى صبررا ازبوى منويل كه مين دايم كديوبهاى ناخوشت يابويهاى ناخوش .

(٥) مشهور بالعود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشموم .

(٧) المخطوطة : المشموم .

الفصل السابع
القول في الطعْم

وقد تبين وجود الطعم أيّ وجود وجوده[(١)]، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب، ولا في يابس، ولذلك لا يوجد للرماد ولا للماء الصرف ولا للهواء. ولذلك يوجد لماء البحر طعمٌ ولماء الآجام لليبوسة التي تخالط تلك المياه.

فهيولى الطعم الرطوبة[(٢)]، ولذلك متى يبست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالبُ عليها[(٣)] اليبس، وتجد لذلك طعم الرطب. فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللونَ. وتحرك الرطوبة حاسة الذوق[(٤)]. ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية. فالرطوبة يفتقر اليها الطعم أما أولاً ففي[(٥)] أن يكون موجوداً، وثانياً لأن يكون محسوساً.

ولذلك جعلت النغانغ[(٦)] لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق.

(١) راجع النص نفسه، ورقة ١٥٩ الف، ... فا حدث عن ذلك الرائحة الخ.

(٢) قال ارسطو إن الجسم المشموم والمطعوم يتعلق بشيء سائل: De An. ii. 10. 422 a 10.

(٣) المخطوطة: عليه.

(٤) راجع أرسطو.

(٥) المخطوطة: هي.

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « ان هذه القوة ليست تحتاج الى متوسط »، واستدل قائلا « فمن هذه الاشياء كلها قد يظهر ايضا ان هذه الحاسة انما تدرك محسوسها بتوسط هو هذه الرطوبة، وقد صرح بذلك ابو بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وثامسطيوس »، الاهواني، ص ٤١.

وهي ممتزجة من يبس ورطوبة نحواً من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير [١] ذات طعم لئلا يعوّق طعمها قبول طعوم المتضادة لها [٢] . فلذلك يجد المحموم الطعوم كلها مرّة [٣] ، لأن الرطوبة التي في فمه مرة لمخالطة الدخان اياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع .

والطعم ضروري في الحيوان [٤] ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصداف واسفنج البحر . ويشبه أن تكون هذه تكتفي باللمس في اغتذائها لبعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات .

ولذلك لا يحس الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألذّ وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحرّ وأبرد ، وذلك بيّن بنفسه .

* * *

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك الملموس . والملموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة [٥] ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلا أنها في موضوع واحد .

---

(١) المخطوطة : تكرّر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التعبير : الطعوم المضادة لها . (لجنة المجلة)

(٣) راجع ارسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) ايضا : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu. I. 436 b 13 .

(٥) وابن باجة اوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللمس قد يظن به انه اصناف كثيرة ، فان اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت او اكثر من واحدة فهي اللحم وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا الحس يحتاج اللحم اكثر مما يحتاج اليه غيره ولذلك كان الانسان احسن لمسا من سائر الحيوان لان اللحم فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فلوس ولا خزف بل الجلد » . وقد أشار الى هـذا أرسطو حينما قال (De An. ii. 422 b 18) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كان مجموعا لحواس فلا بد من أن يكون الملموس اكثر من واحد » .

وهـذه الحاسة هي شايعة [1] في بدن الإنسان ، وليس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له [2] . فإن الجلد ليس فيـه الحاس الأول [3] لأنه اذا كشط أحسّ اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أحرى أن يظن به أنه أشد لمساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ؛ هي التي لا يخلو [4] منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا تخلو [5] <من> أن يكون لها لمسٌ .

ولما كانت الملموسات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد [6] ،

(١) وبيّن ابن باجة ايضا ، (ورقة ٩٥ الف) . وهـذه القوة (أي قوة اللمس) ليس لها موضوع منفرد كالعين للبصر والمنخر للشم وثقب الأذن للسمع بل تجدها شايعة في الجسد كله ومحيطة به .

(٢) وراجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل الأعضاء كاللمس وآلته اللحم او ما يقوم مقامه فيوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأمّا ان يكـــون منفرداً كالحواس الاربع . وانظـــر أرسطو : De An. II. 422 b 20; 423 a 13 .

(٣) استدلّ ابن باجّة قائلا : ورقة ٩٦ الف : فجلد الانسان فقد يظن به أنه الحاسّ الاوّل واما انه ليس الحاسّ الأوّل فذلك بيّن لأن اللحم يحس دون الجلد اكثر مما يحس والجلد عليه .

(٤) المخطوطة : لا يخلوا .

(٥) المخطوطة : ولا تخلوا .

(٦) ايضا ابن باجة ورقة ٨٧ الف : : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) فهو جسم ملموس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المشاهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب الى البسايط ظن بأن المعرفة بما تشاهد ليست مكتفية بنفسها على ان تردف بالقول . فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور محسوسة فهي موجودة . وهذا علم اول مكتف بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضوع واحد وان قوام جسم وصورته من حيث هو ما هو است واسطة منها . وانواع الأجسام المشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الاربع لا يخلو جسم منها : ارسطو : 423. 27 .

يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > التضادّان ليس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمتضادّين (١) . وقد يعرض للمتضادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض والأسود ، والأبيض موضوع البراق والابراق (٢) ، والضوء طرفاه الثقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير .

وكما أن تلك حاسة واحدة تتبعها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس (٣) .

وبالجملة فإن القوى تتبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها (٤) موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول .

[ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كاين فاسداً فهو ملموس . ولا يخلو (٥) الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لا لون له (٦) ويوجد جسمٌ لا صوت له وذلك في الرايحة والطعم ، فلذلك اتخذت

---

(١) راجع ارسطو : De An. II. 424 a 7 .

(٢) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٦ ، حيدراباد ص ٤٠ .

(٣) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقيل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ، فان هذه افعال اولية للمس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٤) المخطوطة : فان ما لا واحد منها .

(٥) المخطوطة : لا يخلوا .

(٦) هذا مخالف لما قال ارسطو في De Sensu. 6. 445 b 12 ، وانظر ايضاً : De An. II. 7. 418 b 27 — 30 .

آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يمكن ذلك كانت من المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظنّ جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصله الأجسام التي يسميها أرسطو سيلا ويسميها جالينوس عصباً لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أيّ عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمسٌ ، ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضوارب وهي مملوءة من الروح الغريزي .

فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفاً ، فإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطاً يخالطه الضد ، فتلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك تصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرائين وتصير عليه الشبكة المشيمية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس[1] . والمحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

(١) راجع ارسطو : De Sensu. VI. 446 a 21

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشمّ ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب [١] هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يسلم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يماس السمك [٢] في الماء < بغير الماء > ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تنسلخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحس [٣] بذلك .

واللمس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحار والبارد ، وكما يحس بتوسط المكاز [٤] مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلسنا نحس كل أنواع الملموس ، فإنا لانحس بتوسط المكاز لا الحار ولا البارد . بل إنما نحس بالصلب واللين . ونلمس الحار والبارد عندما يغشى الجلد ، وليس إنما يكون الغشاء يخدم بل ينفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .

وأما هل حاسة اللمس هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس يتبين [٥] ،

---

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ؛ والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفت حاسه لمس ملموس راعيانجى هوادريابد ليكن هوا پوشيده بودودرين مثل زد گفت : اگر كسى دست بآب فروبرد وبيرون آورد بدست سنگى را بر گيرد چارميان سنگ ودست آب بود ليكن پنهان ازغايت لطافتش پس چون آب بتوسط ميتواند بودميان دست وآنچه بدست گيردني آنكه تتوان ديداز لطافت هواسزوارتر كه‌در توسط پوشيده ماندكه هوا از آب بسى لطيفتراست » . وابن رشد اقرب الى ابن باجة واظهر في البيان ، تلخيص : الاهواني ص ٥٥ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احس ، وبالهامش : « احرى » .

(٤) المخطوطة : المهار ، وبالهامش : « المكاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : على ما لشاهد ان الحس في اللحم ، ولا يبالي ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الغريزي ? واللحم له آلة » . ايضا ارسطو : Hist. An. I. 489 a 24

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم ·

والملموسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة · فإن لها قوى شايعة في الجسم[١] ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم · فلذلك تدرك اللامسةُ الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر ·

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه وإن وجدت فسيكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن يكون محركاً جسمانياً · ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس[٢] ولذلك لا يمكن أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك[٣] أشياء · فأمّا الحاس الذي يدركها فسنبين أمره بعد · وأيضاً فإنه إن كان ها هنا حاسة سادسة[٤] وجب ضرورة أن تكون لحيوان مَا ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير الإنسان ، فإنما للإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً ناقصاً[٥] · ومحال أن يوجد للناقص ما لا يوجد للتامّ · وقد تلخص في أول

---

(١) ايضا ارسطو : DeAn. III. 13. 435 a 20 : De Part. An.II. 1. 647 a 15 : Hist An. I. 3. 489 a 18 ابن رشد الاهواني ص ٤٧ وحيدراباد ص ٤١ ·

(٢) أيضا ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٦ ، حيدرآباد ص ٥١ .

(٣) المخطوطة : لا تحرك .

(٤) راجع ارسطو : De An. III. I. 424 b 22 ; وابن رشد : تلخيص ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : « تخريجة كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ، إن هذا القول زيادة ، مثاله اتذكر ها هنا القول الذي النف من الهيولى لأن البصر من ماء والسمع من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة سادسة ؟ ، هذا معنى . »

الحيوان (١) كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفلة للحمار والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً (٢) للإنسان بوجه أكمل ، فإن الجحفلة والخرطوم هي يد ناقصة . وإذا كانت الأعضاء إنما تحد بغاياتها وبقومها استعدادها لحصول تلك الغايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الخاصة ضرورة لئلا (٣) يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بين مما تلخص من كتاب الحيوان .

* * *

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان العظام فيما اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لأنه يوجد له جميع أجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد انما هي آلات نفسانية كالعروق والعضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جسده كالعظام فضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كملت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شيا حيوانياً . والانسان ففيه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت نفساً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلا » .

وانظر ارسطو : Hist. An. I. 2. 488 b 30: 486 b 18 ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : الا .

الفصل التاسع
في الحسّ المشترك[١]

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاسّ واحد[٢] هو الأوّل وهو الذي يسمى الحسّ المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحسّ مجملاً ، وهو الهيولى الذي تصير به المعاني محسوسة[٣] . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبست باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الحاسةُ ، فهي بالموضوع واحدة[٤] وبالقول كثيرة[٥] ، كما يعرض ذلك لمركز الدايرة[٦] فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير .

ولما كانت ها هنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة[٧] تقبل تلك[٨].

ففي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى .

وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أيّ شيء هي ؟ وأيضاً فإن هنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

---

(١) عنوان مستقل في نسخة برلن .

(٢) راجع ارسطو : De An. III. 2. 425 b 11—22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضاً يصف الحس المشترك فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدّى اليها المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٥ ، حيدرابادص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيراً ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصاً ارسطو وشراحه : المصدر السابق .

(٧) ايضا ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، هنا زيادة : "هي" اللمسّ والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك.

على تغاير أحوال المحسوس (١) وتحس له أحوالاً (٢) كثيرة . فتدرك لكل جزء من التفاحة (٣) مثلاً أن له طعماً ورائحة ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوابل مضادة لها لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذاك (٤) . فإنه يجب عندما تؤملت المغايرة ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات (٥) عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شأن هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها (٦) ، فإذا اتفق أن يؤثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاذية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكمالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وسنبين أمرها فيما بعد .

فأما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلا باشتراك . فالحس المشترك لما كان ضرورة صورة للحار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل بكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن ارسطو : De An. III. 2. 426 b 10 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويظن أن أول من ذكر المثال المذكور الاسكندر الافروديسي .

(٤) وابن سينا أيضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، ص ٣) « فانه لو لم تكن قوة واحدة تدرك الملون والملموس لما كان لنا ان نميز بينهما قائلين انه ليس هذا ذاك » .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة [1] جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحريكها عن تحريكها ما ليس بذي جسم . وليس يتصل بما هو خارج عنه .

وإنما يصير الحس المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباسه للآلات . كالتباسه بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بين في الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة ليست في الجسم . لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاها ، فاذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك الصورة في الحاسة لا تحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال ما يكون الربّان [2] ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد تلخص أمر هذه الصورة في غير هذا الموضع .

وأما اذا انفرد [3] الحس المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة لجسم ما . ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الغريزي لها موجود إنما في الحاسة لأن التقدم [4] والتأخر [5] فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر هذا في كتاب الحيوان .

---

(١) المخطوطة : الجملة .

(٢) وانظر ابن باجّة نفسه ، ورقة ٦٠ الف ، « فان النفس في البدن كالربان في السفينة فان الربان في السفينة صورة الا انهـا مفارقة » ، وراجع ارسطو : De An. I. 3. 406 a 6; II. 1, 413 a 9 .

(٣) قارن ابن باجة : النص نفسه : ورقة ١٥٥ الف : « فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحس ينفرد عن المحرك بالقول كما ينفرد الهيولى من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالأسباب المقومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : المتأخر .

فإن وجد حيوان (١) له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فتلك ليست نفساً إلا بنحو من اشتراك الاسم . مثل أن تكون قوة لحضوره (٢) للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالهيولى فيها فتكون تلك (٣) صورة لهيولى الحس المشترك لكن ليست أولى . فلذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس يأخذ كل واحد منها بقسط ، وسنبين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي



(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني ان الجسم عندما وجد في الحس المشترك يحتاج الى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة لحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفا) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : « فان الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك ، والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبعة مادامت النسبة المذكور بينها وبين المبصر محفوظة أو قريبة العهد . فاذا غاب البصر انمحت الصورة عنها ، ولم تثبت زمانا يعتد به » .

(٣) المخطوطة : ذلك .

التعريف والنقد

قضايا الفكر في الأدب المعاصر

للأستاذ وديع فلسطين

« أصدره المكتب الفني للنشر في القاهرة ،
فجاء في ١٣٢ صفحة »

في الأدب العربي الحديث قضايا مهمة كثيراً ما خاض فيها الأدباء والمتأدبون في الجرائد والمجلات ، وكثيراً ما اختلفت فيها آراؤهم ، وتشعبت مذاهبهم . وقد تناول الأستاذ وديع فلسطين هذه القضايا في كتابه ، فمحصها تمحيصاً دقيقاً ؛ ووازن بين السمين والغث من آراء الكتاب فيها ، وذكر لكل قضية رأياً شخصياً هو في نظرنا من أرجح الآراء علمياً ومنطقياً .

ومن القضايا المذكورة قضية الفصحى والعامية ، والشعر الصحيح وما يسمى الشعر الحر ، والمصطلحات العلمية ، وتيسير القواعد والكتابة العربية ، وتقليدنا الغربيين في مدارسهم « مذاهبهم » الأدبية الحديثة ، سواء في ذلك ما كان منها معقولاً « كالمدرسة السامية والرومنسية والواقعية والطبيعية » ، أو كان غير معقول ولا مفهوم « كمدرسة الرمزية وما فوق الواقعية » .

وقد بحث المؤلف في هذه القضايا ، وفي موضوع الالتزام في الأدب أي ما يسميه بعضهم الأدب الهادف ، ثم بحث في الأسلوب العلمي وأسلوب الإثارة في الأدب ؛ وقايس بين الكتّاب في القديم والكتّاب في أيامنا هذه ؛ وانتقل الى ذكر النقد وانحراف رسالته ، والى المسرحية وضيق مجالها عندنا ، والى الترجمة وشروطها ، والى أزمة الكتاب العربي ، والى محنة الأدب في هذا الزمن . وأنهى كتابه بكلام طلي على الفكر بين الأرستقراطية والغوغائية .

وبعد إن قيمة الكتب لا تقاس بعدد صفحاتها ، بل تقاس بما فيها من فائدة للقارئين . وهذا الكتاب ، على صغره ، قد عالج المواضيع المذكورة بأسلوب علمي متزن ، فأحاط بأطرافها ، وجلاها على المطالعين في أفكار نيرة ، ولغة صحيحة ، وبيان مشرق ، وغيرة على لغة الضاد وعلى الأدب العربي .

مصطفى الشرباصي

« وجوب التعاون بين المسلمين ، وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين »

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي

هذا الأستاذ أشهر من أن يعرّف ، فهو علاّمة القصيم من نجد هذا العهد ، وهو صاحب التآليف الجامعة النافعة ، وأوقاته كلها معمورة بالاشتغال بالعلم تعليماً وتدريساً وتأليفاً ، ورسالته هذه (وجوب التعاون) يدعو فيها هذه الأمة المسلمة في عامة أقطارها وأمصارها الى التضامن والتعاون على ما فيه مصلحتها ، والى دفع عوادي الشر عنها ، فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله فهو (في سبيل الله) في نظر الإسلام ، وما قيد الشارع « الجهاد » بهذا الشرط (في سبيل الله) ، إلا للدلالة على هذا المعنى . وقد أنشأ فصولاً كثيرة فيه ، بيّن فيها أقسام (الجهاد) وأنواعه كجمع الكلمة ، ووجوب المشاورة ، والاستعداد للأعداء ، وأخذ الحذر منهم ، وإعداد وسائل الجهاد ، والوقوف التام على أحوال الأمم والشعوب ، والقيام بالقسط والوفاء بالعهود ، وربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية ، وتخير الأكفاء من الرجال في الولايات والأعمال . ثم شذرة من سيرة النبي (ﷺ) وصدقه وصحة دينه ، وما أخبر به من الغيوب المنوّعة ، ومن هذه الفصول : التحدّي بالقرآن ،

وما علّمه الله للإنسان من أصناف المخترعات ، الكهرباء وأعمالها ونتائجها ودلالتها على البعث ، سنة الله في خليقته جارية على مقتضى حكمته ، هداية البشر بالإسلام ، جمعه بين الأمم المتباينة ، حظّ العقلاء منه على قدر عقولهم ، تفسير آيات من القرآن ، أمره بالإيمان بجميع الرسل وما جاءوا به من عند الله ، تفسير شواهد منه ، الشريعة جاءت بالعدل ، وحثت على الإحسان والفضل ، سيرة الرسول من آياته ، وأمته من آياته ، (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته) .

وهذه الفصول مملوءة بالأدلة القرآنية ، ومنها يتبين أن الإسلام خير من هذه السياسات العنصرية والمحلية والحزبية ، وكلها ضغائن وأحقاد ، وشرور وفساد ، كما تقرؤه عنها في الصحف المنشّرة ، وهذا الكتاب من خير ما يهتدي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

١ - توضيح الكافية الشافية

٢ - الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ، من الكافية الشافية .

كلاهما للعلاّمة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (المطبعة السلفية)

(الكافية الشافية ، في الانتصار للفرقة الناجية) للإمام الرباني شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق الشهير ، وقصيدته هذه قد بلغت مئات الأبيات من السهل الممتنع ، وموضوعها التوحيد وأصول الدين ، والرد على الجهمية والمعطّلة والملحدين ، واثبات ما أثبته تعالى لنفسه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، والرد على الجبرية من الجهمية ، والقدرية من المعتزلة ، واثبات الكسب للعبد والاختيار ، وفوقهما جريان الأقدار ، وكانت طبعت هذه القصيدة منذ سنين ، ولكن بلا شرح

ولا تعليق ، فقام العالم السلفي الشيخ عبد الرحمن آل سعدي بشرحها شرحاً مطوّلاً ، سماه (توضيح الكافية الشافية) ولكنه لم يورد القصيدة ولا استشهد بشيء منها ، فهو شرح مستقل عن الأصل ، وإن كان مبنيّاً عليه ، وعناوين فصوله تدلّ على المراد منها ، وهذا الشرح يبلغ (١٢٤) صفحة ، وفي آخره فهرس مفصّل .

في ص ٤٤ س ٦ : و « رحمتي وسعت كل شيء » صوابها : « ورحمتي » .

في ص ٤٦ س ٨ : « هذا من » صوابها : « هذا ومن » .

* * *

وأما الكتاب الثاني ، وهو (الحق الواضح المبين) فقد لخّص فيه شرحه الأول ، وطبعه بعده فبلغ نصف حجمه ، مع أنه أورد فيه مائتين وخمسين بيتاً من القصيدة ، وشرحها شرحاً وجيزاً بيناً ظاهراً ، وبدأه بقول ابن القيم :

فاسمع إذاً توحيد رسل الله ثمّ اجعله داخل كفة الميزان

مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان

قال الشارح : « وذلك أنّ الشيء يعرف بضدّه ، والحق يتضح ويظهر نوره بمعرفته ، ومعرفة ما يضادّه من الباطل ، فإنك إذا وزنت - بميزان العقل الحقيقي ، والفطر السليمة التي لم تتغيّر ، والبراهين الدالة على الحقائق - توحيدَ الأنبياء والمرسلين وتوحيد المعطّلين ، وجدت بينهما من الفروق ما لا يخفى على مَن له أدنى مسكة من عقل » .

أقول : لا يخفى أن هذه الكتب السلفية تبحث في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، على الوجه الذي أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه ، وإذا نظرنا الى كتب التوحيد الدراسية التي تداولتها أيدي الخواصّ والعوام ، في معظم الأمصار الإسلامية ،

وصارت عمدة الدارسين والمدرسين في المدارس الرسمية الحكومية والأهلية نجدها نوعين : (أحدهما) كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلف ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونفى معانيهـا الوجودية الثابتة بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع . (الثاني) كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، واثبات أنه دين العقل والفطرة ، وحاجة البشر في كل زمان ومكان ، فهذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع هي سلاح علمي يحمله المسلمون في صدورهم لحراسة عقائدهم والدعوة اليها والنضال عنها ، لا لتلقي علم التوحيد وعقائده منها ، فهي على نفاستها وضرورة مدارستها ، ليست كتباً موضوعة في فن التوحيد ، ولا هي قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية هي عليها ، بل هي فلسفة تحوم حول علم التوحيد ، وايضاح لمحاسن الدين ومزاياه .

وهنالك نوع ثالث وهي الكتب التوحيدية السلفية ، التي أثبتت معاني النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المعقول ، وردّت كلام المؤولة ردّاً لم يبق حاجة في النفوس ، وهي الطريقة التي جرى عليها شيخا الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في كتبها ، ومن حذا حذوهما من أئمة الإسلام وحماته ، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة ، إمّا كتب مناظرة وحجاج ، وتأييد لمدلولات النصوص وردّ لشبهات الخصوم ، وإما كتب علمية غير تعليمية .

فنرى أن تنشر فصول في التوحيد السلفي ، ملخصة مما كتبه الأئمة الثقات فيه ، وتكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليمية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب مدرسي عصري ، يشرب القلوب حبّ السلف الصالح وآثارهم ، ويطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، ويغذي عقول النشء الإسلامي بلبان التوحيد الخالص ، المطهر من كل ما يخالطه من أدران الشوائب ، فتصح العقائد وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ والغايات ، والله هو الموفق والمعين .

كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار

تأليف : الإمام المجتهد المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفّى سنة ٨٤٠ هـ

ويليه : كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار

للعلامة محمد بن يحيى بَهران الصعدي المتوفى سنة ٩٥٧

ولتمام الفائدة ألحقت به تعليقات من مراجع مختلفة ، لمصححه :

القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليماني الصنعاني

تقوم إلى جانب هذه النهضات المباركة في البلدان العربية نهضة دينية اجتماعية تتفجر ينابيعها من سلسبيل الإسلام الصافي ، وتستقي أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تبلى جدته ، وإن إمام اليمن الراحل يحيى حميد الدين الملقب بأمير المؤمنين تغمده المولى برضوانه ، قد ساهم بقسط كبير في هذه النهضة ، فقد جاء في المقدمة ذكر طائفة من الكتب العربية والدينية النافعة النادرة ، التي أمر بطبعها ، وبعث بأصولها من مكتبته العامرة ، ومنها هذا (البحر الزخّار) .

يقع هذا الكتاب الضخم الذي طبع بمصر - بإشراف الأستاذين عبد الله محمد الصديق ، وعبد الحفيظ أسعد عطية - في خمسة أجزاء ، وهي تبلغ نحو مائة وألفي صفحة بالقطع الكامل ، عدا مقدمته والفهارس ، وهذا المصنف الكبير « الجامع لمذاهب علماء الأمصار » يذكر المسألة وينبه على ما فيها من إجماع أو اختلاف ، ثم يحكي أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ، وأئمة أهل البيت وسائر الفقهاء ، ويذكر دليل كل قول وتعليله ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح وتضعيف غيره . وفي أول « البحر » ترجمة لمؤلفه ، وتليها ترجمة لمخرّج أحاديثه ، وقد جرى صاحب البحر على الإشارة لمن يتردد ذكرهم من الفقهاء بحرف أو حرفين ،

وهم طبقات أربع ، الصحابة والتابعون وأهل البيت وسائر الفقهاء ، وهم الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهويه ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والزهري ، وربيعة ، والحسن بن صالح الكوفي ، وأبو ثور ، وداود ، والمزني ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ، والكرخي من فقهاء الحنفية ، وقد ترجم في المقدمة لكل واحد من أهل الطبقات الثلاث الذين ورد ذكرهم ، ولم يترجم لطبقة الصحابة لشهرتهم .

والعلامة بهران الصعدي مخرّج أحاديث الكتاب . ومورد أدلة أحكامه على كثرتها واختلافها ، قد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً ، وإنما يقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمعن في كتبها بحثاً واستقراءً ، فعاد كليل البصر ، قليل الظفر بمطلوبه ، وهذا الكتاب هو عمدة المتأخرين من أهل اليمن فيما يحكونه من المذاهب ـ خصوصاً مذهب أهل البيت ـ كالسيد محمد بن اسماعيل الأمير صاحب سبل السلام ، والشوكاني صاحب نيل الأوطار ، وغيرهما .

وجملة القول : ان هذا البحر الزخار دائرة معارف فقهية إسلامية ، كالمغني للموفق المقدسي ، مع الشرح الكبير ، وكالمحلى لابن حزم وغيرهما من الأمهات التي لم تتقيد بمذهب واحد ، ومن هذه المراجع الكبرى تتبين سعة الفقه الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة ، وإنما يختار منها في كل عصر ما كانت أقوى دليلا ، وأكثر مناسبة لحاجة العصر ، وطبيعة الأمة . وإنك لتجد في الأحاديث الواردة في إقطاع الأراضي ، واستثارة دفائنها ، واستخراج ركازها ومعادنها ، ما يدل دلالة واضحة على أن ما يقوم به علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا Geologie) وعلماء الآثار والعاديات من الحفر والتنقيب عن المعادن في بطن الأرض والجبال والتلال ، هو داخل في عموم

ما أرشد الإسلام إليه ، وحث أهله عليه ، ومثله ما ورد في إحياء موات الأرض (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه ، فإنشاء المزارع والمصانع ، وبناء المستشفيات والمدارس ، وتشييد القلاع والحصون ، هو من باب : إحياء الأرض ، وأما ما يستخرج من البحار كالجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان ، فتراه وترى معه ما تقدم من الأحاديث وأقوال العلماء ، في الفصول التي عقدها (البحر الزخار) في المعادن ، والركاز ، والكنوز ، وغنائم البحر (٣/٢٠٨ — ٢١٨) وفي كتاب السبق والرمي (ج ٥/ ١٠١) الترغيب في السبق بالخف أو الحافر (الإبل والخيل) والرمي بالنصل (السهام) أما فقهاء عصرنا فيجب أن يستمدوا من قوى هذا الزمن وحقائقه وعلومه ومعارفه ، وأن يدعوا إلى السبق مثلاً بصنع السيارات والمصفحات والمدرعات والغواصات والمناطيد والطيارات ، وإلى الرمي بالقنابل والقذائف ، وسائر ما أعد من وسائل الكفاح عملاً بالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وبآية «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» واستنباطاً من هذه الأحاديث الشريفة ، واهتداء بهدي السلف الصالح ، ومجاراة للأمم الحديثة .

وقد أحسن الأمير الجليل سيف الإسلام عبد الله كل الإحسان ، فأهدى الكتاب الى والده الإمام الذي كان الباعث على طبعه ، الحريص على نشره ، جزاه الله خير الجزاء .

ومن سهو القلم أو غلط الطبع جاء لفظ : حليسها وعورها ، مكان جَلْسيّها وغَوْريّها (بتقديم السين في الأولى على الياء وبالغين المعجمة في الثانية لا بالعين المهملة) .

وعزاه (في ٣/٢٠٩) من «البحر» إلى سنن أبي داود ، قلت : والحديث برواياته في (ج ٣/ ١٣٨ و ١٣٩) من عون المعبود شرح سنن أبي داود طبع

المند ، وفي (ج ٣ / ٤١) من معالم السنن للخطابي طبع حلب ، ففيها أن الرسول (ﷺ) أقطع بلال بن الحارث معادن القَبَلية جلسيها وغوريهـا ؛ وفي رواية « جَلسَيا وغَورها » وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، يريد أنه أقطعه وهادَها ورُباها ، والقبلية ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة أيام .

هذا والمجمع العلمي يهدي إلى من تفضل بالإهداء ، أعطر الشكر والثناء .

فتح الغفّار ، المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار

للقاضي العلاّمة شرف الدين الحسن بن أحمد الرُّباعي اليمني المتوفَّى سنة (١٢٧٦)

أمر بطبعه الإمام احمد بن يحيى حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية

أشرف على تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني ، مندوب وزارة المعارف اليمنية

إن كتب السنة الصحيحة ليست إلاّ مفسِّرة للقرآن الكريم ، مبيِّنة له ، فهي تفصّل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول (ﷺ) في العبادة وسيرته العملية ؟ وهذا هو موضوع هذا الجزء الأول من كتاب (فتح الغفّار) الذي بلغ ستمائة وستين صفحة بفهرسه المفصّل ، وهو من أجمع الكتب وأنفعها في أبواب العبادات ؛ وقد استمدّ المؤلف هذه الأحاديث في الأحكام من كتاب (منتقى الأخبار) للإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية الحرّاني المتوفى (سنة ٦٥٢) وهو جدّ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (م ٧٢٨ هـ) وجعل كتاب (المنتقى) أصلاً لكتابه (الفتح) - ولكنه زاد عليه الشيء الكثير من أخبار الأحكام ،

وضمّ إليه الجمّ الغفير من جامع الأصول ، وبلوغ المرام ، ومجمع الزوائد ، والترغيب والترهيب ، ومن الجامع الصغير ، وجامع المسانيد ، والمستدرك للحاكم ، وتلخيص الحافظ ابن حجر ، وفتح الباري وغيرها . وقد طبعت هذه الأصول الجوامع في الأمصار الإسلامية ، وهي مشهورة متداولة ، يقرؤها محبو السنة ويتدارسونها رواية ودراية .

ومن مزايا هذا الكتاب الجامع أنه نسب كل حديث إلى أصله المنقول عنه ، وأتبعه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وعزا كلّ قول الى قائله ، وفسّر ما تضمنته الأحاديث من غريب اللغة ، وضبط بعض أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومختصر نهاية ابن الأثير ، وصحاح الجوهري ، والقاموس ، ومجمع البحار وغيرها . والمؤلف من أجلّة تلاميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني مجدد السنّة في القرن الثاني عشر .

ولا يستكثر هذا الجزء الضخم على العبادات فقد أورد ما ورد فيها من الأحاديث وذكر مخرّجيها من الكتب الستة وغيرها ، وهذه العبادات عدا ما ورد فيها من الترغيب والترهيب ، فيها مصالح قومية ومنافع اجتماعية ، (فالصلاة) الروحية البدنية التي هي فرض عامّ على كلّ مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر (ما يفعل سرّاً وعلانية) وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هي تلك الجيوش المعنوية التي غزت بلاد الشرق وهنّ المسكر والميسر والخنا والربا والانتحار ، فكثير من المستهترين وقع في هذا التيار الذي أسلمه الى الجنون أو المنون ، فكان ذلك من أشد المصائب القومية . (والصيام) الذي يدعو الى إمساك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خُلق قويم لا يحيد عنه . (والزكاة) إعطاء

نصيب من المال للفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثمانية ، دون الكسالى والمتسولين ؛ فاذا حرمنا الفقراء الأقوياء ، واضطررناهم الى العمل ، كثرت الأيدي العاملة في الصناعة والزراعة والتجارة وهي موادّ الثروة الأصلية ، وحفظت الزكوات والمعونات لمستحقيها ، تنفق على إطعامهم وإيوائهم وتعليم بناتهم وأبنائهم . و (الحج) أكبر مؤتمر إسلامي حرّ يبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم ، ويوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، ويدافع عن حقوقهم وحرّياتهم ، ويؤلف بين شعوبهم وقبائلهم ، فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

ومن أفضل خصائص هذا الكتاب أن المؤلف لما رأى ما وقع من الخلاف بين الأئمة ، وأخذ كل طائفة بجانب من السنة ، جمع أحاديث الأحكام القاطعة للخلاف ، والداعية الى الائتلاف ، فأحسن بذلك كل الإحسان . فندعو الأمة الى العمل بما اتفق عليه الأئمة ، والى ترك الخلاف جانباً ، فان الوقت والعمر يضيقان عن استيعابه .

وقد وقع في هذا الجزء هنات مطبعية لم تنقصها لندرتها ، فمنها في (ص ٥ س ٣) وتهوين ، صوابها : وتوهين . ومنها (ص ٤٣ س ١٨) الجند ، صوابها : الجنة .

جزى الله المؤلف ، والآمر بالطبع ، والمشرف على التصحيح خير الجزاء ، وإنا لبقية أجزاء الكتاب لمنتظرون .

محمد بهجة البيطار

نظرة في أعماق الإنسان

(الجزء الأول)

للدكتور محمد صبحي أبو غنيمة

قلّ من العلماء الأدباء في بلادنا العربية من يقدم على التأليف والنشر في الموضوعات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة سواد الناس في مطالعة ما عداها من كتب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تعنى بما يروي غليل جمهرة القراء ويسرّي عن أنفسهم ، أما الخوض في البحوث العلمية المحضة فليس لها غير المضطر إما في إبان سني الدراسة وإما في ما يليها من متابعة في بعض الأحيان .

وموضوع تعريفي في هذا الباب يتناول كتاباً ولا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، إذ ليس لمن يقع بين يديه من عامة الناس (ولا أستثني إلا بعض خاصتهم) إلا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتحديق في عناوين بحوثه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يحويه من آراء تسمو على مستوى فهمه وإدراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف من جهد لتذليل العقبات في سبيل حبك موضوعاته ليستسيغها غير الأطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، إلا بعض الشذرات الأدبية والشعرية التي تخللتها فكانت بمثابة الأفاويه والمشهيات التي تضاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه فحسب بل لكي تزيد من الشهوة اليه أيضاً . وذلك لأن ما حواه الكتاب قد صهر في بودقة واحدة الطب وعلوم الأحياء والفلسفة صهراً كان نتاجه ما يستغلق فهمه إلا على الراسخين في تلك العلوم .

وطبيعي أن لا يخوض غمار هذا النوع الخاص من التأليف إلا ذو بسطة في

علوم الطب والأحياء والفلسفة والأدب ، وهذا لعمر الحق ما تحلى به زميلنا الفاضل الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة مؤلف (نظرة في أعماق الإنسان) .
وإني لأكبر عمله هذا أعظم الإكبار لتجشمه الكثير من الصعاب في سبيل تأليف هذا الكتاب الذي يعد حقاً نسيج وحده ، وقد خلت من أمثاله المكتبات العربية ونضب معين مصادر ما كان على شاكلته من المؤلفات ، بين أبناء لغة الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضل مضطراً في جمع شتات مباحثه الى أن يولي وجهه شطر المؤلفات الأجنبية وقد أربى عددها على المائة والعشرين معظمها من الألمانية وبعضها من الانكليزية والفرنسية في جانب النزر اليسير من المراجع العربية ، فضلاً عما وعته ذاكرته من آراء ومساجلات لأساتيذه في جامعة برلين إبان دراسته الطب فيها . والى جانب هذا الجهد الأدبي الذي لا يقوّم ، فقد بذل الزميل جهداً آخر مادياً ليس بالقليل لإلباس مؤلفه ما يستحقه من حلة قشيبة بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الأشكال والرواسم التي زين بها ناهيك بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربية وانتقاء الألفاظ والمصطلحات فيها .

وعندما طلب إلي أن أعرف بهذا الكتاب خلتني في بادئ الأمر أستطيع أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيل ، بأن أكتفي بتصفحه وسرد ما فيه من عناوين ، وما إن حاولت ذلك حتى رأيتني ملزماً بقراءة الكتاب لا قراءة معرّف وناقد بل قراءة مستطلع ومستعلم ومستزيد من ألفه إلى يائه حينما أجد الى ذلك سبيلا ، مما أدى الى التأخر في التعريف في الوقت المضروب غفت المعذرة وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول أن يستعرض أمامك قصة الإنسان ، وقصة الإنسان كانت ولم تزل وستظل أعجب وأغرب قصة في هذا الوجود)

ويقتنح بحوث الكتاب بسرد مشاكل الطب في العصر الحاضر، وإخفاق العلاج في كثير من الأدواء سارداً أقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال إدراك حقيقته من العالي مستغلقاً، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطب وأعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلاً علمياً مقنعاً مولياً وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الإمراض والشفاء ثم البحث في أسباب الأمراض من داخلية وخارجية، واضطراب تطور مواد الغذاء الرئيسية (الآحينات وماءات الكربون والأدهان وأشباهها والمعدنيات) ويلي ذلك البحث في النَفَس وما قيل عنها في القديم وما يقال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آلية ظهور الأمراض والعلل، والتعمق في جهاز الإثارة أو جهاز الطاقة الحياتية وقبول الإثارة وتطوراتها وأهدافها ثم المينوزة (النوم المجلوب) منتهياً الى ذكر النكتة وعملها الطبي. ويختم المؤلف هذا الجزء الأول من هذه التحفة الفريدة بكلمة يقول فيها : بهذه النظرة أردت أن أؤدي قسطاً من واجبي العلمي والإنساني فأنقل إلى قراء العربية أقوال العلماء المجددين في الطب عما يرونه في أعماق الإنسان من غرائب و « الفكر » التي تخطر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكر من مفاهيم تصح في رأيي أن تتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الانسان. أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل وأما ما أستوحي منها فمعروض للبحث والتمحيص ورحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي. ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءاً صغيراً من الكون الذي هو الانسان ويكفيني ويكفي القارئ في مثل هذه الحالة أن نتمثل بصادق قول حكيمنا العربي :

دواؤك فيك وما تبصر وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا ولا بد من الاشارة الى لغة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة إنها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والألفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الألمانية حيث يغلب التعقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الأجنبية الأخرى بينا المستحسن في هذا المضمار اختيار اللفظ الأهون من احدى اللغات ، كما ان بعض الألفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فنراه يستعمل تارة الرثية وأخرى الروماتيزما وروماتيزما عن العلة الواحدة مما يوجب الالتباس على القارئ. ، وكذلك لفظة التتاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكزز وترجم كلمة (Stress) تارة بحادث نفسي وأخرى بانفعال وقد جاءت هذه الكلمة بـ (Effect) في موضع آخر ، وذكر الأزمة الصدرية (وقد يكون لهذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصَّرعة عوضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الأمل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني أهنئ الزميل الكريم على هذه التحفة الفريدة التي أتحف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لتتم الفائدة .

الدكتور حسني سبح

أعـــلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

تأليف : خير الدين الزركلي

وهو في تسعة أجزاء ومستدرك يشتمل كل مجلد على نحو (٣٨٠) صفحة من القطع الوسط . طبع الجزء الأول في مطبعة كوستاتسوماس وشركاه بالقاهرة سنة ١٩٥٤ وانتهى الجزء العاشر عام ١٩٥٩

أدت الطبعة الأولى من قاموس (الأعلام) التي صدرت بأجزائها الثلاثة قبل نيف وثلاثين سنة خدمات جليلة للباحثين والمطالعين ، وأجمع العاملون على أنه قد ملأ يومئذ فراغاً كبيراً ونقصاً شديداً في المكتبة العربية التي هي بحاجة الى معجم في سير الافراد سهل المنال . وقد استقبلته الأوساط العلمية بلهفة ، وهللت له ، وقرظته بما يستحقه الكتاب ومؤلفه الأستاذ الزركلي من تقدير وإعجاب .

ولو كان غير الأستاذ الزركلي لارتضى بما أحرزه من شهرة علمية ، ولطلب الراحة بعد العناء ، وقنع بالقدر الذي أداه لأمته ، وكفى نفسه نصب البحث والاستقراء ، وانصرف الى عالم الخيال ، ميدانه المفضل ، ميدان النظم والقريض ، وهو من فرسانه المجلين . ولكن أبت عليه همته إلا أن يتم شوطه ، ويدرك غايته ، فأضاف الى حسنته الأولى مأثرة جديدة خالدة ، يقصر عنها كل ثناء . فقد عاهد نفسه منذ أن اطلع على عورات طبعة الأعلام الأولى ونواقصها على أن يصلحها في طبعة ثانية ، وها هو يفي بعهده ويخرج لدنيا العرب الطبعة الثانية من قاموسه (الأعلام) ؛ وهي بالحقيقة تأليف جديد ، ارتقى من ثلاثة مجلدات الى عشرة مجلدات .

ومثل هذا السفر لا يحتاج الى تعريف وتقريظ ، فقد سبقته في الطبعة الأولى شهرته وعمت فائدته .

وأبرز ما في الطبعة الجديدة غزارة المادة ووفرة مصادرها ورسوم الرجالات وخطوط المؤلفين ، فالكتاب من المصادر الخالدة التي كتب لها أن لا تبلى مع الزمن ، ودعامة راسخة في بنيان تاريخ العرب ، لا رملة ولا حصاة كما نعته مؤلفه حفظه الله وأمد بحياته .

الوطن العربي
الاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية
تأليف الدكتور عزة النص

عدد صفحاته (٢٩٦) صفحة من قطع الوسط ، نشرته دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية ، وطبعته في مطبعة الجمهورية بدمشق عام ١٩٥٩

صدر حديثاً هذا الكتاب ، في أيام تتأجج في صدور العرب جذوة القومية العربية ، وتثور دنيا العرب لنصرتها وبعثها . قدم فيه مؤلفه الدكتور عزة النص للمكتبة العربية مادة دسمة عن أقطار شقيقة ، يجهل أخبارها عامتنا ، ولا تلم الخاصة إلا بالنذر اليسير من أوضاعها . مع أنه لا تتم الألفة والمودة بين الأفراد ، ولا يجتمع شمل ذوي القربى والأخوة ، إلا بالتعارف واللقاء ، وما ينطبق حكمه على الأفراد في بلد واحد ، يشمل أيضاً الجماعات في أقطار متعددة ، وان اختلفت وسائلها . إن الفرد يملك أسبابها وهي طوع ارادته ، ولكنها تتعذر على الجماعات ولا بد لها من وسيط بينها يهديها السبيل ، إن الكتاب في هذه الحالة هو أفضل أداة للتعارف ، وله أبلغ الأثر في محادثة الجماهير ، وسيكون لهذا الكتاب رسالته ، وأثره الطيب في هذا التوجيه ، وهو خير وسيط . وقد أصاب المؤلف هدف غايته ، وأحسن فيه بسط قصة الأقطار العربية ، وسرد موجز تاريخها ، وعرض قضاياها السياسية والاقتصادية عرضاً موفقاً ، تلقفها من أصدق المصادر ، ليقدمها للقارئ العربي جرعة سائغة بأمل أن تثير في نفسه نشوة ذكريات تالدة ، وتوقظ فيه عواطف حنانه الراقد ، فيصبو الى يوم التداني ، وحث الخطى لجمع شمل أبناء الأمة الواحدة .

وحبذا لو ضمن الدكتور كتابه هذا بحثاً عن جمهوريتنا العربية المتحدة ينتفع به بقية الأقطار العربية إنه لو فعل ذلك لتم البحث وانتظم العقد .

نشكر للمؤلف جهده ونكبر فيه عمله ودقة بحثه ، ونرجو لهذه الدراسات النتائج المتوخاة من نشرها ، وأن تقرب يوم جمع شمل العرب بما يعيد اليهم عهدهم الزاهر ويحيي مجدهم الباهر .

العرب والإسلام
في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط
تأليف الدكتور عمر فروخ

في (٣٠٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المكتب التجاري
وطبعه بمطبعة دار الكتب ببيروت سنة ١٩٥٩

يتجلى الوعي القومي عند الأمم في مبلغ انتاجها الثقافي والمادي ، فهما مقياس نهضتها وسلامة وعيها ، وتبشر في البلاد العربية هاتان الناحيتان بمستقبل زاهر ، يثلج الصدور ، وتطمئن له القلوب ، فقد تجارت النهضتان في سيرهما قدماً ، دون أن تطغى الواحدة على الأخرى ، مما جعلنا نؤمن أن وعينا القومي أصبح حقيقة ملموسة ، وأنه سالك السبيل القويم ، على أسس راسخة قوية ، وإن عربي اليوم يتطلع الى مستقبله مستلهماً ماضيه في بناء حاضره ، وما أكثر الشواهد على صحة قولنا ، فإنه في كل يوم يظهر كتاب مفيد ونسمع بمباشرة مشاريع اقتصادية وتطورات اجتماعية ، وما هذا الكتاب الا من هذه الشواهد .

وقد شاء زميلنا الدكتور المؤلف أن يوصل في كتابه ما انفصم بين السلف والخلف ، مذكراً بني قومه بأمجادهم الغابرة ، وما حققوه من إبداع في بناء الحضارة الإنسانية ، لعلهم يدركون ما فات ويلحقون بركب هذا العصر الذي تخلفوا عنه ، أو كما قال في مقدمة كتابه : «وتظل الأمة حية ما دام أبناؤها يشعرون أنهم متصلون بأسلافهم اتصالاً واضحاً ، وما داموا يؤدون رسالة أمتهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن ، وتحفظ عليهم مثلهم العليا سليمة بارزة وبجعل من تراثهم الروحي نطاقاً يحمي وحدتهم ويسدد خطواتهم .» ويحذرهم من مغبة التهاون خوفاً عليهم من : «أن ينتهي بهم الأمر إلى أن يذوبوا في من حولهم ، فتنقرض دولتهم ، وتزول حضارتهم ، ويخلو موكب التاريخ من أمتهم ، ومن اسم أمتهم .»

ويدل على موضوع الكتاب عنوانه ، فقد بحث فيه المؤلف فتوحات العرب

والإسلام في القرن الأول من الهجرة ونصف الثاني لبلاد المغرب والأندلس ، وزحف جيوشهم إلى أواسط حتى بلغوا أبواب مدينتي ليون وباريس ، فخلد المؤلف فيه أروع صفحات التاريخ العربي ، وخص للقارئ في مجلد واحد ما جمعته المجلدات عن هذه المعجزات .

وأستميح الزميل الكريم الاذن بابداء ملاحظات بسيطة على ما جاء في الصفحة (١٢) عند قوله : (جاء الأتراك العثمانيون الى الشرق الأدنى في القرن الرابع هـ .) صوابه حذف كلمة (العثمانيون) لأن نسبة الأتراك لبني عثمان بدأت في القرن الثامن من الهجرة . وجاء في الصفحة (٢٣) : « ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة » وقد علق المؤلف في الحاشية : « ويقصد جزيرة الاندلس » والأصح انه قصد جزيرة رودس التي اشتهرت بصنمها أحد عجائب الدنيا السبع ، وورد خطأً في ص (١١٠) عام ٨١٧ وصوابه ٧١٨ .

فنشكر للدكتور المؤلف جهده وحسن صنيعه ، ونرجو له دوام التوفيق في خدمة الثقافة العربية .

جعفر الحسني

ديوان ابن الخياط

« من مطبوعات المجمع العلمي العربي وتحقيق رئيسه
العلامة خليل مردم بك »

صنف رئيس المجمع الجليل مجموعة من سير الأدباء ، وحقق طائفة من دواوين شعراء الشام المشاهير ؛ عدا عن آثاره الأدبية ، ومقالاته القيمة ، ودراساته الممتعة ، وتتبعاته الفاضلة .

وقد أخرج في هذا الصيف رابع تلكم المجموعة النفيسة وهي ديوان ابن الخياط أبي عبد الله ، أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، الشاعر ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ .

وقد قدم بين يدي الديوان تصديراً فاخراً قوامه ٤٨ صفحة ، استودعه دراسة

عصر الشاعر وترجمته ، وفصّل القول في أسرته وسيرته وعلمه وأدبه وأخلاقه وصفته .

ثم ألحق بها دراسة انتقادية ثمينة لشعره ، أحاطت بأطراف النقد ، واستوعبت أنواع الدقة ، وجمعت فنون التحقيق .

وقد اتخذ في تلك الدراسة الرائعة نهجاً محكماً ، أرجو أن يوفق الأدباء إلى سلوك جَدَده ، واتباع سَنَنه ، والاقتداء بهداه . ولعلّ مباحثه الممتعة في شعره (ص ٢٢ — ٣٠) [1] من أحاسن فصول النقد في تأريخ الآداب العربية اليوم ، بَلْه فصل لغته (ص ٣١ — ٣٩) [2] ، فانه دراسة لغوية سديدة ، ومبحث اشتقاقيّ أصيل ، ومادة علمية مذخورة ، يعتزّ بها مؤرخو اللغة ، وكتّاب المعجم العربيّ التأريخيّ [3] .

والديوان ١٥٧ قصيدة ومقطّعة ؛ عدّتها ٣٣٠٠ بيت . وقد عارضه بثماني نسخ خطيّـة عتيقة (زد عليها طبعة النجف) وفسّر ألفاظه ، وترجم أعلامه ؛ معتمداً على ٣٨ مرجعاً ؛ من أصول التاريخ والأدب واللغة الخطيّـة والمطبوعة . وذيّله بأربعة فهارس : للمراجع والأعلام والبلدان والأمكنة والقوافي .

أهنئ الأدب العربيّ بهذه الطبعة الجديدة ، وذيالك المجهود المنفّس ، وأبارك للمجمع العلمي العربيّ في آثاره الباقية ، ورئيسه العلاّمة المحقق .

الدكتور حسين علي محفوظ

(١) درس فيها خصائص شعره ، وأثر أبي تمام والبحتري والمتنبي وابن حيّوس فيه . وذكر قوة طبعه ، وكثرة ارتجاله ، وعذوبة ألفاظه ، وصحة معانيه ، مع الإشارة إلى فنون شعره ، وأنّه أوّل من قال الشعر في الحروب الصليبية ، ثم وازن بينه وبين شعراء عصره ، وعيّن منزلته منهم .

(٢) درس فيها الألفاظ التي أغري الشاعر باستعمالها ، وبيّن أخذه بالرخص ، وتساهله في تعدي الحدود اللغوية ، وتجوّزه في الاشتقاق ، وصوغ المشتقات ، والتوسع في القياس . وقد حاسب الشاعر في مواطن كثيرة مجال القول فيها ذو سعة . وكل الظن أنه أراد تنزيه صاحبه من كل ما يخالف المعروف .

(٣) قد استخرج بعض ألفاظه مثل : روّض ، المتاه ، أغل / جمع أغلة ، الخراد / جمع خريدة ، المُتَمَنْدِل ، الأخمص ، الأقمص / جمع قميص ، النضاج ، فتوك ، سمور ، نثير / أي منثور ، عطير ، مُراد ، استفرس ، استخوص ، استرقص ، استنزو ، استنزع ، استنشاد . وأشار إلى شواهد ذلك كلّه .

المنظمات الاقتصادية الدولية

محاضرات في ٢٠٤ صفحات ألقاها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

مما لا ريب فيه أن محاضرات الدكتور جابر التي خص فيها المعاهدات والاتفاقات الاقتصادية الدولية قد جاءت جامعة ومفيدة ، كيف لا وقد استعان بأكثر من ٣٤ كتاباً قيماً في هذا الموضوع لتكون مرضية .

وقد قدم الدكتور محاضراته ببحث عن التنظيم الاقتصادي ، وعما ينبغي أن تكون عليه حصيلة الانتاج . وأي نوع من السلع التي يجب انتاجها ، وكيفية التوفيق بين عوامل الانتاج وعماله ، وفي توزيع السلع بين الأفراد ، وتحديد الأثمان ، واعطاء كل شخص حاجته ، وبين أن الغربيين قد قالوا بضرورة التنظيم الاقتصادي الدولي ، لأن القيم المشتركة التي تعتنقها الشعوب هناك ، جعلها تقوم في ايجاد أنظمة للتعاون في العمل ، ومنظمات اقتصادية دولية ، في شتى المجالات الاقتصادية .

وقد استعرض الدكتور في محاضراته : التعاون الدولي بين المصارف المركزية ، وبين المنتجين وبين المستهلكين ، والاتحادات العامة الدولية ، وذلك في القرنين : التاسع عشر والعشرين ، وبين الأعمال الضرورية عند ظهور حالة العجز في الميزان التجاري ، ومركز انكلترا المالي الدائنة آنئذ ، وأهمية البنك الاحتياطي الأمريكي ، واتحاد النقد اللاتيني والاسكنديناقي ، وزوال ذلك الاتحاد ، ثم بحث مؤتمر بروكسل (عام ١٩٢٠) بتأسيس البنوك المركزية وأغراضها ، والتعاون بين المنتجين ، والترست والكارتل التجاري ، مع العلم ان ذلك الكارتل الذي ساهم في الاستقرار الاقتصادي ، وكان لصالح المنتجين الأمر الذي جعل التكتلات بين المستهلكين والجمعيات التعاونية تظهر لعالم الوجود ، وذلك بين ١٨٩٥ — ١٩٤٦ .

وبين أيضاً اتحاد المواصلات الدولية ، وظهور اتفاقات تنظيم الاتحاد العام للبريد (١٨٧٥) واتحاد النقد الدولي (١٨٧٨) والنقل الجوي والسيارات والقياس المتري ، والتعريفات الدولية (١٨٩٠) .

ومما بحثه : بنك التسويات الدولية (١٩٢٩) ومشروع كينز ، وغرفة التجارة الدولية (١٩٢٠) والتدخل الحكومي في الحقل الاقتصادي فيما بين الحربين العالميتين ، والمقاصة الدولية .

وبحث أيضاً مشروع هايت (٥/٤/١٩٤٣) بانشاء صندوق نقد دولي لتثبيت النقد العالمي وهذا الصندوق كان ضرورياً ولا ريب ، رغم أنه ترك الحرية للدول بتحديد أسعار نقدها .

وبحث اتفاقية بريتون وودز (١٩٤٤) التي تقول بايجاد صندوق دولي برأسمال ٨و٨ مليارات دولار على أن تدفع كل دولة حصتها ، وما هي أهداف ذلك الصندوق .

وبحث مشروع بنك الانشاء والتعمير الذي بدأ أعماله عام ١٩٤٦ برأسمال ١٠ مليارات دولار دفعتها الدول المشتركة فيه ، بنسبة قوتها ، وأوضح أهداف ذلك البنك ، ولكن الدكتور المحاضر لم يبين أن هذا البنك الذي ساهم فيه جل البلاد العربية ، من هي الدول التي استفادت منه ، وما هي حصة الدول العربية منه ؟ ان هذا البنك قد أقرض حتى اليوم ٤٠٠و٣ مليون دولار ، لم ينل منها من الحكومات العربية سوى العراق إذ اقترض ستة ملايين و ٢٩٤ ألف دولار ، ولبنان الذي اقترض ٢٧ مليون دولار ، وهذا دليل كبير على أن هذا البنك كان مسيراً من قبل الدول الكبيرة الاستعمارية ، لذلك لم يكن لصالح العرب .

وبحث أيضاً ميثاق هافانا (١٩٤٨) وأغراضه في تنظيم التجارة ، والاتفاق على التعرفات (وكانت حكومتا سورية ولبنان من الأعضاء ، ثم انسحبتا منه (١٩٥١) ان هذا الاتفاق لم يحقق للجماعة الدولية ما ترجوه من المثل العليا .

وبحث مشروع مارشال الذي وضعه وزير الخارجية الأمريكية الجنرال مارشال في خطابه يوم ٥/٦/١٩٤٧ للانعاش الأوروبي .

وبحث مشروع شومان وزير خارجية فرنساء الذي ظهر في معاهدة ١٩ / ٣ / ١٩٥١ والذي يهدف إلى إيجاد سوق واحدة للحديد والصلب والفحم؛ ومشروع المجلس الأوروبي الذي وقع عليه في أيار سنة ١٩٤٩ ، كما بحث المجلس الاقتصادي والاجتماعي (من قبل الأمم المتحدة) ومنظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة ، ومنظمة الطيران المدني الدولية ، والمنظمة البحرية ، ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة (اليونسكو) .

وقد وفق الدكتور في عرضه لتلك الاتفاقات والمعاهدات ، التي ينبغي للمرء الاطلاع عليها ، لأنها جديرة بذلك ، بيد أني كنت أتمنى من حضرة الدكتور المحاضر ، أن يبين رأيه بوضوح عن الغاية من تلك الاتفاقات والمعاهدات الغربية ، لأن جلها كان لمصلحة الدول الكبيرة ، وخاصة الولايات المتحدة التي تريد تقوية اقتصادياتها ، وايجاد عمال وأصدقاء وأسواق لها في العالم ، ومقاومة الشيوعية كي تبتعد عن العالم الأوروبي والآسيوي ، وكان معظم هذه الاتفاقات يرمي الى تقوية المستعمر ، دون النظر الى الحكومات والشعوب الضعيفة ، والأمة العربية ، حتى ان منظمة الأمم المتحدة (اليونسكو) التي من أهدافها احترام العدل والقانون وحقوق الأفراد والحريات الأساسية ، كانت رأت ولا تزال ترى بعض الحكومات الغربية تهاجم أقطاراً من البلاد العربية ، وتدفع بعض أفراد في البلاد العربية للعبث بحقوق وحريات الأمة العربية ، وبلبلة السياسة الوطنية هناك ، كما ان منظمة الصحة العالمية ، لم تعمل عملاً يذكر لحماية الأمة العربية من نكبات الأمراض والأوبئة السارية ، التي حملها الحكم الشعوبي والغربي الاستعماري الى بلادها .

وكم كان جميلاً لو أن الدكتور المحاضر نوه في ختام محاضراته عن ضرورة تعاون الحكومات العربية اقتصادياً وسياسياً ، بعد أن استعرض تلك الاتفاقات الدولية التي ولدت السوق الأوروبية الاقتصادية تلك السوق التي هي ضربة على اقتصاديات وسياسة العرب ، على أن ذلك لا ينقص من قيمة محاضراته الهامة وجهوده في وضعها .

منير الشريف

آراء وأنباء



المرحوم الدكتور منصور فهمي

(١٨٨٦ ـ ١٩٥٩)

وفاة الدكتور منصور فهمي

في السادس والعشرين من آذار «مارس» سنة ١٩٥٩ فقدت مصر ، بل فقد الوطن العربي ، علماً من أعلام الفكر ، ورائداً من رواد النهضة الحديثة ، وهو الدكتور منصور فهمي . لقد كان رحمه الله فيلسوفاً عميق التفكير ، وأديباً مرهف الحس والشعور ، وباحثاً واسع الاطلاع على تراث السلف الأدبي والفلسفي ، وعلى وسائل النهضة الأوربية الحديثة ، وداعياً من دعاة الإيمان بالله ، وحب الوطن ، وطلب العلم ، والإصلاح الاجتماعي ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة .

ولا يجهل أحد من أدباء الجيل الحاضر تلك الشخصية الفذة التي مثلت أجمل تمثيل جانب النبل والمروءة والصلاح والخير في جيلها .

كان الفقيد ينتسب الى آل البقلي وهي أسرة مصرية قديمة تنتمي الى أسرة نصر الدين بأسيوط . والمعروف أن أصولها مغربية من تلمسان والساقية الحمراء ، ووالد الفقيد علي فهمي البقلي ، وجده عبد العال فهمي البقلي .

ولد الفقيد سنة ١٨٨٦ م في بلدة طلخا التابعة لمديرية المنصورة من أعمال مصر ، ودرس الدراسة الثانوية في المنصورة وفي مدرسة فرنسية في القاهرة . وفي سنة ١٩٠٦ حصل على شهادة الدراسة الثانوية ودخل مدرسة الحقوق في في مصر . وعندما أنشئت الجامعة المصرية الأهلية أوفدته سنة ١٩٠٨ ، هو ورفاقاً له ، في أول بعثة مدرسية الى فرنسة ، ليتلقوا دروساً عالية في مختلف العلوم ، وليكونوا مدرسين في الجامعة بعد عودتهم الى وطنهم .

وكان نصيب الفقيد الفلسفة فانكب على دراستها . ولم يكتف بها ، بل درس أيضاً علوم الفسيولوجية والأجنة والجغرافية الطبيعية ، فحصل في سنة ١٩١٣ من جامعة باريس على الليسانس في العلوم ، فضلاً عن الدكتوراه في الفلسفة .

ومنذ ذلك الزمن برز ميله الى الإصلاح الاجتماعي في وطنه ، فكان موضوع رسالته الفرنسية للحصول على لقب دكتور في الفلسفة « المرأة في تاريخ الإسلام » . وقد عُد ما اشتملت عليه الرسالة تطرفاً في الرأي في تلك الأيام ، فحيل بينه وبين التدريس في الجامعة مدةً من الزمن .

ولكن سرعان ما تجلت مزاياه وآراؤه الإصلاحية النيرة في مقالاته الأدبية والاجتماعية التي كان ينشرها في الصحف ، فدُعي الى التدريس في مدرسة المعلمين العليا ، ثم عُين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب بالجامعة . وتدرج من الأستاذية فكان وكيلاً للكلية سنة ١٩٣٣ ، ثم كان عميداً لها .

وفي سنة ١٩٣٦ عُين مديراً لدار الكتب المصرية . وفي أواخر سنة ١٩٤٤ كان مديراً لجامعة الإسكندرية .

أما مجمع اللغة العربية فقد عُين فيه عضواً منذ تأسيسه سنة ١٩٣٣ . ولما أوجد في المجمع المذكور منصب كاتب السر « الأمين العام » انتخبه المجمعيون لهذا المنصب ، فظل يضطلع بأعماله الى حين وفاته ، وكلما انتهت مدة عمله فيه جددوا انتخابه مرةً بعد مرة .

ولم يؤلف الفقيد كثيراً من الكتب . ولكن سيرته في الإصلاح طيلة حياته كانت كلها سفراً كبيرا . ولو جُمعت مقالاته في مختلف الجرائد والمجلات العربية ، وخطبه في النوادي العامة ، وبحوثه التي ألقاها في مجمع اللغة العربية لتألف منها كتب ثمينة .

ومما طُبع له ترجمة رواية « هرمان ودوروتيا » وهي للشاعر الألماني غوته ، وبضع رسائل اجتماعية منها « الضعف الخلقي وأثره في حياتنا الاجتماعية » ، ومنها « أوقات الفراغ كيف نستثمرها » الخ .

وكتاباه المطبوعان اللذان اشتهرا لدى الأدباء هما «خطرات نفس» ، و «مي زيادة ، مع رائدات النهضة النسائية الحديثة» وهن عائشة التيمورية ووردة اليازجي وملك حفني ناصف الملقبة بباحثة البادية .

فالكتاب الأول مجموعة من المقالات في أخلاقنا ، وتأملات في نواحي حياتنا الاجتماعية . وقد تميز فيها الفقيد بسلاسة التعبير ، ودقة التصوير ، وضبط دلالة الألفاظ على معانيها ، وتركيز تلك المعاني ، وبذلك عُد في جملة الرواد من الكتّاب الذين أحلوا المقالة مكانها المرموق في عصرنا الحاضر .

أما الكتاب الثاني فما من أديب قرأه إلا وقال فيه إنه يحتوي على بيان رائع ، وتصوير جميل ، وتحليل فلسفي دقيق لحياة رائدات النهضة النسوية الحديثة ، ولمجتمع الزمن الذي عشن فيه .

وسيرة الفقيد ـ على ما ذكرتُ ـ هي التي كانت للجيل الحاضر أجمل كتاب . فقد قضى عمره داعياً الى الاستمساك بما عندنا من عادات وتقاليد حسنة ، وبما في الدين من وصايا خلقية ثمينة ، حتى عده بعضهم من المتزمتين أو الجامدين ، على حين أنه لم يكن عدواً للتجديد ، بل كان عدواً لترك الصالح من مقوماتنا القومية ، ولفكرة اقتباس الصالح والطالح من المدنية الغربية من غير تمييز .

أقام فلسفته على مبدأ الخير والشر ، ونفذ الى نواحي المجتمع ، فتجلت دعوته الدينية القوية في جمعية الشبان المسلمين ، ودعوته الإنسانية في جمعية الهلال الأحمر وغيرها من الجمعيات الخيرية ؛ وبرز نشاطه الاجتماعي في جمعية الإصلاح الاجتماعي ، ونشاطه العلمي والأدبي والفلسفي في جامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ودار الكتب المصرية ومعهد الدراسات العربية العالية . أما في مجمع اللغة العربية فأعضاء ذلك المجمع يعرفون أن الدكتور منصور فهمي ، وإن لم يكن لغوياً ، قد خلف الشيخ أحمد السكندري رحمه الله في كرهه للإكثار من تعريب

المصطلحات الأعجمية ، وأنه كان يرى عدم اللجوء الى تعريب ألفاظ المعاني خاصة إلا بعد اليأس من العثور على ألفاظ عربية تقابلها في معجماتنا القديمة وفي كتب السلف العلمية والأدبية ، أو بعد العجز التام عن إيجاد ألفاظ عربية لأدنى ملابسة بوسائل الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو النحت .

ولطالما سمعته في جلسات مجلس المجمع أو مؤتمره يجادل أنصار الإكثار من تعريب المصطلحات العلمية ، ويقول لهم إن اللفظ العربي له جاذبيته الخاصة عند أبناء العروبة لأسباب وراثية ، ولأنه يثير في نفوسهم معاني وصوراً يعجز اللفظ الأعجمي المعرّب عن إثارتها .

ولا يعرف إلا قلة من أبناء الوطن العربي أن الفقيد كان يؤمن مثلنا بعقيدة القومية العربية ، وأنه من المصريين الأوائل الذين كانوا يتجاوبون هم والعاملون في شؤون تلك القومية ، فيفتحون لهم صدورهم ودورهم في الأزمات السياسية . والعرب الذين كانوا يلجأون الى مصر فراراً من ظلم الدول الاستعمارية في بلادهم كانوا يعرفون حدب الدكتور منصور فهمي على قضيتهم ، وتردده على جمعياتهم ، ومشاركته لهم في سرائهم وفي ضرائهم .

رحم الله الفقيد وجزاه عن العرب وثقافتهم ولغتهم وقوميتهم جزاء العاملين المخلصين .

مصطفى الشهابي

الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي [1]

موضوع الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي موضوع كبير لا يمكن استيعابه في حديث واحد ، وذلك لأن الدراسات العربية تؤلف جزءاً من علم واسع معروف بعلم الاستشراق ؛ والشرق العربي كان منذ قرون ممتداً من البحر الأطلنطي غرباً إلى الصين شرقاً .

وإذا أردنا التحدث عن الدراسات العربية بالتفصيل كان لا بد من أن نشرح تاريخ فرع كامل من فروع العلم في بلادنا ، وأنا عاجز عن أداء هذه الوظيفة .

أما نشوء الدراسات العربية بمعناها العلمي في روسيا فهو يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت اللغة العربية تُدَرَّس في جامعات خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبورغ . ومن بين أبرز العلماء الذين بدأوا الأبحاث العربية العلمية في روسيا في ذلك الحين نذكر المجمعي فرين (١٧٨٢ — ١٨٥١) أستاذ اللغة العربية في جامعة قزان أولاً ، ثم بجامعة بطرسبورغ ، وهو مؤسس المتحف الآسيوي المشهور في بطرسبورغ ، حيث قام بصورة منظمة وعلى أساس علمي بدراسة المخطوطات العربية . ونذكر أيضاً الأستاذ بولديروف ، كان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة موسكو من سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٤٣ . وقد أصدر بولديروف أول كتاب علمي لدراسة النحو العربي باللغة الروسية ، وأول كتاب منتخبات من الأدب العربي مصحوب بمعجم عربي روسي .

وقد كان المستشرقون ، منذ نشوء الدراسات العربية في روسيا ، لا يقتصرون على البحث العلمي أو التعليم في الجامعات ، بل كانوا أيضاً يعملون على إطلاع

---

(١) حديث للمستشرق الروسي الأستاذ عبد الرحمن سلطانوف مدير القسم العربي في معهد الدراسات الشرقية في موسكو . ألقاه في جمعية تعزيز التبادل الثقافي بين سورية والاتحاد السوفياتي .

المجتمع الروسي على الثقافة العربية . فقد قام بولديريف وتلاميذه بترجمة بعض القصائد والأقاصيص العربية الى اللغة الروسية ، واشتهر بهذا النشاط بوجه خاص أستاذ اللغات الشرقيـة في «بطرسبورغ» الصحفي الروسي المعروف يوسف سينكوفسكي . وقد كان ينشر مقالات في الأدب العربي ، منها مقال رائع في الشعر الجاهلي لم يفقد قيمته العلمية حتى الآن . كما كان ينشر بعض الأقاصيص فيستقي موضوعاتها من الأقاصيص العربية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغت الدراسات العربية ، كسائر الدراسات الشرقية في روسيا ، مستوى مرتفعاً جداً . وكان يتقدم العلماء المستعربين في ذلك العهـد الأستاذ غيرغاس والمجمعي روزين . أما غيرغاس فقد تخرج من جامعة « بطرسبورغ » ، وقضى ثلاث سنوات في سورية ولبنان وفلسطين ومصر . وبعد رجوعه إلى روسيا تولى تدريس اللغة العربية ، ووضع عدداً من الأبحاث العلمية ، ومعجماً عربياً روسياً ، وكتاباً في تاريخ الأدب العربي ، وكتاباً آخر في تاريخ الدراسات النحوية عند العرب . وفي هذا الكتاب انتقد غيرغاس بعض النواقص الموجودة في الطريقة المعقدة التي اتبعهـا العرب في شرح قواعد اللغة ، تلك النواقص التي يشكو منها اللغويون العرب المعاصرون حتى اليوم ؛ وذلك إلى جانب تقدير كل ما يوجد في كتب اللغويين العرب القدماء من محاسن .

وأما المجمعي روزين فقد برّز في مضمار دراسة المخطوطات العربية . وله يد بيضاء في تربية جيل من المستشرقين وبينهم تلميذه المجمعي كراتشكوفسكي .

وفي بداية القرن العشرين كانت الثقافة العربية تُدرس في عدة مراكز علمية في روسيا . وكان بين كبار العلماء الذين اشتغلوا بالدراسات العربيـة الأستاذ قريمسكي والأستاذ كراتشكوفسكي .

وفي العهد السوفياتي اتسعت الدراسات الشرقية في بلادنا إلى حدّ كبير . ونشأت في لينتغراد مدرسة استشراق فيلولوجية مشهورة كان يشرف على الدراسات العربية فيها الأستاذ العلامة اغناطيوس كراتشكوفسكي المشهور .

لقد وضع الأستاذ كراتشكوفسكي حوالي (٥٠٠) بحث علمي في الأدب العربي القديم والحديث ، وفي العلم العربي والفكر العربي . وكان من أهم خدماته في قضية دراسة الثقافة العربية أنه كان أول من جعل الأدب العربي الحديث موضع الدراسات العلمية ، بينما كان المستشرقون في أوربة الغربية لا يعترفون إلا بالأدب العربي القديم .

وبعد وفاة كراتشكوفسكي (في كانون الثاني سنة ١٩٥١) ، قرر المجمع العلمي السوفياتي إصدار مجموعة مؤلفاته . وقد جاء هذ القرار دليلاً على مبلغ احترام الشعب السوفياتي لثقافة العرب التي وقف الأستاذ كراتشكوفسكي حياته على دراستها وإطلاع الشعب عليها . وتتألف هذه المجموعة من ستة مجلدات صدر منها حتى الآن ثلاثة ، يحتوي الأول منها ذكريات كراتشكوفسكي عن خطواته الأولى في طريق دراسة الثقافة العربية ، وعن زيارته لسورية ومصر ، كما يحتوي مقالاته عن اللغة العربية . ويتضمن المجلد الثاني أبحاث هذا العالم في الأدب العربي القديم ، ويتضمن المجلد الثالث أبحاثه في الأدب العربي الحديث .

وسيصدر عما قريب المجلد الرابع وفيه جمعت أبحاث الأستاذ كراتشكوفسكي في الأدب العربي الجغرافي ، كما سيحتوي المجلد الخامس على مقالاته في تاريخ الدراسات العربية في روسيا ، والسادس على ترجمة كتاب ابن المعتز (في الشعر العربي) ؟ وعلى وصف كراتشكوفسكي للمخطوطات العربية في مكتبات الاتحاد السوفياتي .

ومن يجدر ذكره بين العلماء الذين عملوا في لينغراد الأستاذ يوشمانوف المتخصص في اللغات السامية والافريقية ، وقد وضع عدة أبحاث في اللغة العربية

قيمة للغاية ، وكذلك الأستاذ ڤيلينتشك الذي عمل على وضع معجم عربي رومي خاص باللهجة السورية . وقد بذل في هذا السبيل جهوداً تستحق الإعجاب ، ولا سيا إذا علمنا أنه كان مصاباً بالصمم . وقد توفي كلا هذين الأستاذين بُعَيد الحرب العالمية الثانية .

وفي أثناء الحرب الأخيرة توفي مستشرق رومي كبير آخر عاش في السنوات الأخيرة من حياته في أكرانيا ، ونعني به المجمعي قريمسكي ، الذي زار سورية خلال السنوات ١٨٩١ — ١٨٩٨ ، وفي المرحلة الأولى من نشاطه العلمي أصدر سلسلة من الكتب للطلبة والمستشرقين ، منها (تاريخ الإسلام) وكتاب (اللغات السامية) و (تاريخ العرب) و (تاريخ الأدب الجاهلي) كما نشر عدداً كبيراً من المقالات عن الشرق في الموسوعات الروسية ، وتجدر الإشارة إلى أن قريمسكي قد أخذ قبيل الحرب العالمية الثانية بوضع كتاب ضخم في عدة مجلدات في تاريخ الأدب العربي الحديث . ولو أتم قريمسكي بحثه هذا لكان أول كتاب من نوعه في الاستشراق العالمي ، ولكن الحرب حالت دون ذلك فلم ينجز إلا المجلد الأول من كتابه . وتتخذ الآن التدابير اللازمة لإصدار جميع مؤلفات هذا العالم .

وأما في وقتنا الحاضر فإنه توجد مراكز كثيرة للدراسات الشرقية والعربية في الاتحاد السوفياتي . فهناك معهد للدراسات الشرقية في موسكو وله فروعه المستقلة في طاشقند وباكو وقزان وتبليسي (تفليس) ولينىنغراد حيث يتخصص العلماء بوجه خاص في دراسة اللغة والآداب والمخطوطات العربية . وقد قُدِّم في هذه المراكز في المدة الأخيرة ما يقرب من ثلاثين أطروحة علمية في شتى موضوعات الأدب والتاريخ العربيين .

وقد نشر الأستاذ بيليايف فصلاً كاملاً عن تاريخ العرب في كتاب « تاريخ الشرق في القرون الوسطى وفي العهد الجديد » ، كما ترجم الأستاذ نفسه إلى

اللغة الروسية القسم المتعلق بتاريخ شعوب آسيا الوسطى من تاريخ الطبري . وقدم لهذه الترجمة بشرح مفصل لحياة الطبري ومؤلفاته العلمية .

وقد أعدّ الآن للنشر كتاب وضعه فريق من المستشرقين في معهد الدراسات الشرقية عن تاريخ الحركة الوطنية التحررية في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية .

ومنذ سنة صدر في موسكو كتاب « تاريخ الشرق الحديث » ، يحوي فصولاً عن تاريخ مصر وسورية ولبنان والعراق وسواها من الأقطار العربية من سنة ١٩١٧ إلى اليوم .

ونشر في طاشقند ترجمة (قانون الطب) لابن سينا . كما صدر في خاركوف بحث في كتاب رحلة ابن فضلان إلى روسيا في القرن التاسع . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الروسية الأستاذ كوفاليفسكي مع دراسة ضافية .

وفي هذه السنة ستصدر في موسكو الطبعة الثانية من المعجم العربي الروسي للأستاذ بارانوف من أساتذة جامعة موسكو . ويتميز هذا المعجم بدقة نقل المفردات والمصطلحات العربية إلى اللغة الروسية . وهو يعدّ حقاً خير مساعد في ترجمة النصوص الأدبية والاجتماعية والاقتصادية إلى الروسية .

وقد هيأ القسم العربي لمعهد الدراسات الشرقية (دليل سورية) . وهو كتاب ضخم في خمس وعشرين ملزمة ، يتضمن معلومات مفصلة عن تاريخ سورية وثقافتها في العهد الجديد . وسينشر هذا الكتاب في هذا العام إن شاء الله .

ويشترك المستشرقون عندنا في ترجمة نماذج من الأدب العربي الحديث إلى اللغة الروسية . وقد نشر باللغة الروسية حتى الآن بعض الروايات والقصص لأدباء العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق ، بينها كتاب (الأيام) لطه حسين الذي نقله إلى الروسية العلامة كراتشكوفسكي ، ورواية (عودة الروح) لتوفيق الحكيم .

وفي عام ١٩٥٥ صدرت مجموعة قصص لكتاب العرب تحوي نماذج من قصص محمود تيمور ، وعبد الرحمن الخميس ، ويوسف إدريس ، ومحمد صدقي ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ووصفي البني ، ومحمد إبراهيم دكروب ، واميل يوسف عواد ، وعبد المسيح حداد ، ومواهب الكيالي ، وأحمد السيد ، وذو النون أيوب .

ونشرت كذلك مجموعة قصص للأدباء المصريين كمحمود تيمور ، وعيسى عبيد ، وبنت الشاطئ ، والشرقاوي ، ويوسف جوهر ، وادريس وسواهم ...

وفي سنة ١٩٥٦ نشر كتاب يتضمن مؤلفات ولي الدين يكن وجبران خليل جبران وأمين الريحاني ومحمود تيمور وشحاتة عبيد وسلمى صائغ وذو النون أيوب .

وأعدت للنشر ترجمات بعض مؤلفات مواهب الكيالي وشوقي بغدادي وميخائيل نعيمة ومارون عبود وحنا مينة وفاتح المدرس وسواهم .

وكذلك نشر في العام الماضي في موسكو مجموعة تتضمن منتخبات من آثار الشعراء المصريين .

وفي معهد الدراسات الشرقية تصدر شهرياً عدة مجلات علمية ، منهـا (مجلة الاستشراق السوفياتي) ، و (الرسائل العلمية) ، و (أخبار معهد الدراسات الشرقية) . وعما قريب ستظهر مجلة جديدة اسمها (الشرق الحديث) .

ويوجه القسم العربي في المعهد في الوقت الحاضر اهتمامه الخاص إلى بحث عميق . ألا وهو (قضية الوحدة العربية) ، ويحاول دراسة العوامل التاريخية ، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية التي تنطوي عليها هذه القضية العظمى .

عبد الرحمن سلطانوف

ديوان الحافظ محمد النجار الشامي

دعاني الأديب المؤرخ الشيخ محمد باقر ألفت الاصفهاني إلى زيارة بلدة اصفهان ، مدينة العجائب العامرة بالمدارس والمساجد والخزائن ؛ وقد لبثت في بيته عدة أيام تصفحت في أثنائها خزانته الحافلة بالكتب الخطية والأعلاق العربية النفيسة . وقد عملت لنفسي فهرست ما يهم من نوادر خزانته ، فأتاحت لي فهرست مخطوطاته الاطلاع على طائفة كثيرة من المجموعات الأدبية المحفوظة بخزانته التي تعد – والحق أقول – من الذخائر .

ومن تلك الكتب القيّمة نسخة من ديوان الحافظ محمد الشهير بالنجار ؛ كما عبّر هو عن نفسه في الأرجوزة التي أثبتها في أواخر الديوان ، المسماة (لؤلؤة التنزيه للرب النزيه عن التعطيل والتشبيه = نظم كتاب مقامات الأولياء للشيخ عبد الوهاب الشعراني) قال :

قال الفقير حامل الأوزار محمد الشهير بالنجار

وقال – في نظم رموز كتاب الحصن الحصين التي اختارها ابن الجزري :

قال الفقير الحافظ النجار محمد من مضه الأوزار

طول أوراق النسخة ٥و٢١ سنتيمتر في عرض ٧و١٦ ، وجميع أوراقها ٢٤٣ وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وهي مكتوبة في عصر الشاعر وربما كانت نسخة الأصل (ظ) فقد أرخ الشاعر الحوادث الى سنة ١١٧٣ هـ وفي أولها : (دخل في ملك أفقر الورى اليه سبحانه وتعالى السيد مصطفى بن السيد أحمد خادم أبي الدرداء – رضي الله تعالى عنه – سنة ١١٧٥) . والصفحة الأولة

من الديوان [الورقة ١ ب] بيضاء فارغة لعل الشاعر انتوى كتابة خطبة الديوان فيها ثم أدركه الموت ، وفي أواخر هذه الصفحة :

لما جحــدت مودتي وتعرفي

وضللت في قصد السبيل المقرف

وغددتني نادبت بعــد تلهفي

وتتمته في [الورقة ٢ أ] :

لله في عنقي يمين المصحف   وعليّ كل ذنوب أهل الموقف

... الخ

وهذا الديوان حافل بفوائد وحوادث كثيرة مستطرفة ؛ منها :

سنة ١١٥٤ وفاة الشيخ مصطفى المصري الحافظ شيخ القراء بدمشق

١١٥٥ وفاة موسى آغا بن الاردك

١١٥٦ تولية أسعد بشه (كذا _ باشا) بن العظم على دمشق وأعمالها

١١٥٩ وفاة السيد محمد فتحي الدفتردار بأمر السلطان عصر نهار الأحد منتصف جمادى الآخرة .

١١٦٧ تاريخ بناء خان الوزير أسعد باشا بن العظم

أواخر ١١٦٧ وفاة المجذوب الشائح الشيخ خليل الملقب بالبيّاض

١١٦٨ وفاة الشيخ محمد الداودي

«سنة ١١٧٠ لعشر خلون من شهر رمضان ، وقع شر بين طائفة الينكشارية وطائفة القول . واستمر في دمشق الى آخر ربيع الثاني سنة ١١٧١»

١١٧١ ولي المولى السيد علي افندي المرادي وظيفة الإفتاء بدمشق

١١٧٣ «في أوائل شهر ربيع الأول ، ليلة الثلاثاء منه ، قبل ليلة المولد الشريف بثلاث ليال ، أو ما يقرب من ذلك ، في منتصف تلك الليلة

المذكورة ، جاء في دمشق ونواحيها زلزال هدم البنيان ، وأيتم ، وخرب المنارات ، وغادر المساجد ، والنواحي ، خرابا ... سقطت أعالي منارة العروس ، وساوت منارة عيسى الأرض ، وسقطت قبة النسر ، وتهدم أعالي الجانب الشمالي من الجامع .. فأمر القاضي بالصيام ثلاثة أيام » .

وفي الديوان مدح لحامد افندي العمادي شيخ الإسلام ، والوزير سليمان باشا بن العظم ، ويحيى آغا بن طالوا ، وأسعد باشا بن العظم .

ومن طرائفه أبيات « طلبها بعض الأصدقاء لتقرأ يوم ختم درس الحديث ، تحت قبة النسر ، في الجامع الأموي ، والمدرس إذ ذاك - شيخ مشايخنا ؛ علامة القطر الشامي .. الشيخ اسمعيل العجلوني » ، وأبيات قالها لما أكمل نسخ كتاب انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون . واخر نظمها « اجابة لمطلب محمد جربجي القباني يشكر هدية نقيب أفندي السيد علي العجلاني - كتاب الكشكول » . وقد نظم بعض قواعد الرسم والنحو . وله مراسلات مع الشيخ عبد الله الحلبي .

الدكتور حسين علي محفوظ

أغلاط مطبعية

وقعت في هذا الجزء أغلاط مطبعية تصحح كما يلي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٤٣٥	أساجع	أسامع
٤٣٦	من كل فج	في كل فج
٤٣٧	لم يفتهم	لم يغنهم
٤٣٧	لو كاد	لو كان

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الرابع — المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ م — ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٩ هـ

مَـــدَى النَّحْت
في اللغة العربية

توطئة :

من المعروف أن النحت في لغتنا الضادية النَّشْرُ والقَشْر والبَرْي . يقال نَحَتَ الخشبَ والحجارة اذا براها . ومن المعروف أيضاً أن النحت في الاصطلاح انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر ، على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد نحت القدماء من (الجملة) فاشتهر من منحوتاتهم قولهم حمدلَ حمدَلةً من الحمد لله ، وبسمَل بسملةً من بسم الله ، وسبحلَ سبحلةً من سبحان الله ، وحسبلَ حسبلةً من حسبي الله ، وجعفدَ من جُعلت فداك ، ودمعزَ من أدام الله عزه ، وحولق من لا حول ولا قوة الا بالله ، وطلبقَ من أطال الله بقاءك ، ومشكنَ من ما شاء الله كان الخ .

ونحتوا أيضاً من المركب الإضافي : فمن مشهور ما قالوه في النسب الى عبد شمس عَبْشَمِي ، والى رأس عين «في الجزيرة» رَسْعَنِي ، والى عبد القيس عَبْقَسِي ، والى حصن كَيْفا «على دجلة شمالي الجزيرة» حِصْكَفِي ، والى عبد الدار عَبْدَري ، والى دار البطيخ في بغداد دَرْبَخي .

ولم يتبعوا قواعد ثابتة سواء في الحروف التي تُنتزع من المنحوت منه ، أو في ترتيب حروف المنحوتات . ولكن القاعدة المعروفة أنهم يأخذون من كلمتين كلمة على وزن فَعْلَل ، ويأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ، ثم ينسبون الى المنحوتة ، كقولهم عَبْشَمِيّ من عبد شمس ؛ فإنهم انتزعوا العين والباء من كلمة عبد ، والشين والميم من كلمة شمس ، ثم أضافوا الى عبشم ياء النسبة المشددة .

وقد تعتل عين الجزء الثاني من فعلل ، فيتجاوزون عنها الى اللام ، كما في عَبْقَسِيّ من عبد القيس فقد تجاوزوا عن ياء قيس الى سينها .

إلا أننا وجدناهم يشذون عن هذه القاعدة في مثل قولهم دربخي في النسب الى دار البطيخ . فمن مقتضى القاعدة أن يقال دربطي .

وكذلك في النسب الى سوق مازن فقد قالوا سقزني حاذفين فاء الكلمة الثانية أي ميم مازن .

أما موضوع ترتيب الحروف في النحت فقد اختلفت فيه آراؤهم . فعند ابن فارس يقال حَوْقَلَ ، بتقديم قاف حولق على لامها ، مثلما يقال جعفلة باللام ، بدلاً من الدال ، في جعفدة المنحوتة من جعلت فداك . وعدّ ابن فارس ذلك تفنناً ؛ ولكن ابن دحية قد خطّأه في الجعفلة هذه ، وقال إن الحوقلة هي مشية الرجل الضعيف لا منحوت «لا حول ولا قوة إلا بالله» .

وذكر الخفاجي في شفاء الغليل الطبلقة بتقديم الباء على اللام في الطلبقة المنحوتة من «أطال الله بقاءك» ، فخطأه بعض العلماء ذاكرين أنه لا بد من ترتيب الحروف في المنحوت ، على حسب ترتيبها في المنحوت منه .

ورأيناهم ، بعد هذا الخلاف ، يتجاوزون في بعض المنحوتات من الجمل عن جميع حروف بعض الكلم ، مثل كلمة دَمْعَز التي ألمعت اليها فليس فيها حرف من حروف لفظ الجلالة .

والخلاصة أن هنالك قاعدة وُضعت للنحت ، ولكن ما شذّ عنها كثير .

وعد القدماء النحت سماعياً ، فلم يجيزوه ، وذكر بعض المتأخرين أن ابن فارس قال بقياسيته في فقه اللغة ، والحقيقة أن ابن فارس لم يصرح بقياسية النحت ، بل ادعى أن الكثير مما زاد على ثلاثة أحرف منحوت ، والكثرة تجيز القول بالقياسية .

النحت في المصطلحات العلمية الحديثة . — كان مجمع اللغة العربية في القاهرة ألّف في سنة ١٩٤٧ ، لجنة من بعض أعضائه ، تنظر في موضوع النحت ؛ فوضع العلامة الشيخ إبراهيم حمروش مقرر اللجنة بحثاً ماتعاً في النحت [١] انتهى فيه الى قوله :

«ونحن نقول بجواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة الى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة» .

وقد أقرت اللجنة هذا البحث . وعندما عُرض في الدورة الرابعة عشرة (١٩٤٧ — ١٩٤٨) على المجمع وافق بعد المناقشة على جواز النحت عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية [٢] .

---

(١) نشر في الجزء السابع من مجلة مجمع اللغة العربية «ص ٢٠١ — ٢٠٤» .
(٢) ج ٧ ص ١٥٨ من مجلة مجمع اللغة العربية .

وليس المهم في بحثي هذا التنبيه الى أن النحت من الألفاظ العلمية أصبح جائزاً لنا ، فكل من يعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف أننا في حاجة الى النحت في بعض الأحايين ، والذي يهم بيانه إنما هو مدى الضرورة العلمية الى النحت ، والشروط التي يجب على الناحت أن يتقيد بها في وضع المنحوتات العلمية ، وأرى أن البحث عن حدود النحت ومداه يشتمل على كثير من الملاحظات التي ذكرتها في بحثي عن حدود التعريب ومداه (١) .

ففي النحت « كما في التعريب » فريقان من العلماء : فريق يرى أن كلمات « عند الضرورة العلمية » التي جعلها المجمع شرطاً في النحت شيء رخو قابل للمط والتأويل ، ولذلك راح رجال هذا الفريق يكثرون من النحت ، على حسب ما جادت به قرائحهم .

وفريق يرى أن تلك الكلمات قوية في دلالتها ، وأنه يجب مراعاتها بدقة في موضوع النحت ، لذلك تزمت رجال هذا الفريق ، ولم يستسيغوا الا الندرة من المنحوتات الحديثة .

وبين فريق المتهاونين وفريق المتشددين من العلماء برز فريق ثالث ممن لم يختصوا بعلم من العلوم ، ولم يطلعوا على خصائص لساننا ولم يهضموها ، فراحوا ينحتون على حسب ما توحي به اليهم معرفتهم باللغات الأجنبية وتفكيرهم بها ؛ وإذا بهم يأتوننا بمنحوتات عجيبة لا العلم يحوجنا اليها ، ولا الذوق العربي يستسيغها .

ولا بد لكل من يكلف نفسه مشقة النحت ، في نقل العلوم الحديثة الى العربية ، من أن يكون متحلياً بصفتين : الأولى إدراك مدى الحاجة الى منحوت عربي يقابل الكلمة الأعجمية ؛ والثاني التحسس بما يوافق الذوق العربي ولا ينفر منه السمع .

---

(١) نشر هذا البحث في عدد تموز سنة ١٩٥٦ ص ٥٠٩ - ٥١٢ من مجلة المجمع العلمي العربي .

منحوتات لا حاجة اليها . — من الأدلة على جهل مدى الحاجة الى النحت ما أقدم عليه مؤلف معجم إنكليزي عربي من نحت كلمات سقيمة تدل على أسماء شعب وطوائف ورتب من الحيوان ، على حين أن هذه الأسماء في علم الحيوان وعلم النبات لا حاجة فيها الى النحت .

وهاكم نماذج قليلة من هذه المنحوتات العجيبة :

في رتب الحشرات :

اللفظ المنحوت	اللفظ الفرنسي	اللفظ الصحيح
غمجناحيات (من غمد وجنـاح)	Coléoptères	غمديّات الأجنحة
غشجناحيات (من غشاء وجناح)	Hyménoptères	غشائيّات الأجنحة
مسجناحيات (من مستقيم وجناح)	Orthoptères	مستقيمات الأجنحة
عصجناحيات (من عصب وجناح)	Névroptères	عصبيّات الأجنحة

الخ

وفي السمك :

الشوجنيّات (من شوك وجناح)	Acantoptérygiens	شائكات الزعانف (لا الأجنحة)
الدوفميات (من دائر وفم)	Cyclostomes	حلقيّات الأفواه
اللعنفيّات (من لين وزعنفة)	Malacoptérigiens	ليّنات الزعانف

وفي الرخويات :

البطنجليات (من بطن ورجل)	Gastéropodes	معديّات الارجل

وفي الأوالي :

الجذرجليات (من جذر ورجل)	Rhizopodes	جذريات الأقدام «أو الأرجل»

الى آخر أمثال هذه المنحوتات العربية التي لا حاجة اليها البتة في علوم المواليد ، وفيها فوق ذلك ضرر بارز للعيان : ذلك بأن الأوربيين عندما ينحتون كلمة علمية واحدة من كلمتين يونانيتين ، كالكلمات الفرنسية المذكورة ، يهتمون بجعل

الكلمة المنحوتة مفهومة على قدر المستطاع ؛ ثم إن الطالب الفرنسي يتعلم مبادئ اليونانية واللاتينية ، وهو يعرف معاني الزوائد اليونانية ، من صدور وكواسع ، التي تضاف الى الكلمة الأصلية فتتألف منها الكلمة الفرنسية المنحوتة . فأنت اذا قلت للطالب الفرنسي إن هذه الحشرة من رتبة الـ Orthoptères مثلاً فهو يدرك على الفور أن حشرات هذه الرتبة لها أجنحة مستقيمة ، لأنه يكون قد درس في علم اشتقاق الألفاظ الفرنسية أن Ortho من Orthos اليونانية أي مستقيم ، وأن Ptère من Pteron أي جناح .

ولكنك اذا ترجمت ناحتاً فقلت للطالب العربي مسجناحيات فهو لا يفهم الا النصف الثاني من هذه الكلمة المنحوتة ، لأنك تركت كلمة جناح على حالها فلم تنزع من حروفها حرفين فقط ، وهما الجيم والنون ، على مقتضى القاعدة . ولو فعلت ذلك لأصبحت المنحوتة مسجنيات ، ولاستغلق المعنى فيهـا تماماً ، مثلما استغلق في الشوجنيات واللعنفيات والبطجليات وأشباه هذه الرطانات المستقبحة .

ولو ذكرتَ للطالب العربي الترجمة الصحيحة بكلمتين فقلت مستقيمات الأجنحة وشائكات الزعانف ولينات الزعانف الخ ، لفهم معانيها من دون حاجة الى الشرح ، ومتى احتاج الأمر الى بيان أوجه نحت المنحوتات ضاع معظم فوائدها .

ويتبين من هذه الأمثال أن الأسماء الأعجمية الدالة على الشعب والطوائف والرتب في الحيوان والنبات يجب ترجمتها بمعانيها ، سواء أُعبر عن الاسم الأعجمي الواحد بكلمة عربية واحدة ، أم بكلمتين ، أم بأكثر . والجلوء الى النحت في هذا الباب لا فائدة فيه ، ولا حاجة اليه ، أما ضرره فواضح .

ومن الطبيعي أن كلامي هذا لا يشمل علوماً أخرى قد يفيد النحت فيها . ولا بد في جميع الحالات الملجئة الى النحت من إدراك واسع لمدى الحاجة اليه ، ومن تذوّق صحيح لخصائص العربية وبيانها .

وموضوع الذوق في النحت لا يحتاج الى شرح طويل ، فمجمع اللغة العربية في القاهرة كان أجاز مثلاً ، في لغة العلم ، استعمال (لا) مركبةً مع الاسم المفرد (في مثل لا تُوَيجي Apétale ، ولا ثمري Acarpe ، ولا ساقي Acaule ، ولا مائي Anhydre الخ .) ، ولكنه اشترط أن يوافق هذا الاستعمال الذوق ، وأن لا ينفر منه السمع[1] .

داء النحت . — لقد أصبح النحت داء عند بعض أساتيذنا ، حتى عند بعض علمائنا ، وكثير منهم يدعون اليه ذاهبين الى أنه من أكبر الوسائل المفضية الى نمو اللغة العربية وتقدمها ، والحقيقة أنه أداة صغيرة الأثر ، اذا قيست بالأدوات السائرة من اشتقاق وتضمين وتعريب ؛ وكأني بالمتساهلين من أنصار النحت لا يبالون بأن تفضي آراؤهم الى خلق لغة نبطية جديدة تحل محل اللسان العربي المبين ، ولذلك وجدنا بعضهم يضربون بقواعد العربية عرض الحائط فيقول أحدهم مثلاً الغُدَيْعَضَلِي والشبهغدي بدلاً من الغدي العضلي ، وشبه الغدي . ويقول الأَلْفيوَرَقِي بدلاً من أَلْفِيّ الورق أو ذي ألف ورقة . وأشباه هذه الغرائب كثيرة في أحد القواميس الأعجمية العربية .

ولا أدري لماذا يخشى بعض الأساتذة استعمال كلمتين عربيتين مقابل كلمة أعجمية واحدة ؟ ففي لغتنا ألوف من الكلمات لا يستطيع الأعاجم نقل الكلمة الواحدة منها الى لغاتهم الا بكلمتين أو أكثر ، ومع هذا لم يهمهم هذا النقص ، ولم يجدوا فيه عاراً عليهم ، ولم يعملوا على تلافيه .

وهاكم أمثلة تمثلتُ بها في كتاب «المصطلحات العلمية في اللغة العربية» حيث قلت :

«إذا راجعت مثلاً مادة (Robes et Particularités) في معجمي[2] ،

---

(١) الجزء السادس من مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٧٢ .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية

وهي الألوان والشيات ، تجد أن لكل شية في الخيل اسماً عربياً مؤلفاً من كلمة واحدة ، يقابلها بالفرنسية كلمتان أو ثلاث كلمات ، ومنها الشيات الآتية :

أغرّ	Marqué en tête	الفرس الذي له غرّة أي بياض في الجبهة
سابلة	Liste en tête	الغرة التي تسيل على قصبة الأنف وتعرض في الجبهة
شِمراخ	Petite liste	الغرة التي دقّت على قصبة الأنف ولم تبلغ الجحفلة
يعسوب	Liste incomplète	اذا سال البياض على قصبة الأنف دون أن يبلغ العينين
خاتم	Principe de balzanes	أقل التحجيل ، وهي شُعيرات بيض في قوائم الفرس
إنعال	Trace de balzanes	عندما يكون البياض واضحا
تخديم	Petite balzane	عندما يجاوز البياضُ الأرساغ
تجبيب	Grande balzane	عندما يصعد البياض في القوائم ولا يبلغ الركبتين أو العرقوبين .
تسرْوُل	Blzane haut - chaussée	اذا بلغ التجبيب الركبتين او العرقوبين فالفرس مسرْوَل

« ونحن نقول (حديدة) وهي كلمة واحدة ، والفرنسيون يقولون (Un morceau de fer) وهي أربع كلمات ، ونقول (مَشَى) في كلمة ، ويقول الفرنسي (il a marhé) في ثلاث كلمات ، وهل كلمتنا (تَعَدُّد الخلايا) أطول ، أم الكلمة الفرنسية الواحدة وهي (Multicellularité) ؟ »

ومن الواضح أن لكل لغة قوالبها وأساليبها ، وأن العربية لغة اختزال ، فلا يضيرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل يضيرها ويشوهها أن يُضَمَّ اليها عدد كبير من المنحوتات الثقيلة الغامضة من غير معرفة بمدى الحاجة الى تلك المنحوتات ، أو من غير تقدير صحيح لذلك المدى .

وأهم ما يحتج له أنصار الإكثار من النحت كون النسبة الى الكلمة الواحدة

المنحوتة تكون ميسورة ، خلافاً للنسبة الى المركَّب الإضافي ؛ ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة اذا تعذرت ؟ فالترجمة لا تكون دائماً ترجمة صيغة بصيغة ، ولا حرف بحرف ، بل تكون بأخذ المعنى وبإفراغه في قوالب اللغة العربية .

فقد اقترح أحد العلماء مثلاً نحت كلمة قَبْتاريخ من كلمتي قبل التاريخ لجعلها أمام Préhistoire ، وعلى هذا يقال في سهولة قبتاريخي مقابل Préhistorique . ولكن ما هو مبلغ حاجتنا الى هذا النحت ، والى صيغة النسبة في الكلمة الثانية ؟ ولماذا لا نحافظ على أسلوب لغتنا فنقول قبل التاريخ ، كما نقول آثار ما قبل التاريخ ، وزمن ما قبل التاريخ بدلاً من الآثار القبتاريخية والزمن القبتاريخي ؟ وما هو مبلغ الضرر في أن يكون عدد الكلمات في هذه الإضافة أكثر منه في النسبة ؟

ومن المقترحات النحت من ظروف الزمان وظروف المكان لكي تسهل النسبة الى المنحوت ، فيقال مثلاً :

خامَدْرَسي (من خارج ومدرسة) Extrascolaire
فَوْسَوِي (من فوق وسويّ) Surnormal
تَحْشُعوري (من تحت وشعور) Subconsient
قَبَلُوغي (من قبل وبلوغ) Prepubère
الخ .

وواضح أنه من الصعب جداً قبول هذه المنحوتات وأشباهها ، وأننا لسنا ، على ما قلت ، في حاجة الى ترجمة النسبة بالنسبة ، وفي وسعنا ترجمتها بالإضافة فنقول خارج المدرسة وفوق السَّوِي وتحت الشعور وقبل البلوغ وهكذا . ولا ضرر مطلقاً في ترجمة كل كلمة من هذه الكلمات الفرنسية بكلمتين عربيتين .

فني وسعك أن تقول التعليم خارج المدرسة بدلاً من التعليم الخامدرسي ، مثلما تقول التعليم بعد المدرسة بدلاً من التعليم الغِبْمَدْرسي (من غب ومدرسة Postscolaire) ، وتقول التربية قبل البلوغ بدلاً من التربية القبلوغية الخ .

وعندما يحمل العالم المختص بأحد العلوم منحوتاته على شكل اقتراح متواضع (كما فعل العالم الذي ألمت اليه) يكون الخطب يسيراً ، ويكون الرجوع الى الصواب ميسورا ؛ أما أن يعمد غير المختص بعلم من العلوم الى وضع معجم أعجمي عربي في جميع العلوم العصرية ، ويحشيه بما يعن على باله من مثل المنحوتات السقيمة التي أشرت اليها في عرض هذا البحث ، فهناك يكون الداء الذي تشق مداواته . فالفرد ، أياً كان ، لا يستطيع معرفة جميع العلوم العصرية ، ولا يدرك مدى الحاجة الى النحت أو الى التعريب في كل علم من تلك العلوم الواسعة . ومما يدعو الى الارتياح أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد سار حتى الآن سيراً حكيماً ومتشدداً في موضوع النحت ، فالألفاظ المنحوتة في مجلته قليلة جداً ، ومعظمها في الكيمياء ، والمختصون بهذا العلم يعرفون أنه من أكثر العلوم احتياجاً الى النحت والتعريب جميعا .

مصطفى الشهابي

نظرة إجمالية

عن الرواية والقصـــة

لم يألف الرواية والقصة فريق من أئمة كتّابنا في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين ، كالشدياق وكردعلي ، فالأول زار «لندن» وشهد فيهـا التمثيل ووصف هذا التمثيل وصفاً يدل على ذوق ، ثم وصف بعض الأنواع الأدبية وسمّاها بأسمائها الافرنجية فقال :

«ثم إن التمثيل عندهم على نوعين ، الأول تمثيل مايحزن من نحو الحروب وأخذ الثأر ويقال له عندهم : تراجيدي [1] والثاني وهو عكسه ويقال له : كوميدي [2] ، وكلاهما يعدّان من الأدبيات ، غير أنّ النوع الثاني يكثر فيه التوريات والمؤاربات والتجنيس» .

وقد نقد بعض هذا التمثيل ، فنقد طول وقت اللعب فيه ، وانه لفي نقد هذا الطول اذ خطر بباله طول الرواية فقال : وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يسمّى : نوفل ، وهو أن يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلدات ، فيسفسفون ويدنقون ويأتون بالغث والثمين . .» .

وكما نفر الشدياق عن الرواية فقد نفر كردعلي عن القصة وهذا رأيه فيها : «أردت غير مرّة على أن أشارك في القصة ، أكتب فيها أو أنقده ، فما طابت نفسي للدخول في موضوع لم يأخذ منها ، وليس لي يد في القصص التي نشرتها

(١) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المحزنات .
(٢) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المضحكات .

أول أمري لأنها مترجمة ، وأكبر داعٍ الى عدم عنايتي بالقصة اعتقادي أنها مختلقة » .

هذان رأيان صريحان في زهد كاتبين من كبار كتاب النهضة الحديثة في الرواية والقصة ، على أنه كاد هذان النوعان الأدبيان يحلان أرفع محل في أدبنا .

أما نقد الشدياق لطول الرواية الانكليزية فقد كان على حق فيه لأن الرواية الانجليزية في أيامه كانت طويلة ، فهي ضعف الرواية الفرنسية ، وأما نقد كرد علي للاختلاق في القصة ففيه بعض النظر .

وقد يطول بي الكلام عن الرواية واتساعها لموضوعات شتى : للتاريخ ودراسة الأهواء ووصف الأخلاق وتحليل العواطف واتساعها للطبيعة وواقع الحياة والمذهب الطبيعي والمثل الأعلى كما يطول بي الكلام عن القصة ، على أن موضوعات القصة ليس من الضروري أن تكون مختلقة ، فقد يكون الموضوع مرة حادثة من الحوادث تستنبط من واقع الحياة فيجهد القاص في التفتيش عن أصولها وفي تصور عواقبها ثم في التفتيش عن تأثير هذه الحادثة في رجال آخرين وفي بعض الأوقات في المجتمع نفسه وقد يكون الموضوع مرة قانوناً من القوانين أو عادة من العادات أو حالة من الحالات فيجتهد القاص في تصور ما يمكن أن يعمله هذا القانون أو هذه العادة أو هذه الحالة في أشخاص يخترعهم ذهنه اختراعاً ، وعلى كل حال الاختلاق بمعناه اللغوي ليس من خصائص القصة وطبائعها ، فالافتراء شيء وتصور أمر ممكن الوقوع شيء آخر ، وأصحاب الروايات لا يخترعون أبطالاً فوق الواقع أو خارج الواقع ولكنهم يضعون أبطالهم في هذا الواقع .

وكيف كان الأمر فالظاهر أن بعض الأدباء يميلون في هذا العصر الى أن يجمع المؤلف وثائق شخصية انسانية يعرضها على القراء ، فهم قد أخذوا يفضلون المذكرات على الروايات .

ولم يعن أدبنا في قديم الدهر بالرواية والقصة العناية كلها ولا ألف هذين

النوعين الألفة كلتيهما واني أعتقد أن أدبنا كان أدب تركيب لا أدب تحليل ، فاذا رجعنا الى طائفة من كتبه كالعقد الفريد أو كالبيان والتبيين فانّا نجد في أكثر هذه الكتب عبارات وجيزة ، كثيفة في معانيها ، مختصرة في مبانيها تكاد تشتمل على موضوع رواية في هذا العصر ، من هذه العبارات ما ينسب الى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه : ما تزيّد متزيّد إلاّ لنقص في نفسه ، ولست مستوثقاً كل الاستيثاق من ألفاظ هذه العبارة ولكن هذا هو معناها ، فهذه العبارة قد تكون في عصرنا موضوع رواية من الروايات الفلسفية ، فاذا أراد كاتب روائي شرحها في رواية استطاع أن يبين لنا ما يسمّونه في الفلسفة : مركّب النقص ، أمّا العرب فان أذواقهم تنفر عن مثل هذا الشرح وهـذا التطويل ، فقد تغنيهم الإشارة أو اللمح عن كل ذلك وقد أعربوا عن هذا الغناء في كثير من مواضع كتبهم الأدبية ، وليس معنى هذا أن أدبنا يخلو من التحليل فانّا اذا رجعنا الى بعضه وجدنا فيه من التحليل المبني على التجربة والعيان ما يدهش العقل ، من ذلك تحليل الجاحظ للحسد في بعض رسائله ، فقد فطن الى دقائق من الحسد لا يكاد يفطن اليها الاّ الراسخون في علم النفس ، وكما لم يخلُ هذا الأدب من التحليل فكذلك لم يخلُ من القصص ، ومع هذا كله فالتركيب غالب على أدبنا أكثر من التحليل .

إلاّ أنّ الذي أعجب منه بعد هذه المقدمة وبعد هذا الاستطراد نفرة الشدياق عن الرواية وقد اجتمعت له خصائصها وأسرارها ، فالروايات في معظم الأحوال تشتمل على كثير من الوصف والتصوير اشتمالها على تحليل فكر من الأفكار أو مذهب من المذاهب ، فهي لا تستغني عن الوصف ولا عن التصوير ، واذا قرأنا رواية لكاتب راسخ في فنّ الروايات فان أوّل ما يبلغ منّا من هـذه الرواية إنما هو الوصف والتصوير .

لقد وصف الشدياق في كتبه أموراً كثيرة وصوّر أموراً كثـيرة ، لقد وصف الشوارع والآثار والأبنية والمآكل والثياب والسحن والأخلاق والحياة

الاجتماعية ووصف الفنون الرفيعة كالموسيقى والتمثيل ووصف بعض مخترعات عصره كالبرق وسمّاه في رحلته باسمه الافرنجي : التلغراف وفي هذا الوصف كله ظهرت شخصيته وظهرت عبقريته فان له قدرة على الوصف غريبة ، فعينه شديدة البصر وأنفه شديد الشم وأذنه شديدة السمع ولسانه شديد الذوق .

نجد في بعض وصفه لعادات أهل مالطة وأحوالهم وأخلاقهم وأطوارهم وصفاً بسيطاً مجرّداً من كل زينة الا أن ألفاظه وحدها كافية أن ترينا الأشياء الموصوفة بسبب الصلة القوية بين الاسم والمسمّى ، بين اللفظ ومعناه كما نجده يميل في وصفه الى بعض ألفاظ العامة المتعلقـة بالثياب كالبرنيطة والطربوش والصدرية والكبوف ، وشأنه في هذه المسامحة في اللغة شأن أكابر الكتّاب في القديم كالجاحظ الذي نرى في بعض كتاباته ألفاظ العامة لقوة تأثيرها في الأذهان .

وكما قدر الشدياق على الوصف فقد قدر على التصوير فصوّر فضول أهل مالطة وتلهيهم بالاسفاف من القول والعمل تصويراً يطول الكلام على خصائصه وعلى خصائص جمله ، فمرّة تكون هذه الجمل سريعة ومرّة تكون بطيئة وأريد بالسرعة في هذا المقام تصوير الكاتب لفكرته دون التعريج على التفاصيل والدقة غالبة على الأسلوبين ، أسلوب الوصف وأسلوب التصوير .

وكما عجبت من نفرة الشدياق عن الرواية وقد تهيأت له أسباب فنيا فكذلك عجبت من نفرة كرد علي عن القصّة وقد اجتمعت له بعض أسبابها ، لقد روى في مذكراته قصّة : قاضي دومة ، وهي وان كانت بضعة سطور إلاّ أنّا نجد لها عرضاً وعقدة وخاتمة وقد عرضت حوادثها في أوضح معرض وتسلسلت تسلسلاً منطقياً زاد في وضوحها واشتبكت فيها الحوادث اشتباكاً أخّاذاً ، وأسلوب هذه القصة واضح فكل لفظ مناسب لمعناه وفي بعض القصّة حوار ولا شك في أن الحوار ينفخ في القصّة روحاً وحياةً .

فلماذا نفر هذان الكاتبان الإمامان عن الرواية والقصّة ولم تغب عنهما أسرار فنّهما .

شفيق جبري

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٢ -

ولما تأسست دار الحكمة في أيام المأمون وانتظم أمر التأليف والترجمة واستكمل جمع الكتب من كل أنحاء العالم ، واتسع نطاق النشر والتعليم أيام جعفر ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، واستوفى العرب حظهم من التحصيل والمعرفة والاطلاع ، انتقلوا الى دور التعمق والتجربة والاستقراء والكشف والاختراع والتأليف وانشاء المعاهد والمشافي ، وساعدهم عليه ظموهم الى العلم وتحصيله ، واهتمام الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء وأصحاب الغنى به وبالعلماء ، وبذل هؤلاء الأموال لاستكمال ما كانوا يريدونه هم ويريده الأطباء والعلماء .
ولم يقتصر الاهتمام على الطب بل تناول الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، والقياسات والرصد ، والكيمياء ، عدا اهتمامهم ومساعداتهم وبذلهم الهبات والعطايا بسخاء وكرم للشعراء والأدباء ورجال الدين واطلاقهم الحرية لهم في البحث والقول والعمل .

وفي الحقيقة ان الطبابة لم ترتق وحدها بل ارتقت في هذه العهود المستشفيات والبيمارستانات والمؤسسات والملاجئ الخيرية وانتشرت بكثرة في جميع البلاد الإسلامية : في بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة وفلسطين ، وفي غرناطة واشبيلية وطليطلة والقيروان .

وفي عهد عبد الرحمن الثالث وولده الحاكم الثاني كانت اسبانيا في جامعاتها ومكتباتها ومدارسها وبيمارستاناتها من أرقى ما وصلت اليه الحضارة العربية ، وكان

من أطبائها وفلاسفتها الذين اشتهروا وأثروا في تقدم العلم والطب ابن رشد ، وابن الطفيل ، وبنو زهر ، وأبو القاسم الزهراوي وغيرهم .

ومما يدل على عناية العرب واهتمامهم بتشييد المعاهد العلمية والبيمارستانات والخانقاهات وترتيب ادارتها وتنظيمها ، ووقف الأموال والايرادات الكثيرة لتجهيزها وادامتها :

أولاً — كثرة عددها وانتشارها في جميع المدن والعواصم الاسلامية .

ثانياً — اهتمام العالم العربي ملوكاً وأفراداً ووزراء وشعباً بتمويلها ووقف المزارع والأملاك والمرافق لدوام عملها وترقية شؤونها .

ثالثاً — تنظيمها وحسن ادارتها وبذل العناية في هندستها وأثاثاتها .

رابعاً — تخصيص أهم الأطباء للتعليم والتدريس والتمريض فيها .

خامساً — فتحها للعامة والخاصة ، للذكور والاناث .

سادساً — تقسيمها الى فروع وجعل كل فرع خاصاً بقسم من الأمراض .

سابعاً — ربط المدارس الطبية والمكتبات والصيدليات بها .

ثامناً — تزويدها بكل ما تحتاج اليه من مؤونة وزاد وغذاء وأدوية وألبسة ومفروشات، وأشربة وأدوات ، ومياه نقية ونور وتهوية ، وأسرة وأغطية، وجعل وظائف أصحابها من أجل الوظائف ورتبهم من أرقى الرتب .

تاسعاً — اعطاء أطبائها وناظريها المرتبات الوفيرة عدا تقديم ما يقوم بكفايتهم من الأرزاق والمبات والجراية وعلوفة الدابة .

عاشراً — جعلها مرجعاً للتجارب ، وتدوين المشاهدات والنتائج ، ومركزاً للتأليف والاكتشاف والاختراع ، ودائرة لامتحان الأطباء والصيادلة واعطاء الاجازات .

وفي كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى تفصيل هام وأدلة وافية وصور عن الوقفيات المتعلقة ببيمارستان المنصوري ، والمعتضد ،

والنوري ، وصور عن المراسيم التي كان يصدرها الملوك لمن يتولى الطبابة والادارة والخدمة فيها ، والكل يؤيد ما قلناه عن عناية العرب ومبلغ اهتمامهم بهما وبايصال النفع العام لرعاياهم .

وكمثال على مقدار العناية والاهتمام يقول الدكتور في صحيفة ٨٦ وفي صفر ٦٨٠ هـ الموافق لعام (١٢٨١) م :

« ولما تكامل البيمارستان (يعني المنصوري) الذي أنشأه الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي بخط بين القصرين (هما القصر الكبير الشرقي الذي بناه جوهر قائد الفاطميين عام ٣٦٠ والقصر الصغير الذي بناه العزيز بالله أبو منصور نزار سنة ٤٥٠ هـ) من القاهرة ، وكان ذرعه (١٠٦٠٠) ذراعا . ركب السلطان وشاهده وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء ، وأخبر بعض من شهد السلطان وشهد عليه أنه استدعى قدحا من الشراب فشربه ، وقال قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وأوقفه السلطان على الملك والمملوك ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن . ورتب الحكماء الطبائعية ، والكحالين ، والجرائحية ، والمجبرين لمعالجة الرمد والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرجال والنساء . ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمة المرضى واصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام[1] ، ووفر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة ، وعملت الفرش والتخوت والطراريح والأقطاع والمخدات واللحف والملاءات لكل مريض فرش كامل ، وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها ،

(١) كان الأوربيون يجهلون الحمام ، وكانت مشافيهم كالزرايب ينام المريضان منهم في فراش واحد ، وكان غسل الجسم بالماء والصابون غير مستحب في نظر أطبائهم ، وفرش المرضى كانت منتنة من الرائحة القذرة والعرق .

وجعلت قاعة للرمد ، وقاعة للجرحي ، وقاعة لمن أفرط به الاسهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين [1] من الرجال ومثله النساء ، والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن ، وأفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأكحال والشيافات [2] والسفوفات ، وعمل المراهم والأدهان ، وتركيب الدرياقات (الترياقات) [3] وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة ، ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج اليه ، ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة ، ولم يحصر السلطان أثابه الله هذا المكان المبارك بعده في المرضى يقف عندها المباشر ويمنع عدناها ، بل جعله سبيلاً لكل من يصل اليه في سائر الأوقات من غني وفقير ، ولم يقتصر فيه على من يقيم فيه من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو في منزله ما يحتاج اليه من الأشربة والأغذية والأدوية حتى ان هؤلاء زادوا في وقت من الأوقات على مائتين غير من هو مقيم بالبيمارستان » .

ولا يقل الاعتناء والاهتمام ببقية البيمارستانات أينما كانت عما تقدم بيانه ، ولكن ظروف الزمن وتبدل الحكام ووقوع البلاد العربية تحت حكم الأعاجم والأجانب من مغول وتاتار وصليبيين وعثمانيين جعلها قفرة ، وأضاع أوقافها ووقفياتها ، وبدل معالمها ، وهدم أقسامها ، وشوه محاسنها ، وكانت في ذلك الحين صورة حية تنطق عن حضارة العرب وما أسدته للعالم من فضل على العلم والطب وخدمة الإنسان وحفظ الحياة والمجتمع .

واذا كنا في استعراضنا لم نستوف المطلوب لبيان سلسلة التطور الطبي والطبابة ، وكان علينا أن نسهب في ذكر الكتب التي ألفها العرب والمسائل التي فاقوا بها

(١) الممرور : من تهيجت فيه المرة أي السوداء فأثرت على عقله .
(٢) الشيافات : هي الفتايل . مفردها شيافة أو فتيلة .
(٣) الترياق : هو المركب الذي يشفي من السم .

من تقدمهم والمكتشفات التي اكتشفوها في أسباب العلل والأمراض ، والأدوية التي اخترعوها لمداواتها ، والآلات الجراحية التي توصلوا الى صنعها للقيام بالعمليات الجراحية ، ومن هم الأطباء الذين غدوا نجوماً في سماء العلم والتعليم يضيئون بنورهم على من كان في زمانهم ومن أتى بعدهم ، وما هي الاختراعات التي وصل اليها العرب في الكيمياء والصيدلة ، والمعالجة ، والتشخيص ، والتحليل وبقية العلوم الطبية وغير الطبية ، فلأن استيفاءها والتفصيل فيما يقتضيه الشرح والتفصيل يحتاج الى مجلدات ويخرجنا عن الموضوع ويبعدنا عن النتيجة التي نريد أن نصل اليها . وخير لنا أن نجيب أخيراً على السؤال الذي سألناه : هل من الضروري أن تتغيَّر أخلاقنا وآدابنا الطبية وتراثنا المهني وصفاتنا الاجتماعية التي اتصف بها أجدادنا الذي رفعوا شأن العلم والطب ؟ فأقول كلا ! لأن المقاييس العلمية والطبية والأخلاقية التي رفعت شأنهم وشأن من تقدمهم وحفظت مكانتهم لا تزال ذات المقاييس في قيمتها وصحتها ولو تبدل الزمن ، وتبدلت مناهج التعليم ، وتضاعفت مواد التدريس وعلا شأن الطب في ساحة المعرفة والاكتشاف والاختراع .

أما أماكن التدريس وكيفية التحصيل وأنواع الكتب التي كانت مواد دراساتهم ومناهج تلك المعاهد فيمكن الوصول الى معرفتها مستخلصين ذلك مما قاله ابن أبي أصيبعة ، والقفطي ، وتاريخ الطب للدكتور أمين أسعد خير الله . فابن أبي أصيبعة يقول : « وكان يلحق بالمستشفيات الكبيرة مدارس للطب ، فكان الطلبة يجتمعون في القاعة الكبرى حيث كانوا يراجعون دروسهم وينسخون المخطوطات الطبية التي راجعها أساتذتهم وأصلحوها لهم ، وكان هؤلاء يلقون عليهم الدروس من مؤلفات جالينوس والرازي وابن المجوسي حتى ظهر قانون ابن سينا [1] الذي كسف التعاليم السابقة . »

---

(١) هو أهم كتاب طبي عربي جمع ما وصل اليه علم الطب والطبابة حتى زمن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، وبقي مرجعاً للدرس والتدريس لكل من أتى بعده مدة ثمانية قرون في الشرق والغرب .

« ولمشاهدة التطبيقات ونتائج النظريات التي يدرسونها كان الطلبة والمساعدون يفحصون المرضى في العيادة الخارجية ويعرضون الحوادث الصعبة على رئيس العيادة ، وكانت الحوادث المهمة تشرح لهم شرحاً وافياً ويوصف لها العلاج اللازم » .

ويصف لنا في كتابه (عيون الأنباء) كيف كان يتلقى هو الطب ، وكيف كانت الأساتذة يلقون دروسهم ويمرنون طلابهم ، قال : « ولما أقام الشيخ مهذب الدين[1] بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب واجتمع اليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه ، وقبلها كنت أشتغل عليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مهذب الدين في خدمة السلطان الكبير ـ يريد به الملك العادل نور الدين منشئ البيمارستان الكبير في دمشق ـ فبقيت أتردد اليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس وغيرها . وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من الكتب ، وكان طلق اللسان ، حسن التأدية للمعاني ، ثم لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى في البيمارستان وتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال الصنعة . وكان في ذلك الزمن في البيمارستان الشيخ رضي الدين الرحبي وهو من أكبر الأطباء سناً وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكرا فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي الى البيمارستان ويستوصف منه للمرضى أوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون من البيمارستان الأشربة والأدوية التي يصفها ، فكنت بعد ما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران

---

(١) الشيخ مهذب الدين : هو أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالدخوار ، انتهت اليه رئاسة صناعة الطب ومعرفتها . مولده في دمشق وكان أبوه علي بن حامد كحالاً مشهوراً ثم أخوه حامد بن علي . وجد له مائة مجلد وأكثر بخطه بالطب وغيره من العلوم . خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وترأس البيمارستان النوري (نور الدين محمود بن زنكي) ثم في عام ٦٠٤ أصبح طبيب الملك العادل وطبيب العسكر وكان يتناول مائة دينار كل شهر ورواتب مثلها ، وتولى رئاسة أطباء مصر أيضاً .

من معالجة المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضي الدين الرحبي فأعاين كيفية استدلاله على الأمراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها » .

ومما سبق يتضح أنه عدا المحاضرات التي كانت تعطى للطلبة على المرضى كانت تكتب التعليمات اللازمة (الوصفات) وتنفذ بدقة وتدوّن الملاحظات عن كل مريض متتبعة سير المرض . وقد قيل ان الرازي بنى كتابه (الحاوي) على هذه الملاحظات . وكان للأطباء الحرية بالتجربة للأدوية الجديدة التي كانت تدوّن معلوماتها في كتاب خاص تنشر تحت عنوان (المجرّبات) .

ولم تكن مدارس الطب تابعة للمستشفيات دائماً ، فقد كان هنالك مدارس خاصة ، فالطبيب الغني والمشهور مهذب الدين الدخوار المار ذكره سابقا والذي مات بلا عقب أوقف منزله بدمشق ليكون مدرسة للطب ووقف عليها الممتلكات والقرى ليقوم ايرادها بنفقات المستشفى .

ويقول ابن أبي أصيبعه : « ولم يكن يصرح لأحد بتعاطي الطبابة إلا بعد فحص قانوني . وقد بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله في عام ٩٤٩ أن أحد الأطباء في بغداد أخطأ علاج مريض وتوفي المريض بسبب الخطأ ، فأصدر أمره بفحص جميع الأطباء (ما عدا الأطباء القائمين بخدمته) قبل التصريح لهم بتعاطي الطب وكان عددهم في بغداد وحدها (٨٦٠) طبيباً عدا أطباء الخليفة .

وكان أطباء المستشفيات يختارون بعناية خاصة دقيقة ، فالرازي انتخب لرئاسة المستشفى العضدي في بغداد من بين مائة طبيب . ويقال ان عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي قصد أن يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يحضروا له ذكر المشهورين ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر من هؤلاء أيضاً على عشرة فكان الرازي

منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي أحدهم ، ثم ميز بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله (ساعور) البيمارستان العضدي و (الساعور) معناه (عميد الأطباء والمشرف على المستشفى) . وكانت المستشفيات الإسلامية أشهرها المستشفى العضدي في بغداد ، والمستشفى المنصوري في القاهرة ، والمستشفى النوري في دمشق . وكان يوجد غيرها في مختلف العواصم العربية بما يزيد عن ثلاثين مستشفى لم تصل الى ما وصلت اليه من الرقي والروعة والكثرة وضخامة البناء ، واتقان الهندسة ، وحسن الادارة » ، ووفرة الأطباء إلا بعد أن استكمل العرب نهضتهم ونضوج معارفهم واتساع علمهم » .

ونحن مهما ذكرنا عن فضل العرب في انقاذ الطب والعلوم القديمة المتصلة به من الضياع ، ومهما قلنا عن ترتيبها والاضافة اليها وتسليمها الى أوروبا منسقة واضحة فيكفي أن ننقل ما قاله (لستون) وغيره عن ذلك كبرهان على صحة قولنا .

يقول (لستون) : « ان لم يكن للعرب من فضل غير هذا لكفاهم فخرا » .

ويقول الدكتور أمين خير الله : « ولو فرضنا أن العرب لم يضيفوا شيئاً الى معلومات القدماء فمن الأهمية بمكان أنهم أنقذوا تعاليم أبيقراط وجالينوس وحفظوها للعلم والانسانية . والواقع أنهم لم يكتفوا بانقاذها فحسب بل أضافوا اليها أشياء كثيرة وقاموا بنقل العلوم اليونانية والهندية والفارسية وعلوم باقي البلدان المتحضرة في زمانهم ، ووعوا وتفهموا المنطق والفلسفة والفلك والهندسة ، والتاريخ ، والآداب ، والموسيقى ، والكيمياء ، والزراعة ، والبناء والعمران ، وتفهموا جميع هذه العلوم وأضافوا اليها دروسهم واختباراتهم وأنشأوا مدنية عربية صحيحة وأعطوها الى العالم » .

ثم يقول : « واذا عدنا الى الماضي القريب لننتقد عصر التمدن الإسلامي وزهوه في الغرب والشرق نجد أنه من أكبر الأسباب في نهضة أوروبا ، فالمذاهب العلمية فيها وليدة الثقافة والعلوم العربية ، ونهضتها نتيجة تعاليم ابن سينا

والرازي والمجوسي وابن زهر والزهراوي في الطب ، والكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي وابن طفيل وابن العربي في الفلسفة ، والطوسي وعمر الخيام وابن يونس والمجريطي والبيروني والخوارزمي في الفلك والحساب ، وابن الهيثم وابن الكندي وابن الصلت في الطبيعيات ، وابن البيطار وابن الصوري وابن وحشية في النبات ، وابن حيان والرازي والزهراوي في الكيمياء .

وللعرب يعود الفضل في رفع مقام الطب وفي اقامة المستشفيات الراقية وفي انشاء وتوسيع الصيدلة ، وجعل الجراحة قسماً منفصلاً عن الطبابه ، وفي التصريح الشرعي لممارسة الطب والصيدلة ، وكان لهم الحظ الأوفر في توضيح المذاهب الفلسفية وحفظها للذرية ، وفي فصل العلم عن الدين ومحاولة التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وهم الذين أعطوا الروح العلميــة الصحيحة للغرب ، وكانت سبباً لايجاد طريقة (باكسون) العلمية ، وعلّموا العلماء البحث عن أسباب الأشياء ذاهبين من المعلوم الى المجهول ، فلا يقطعوا حقيقة أمر إلاّ بعد التثبت من صحته بالتجربة المكررة أو بالملاحظة الدقيقة . وكانت الكيمياء عند العرب كيمياء تجربة ، فالرازي عرف خواص الزئبق بتجربة استعماله على القرود ، وماسويه شرّح قرداً كبيراً وكتب كتاباً عما وجده ، وكانوا اذا لم توصلهم الملاحظة الى الغاية المطلوبة يلجأون الى طريقة المنطق والتحليل وبها اكتشف ابن نفيس الدورة الدموية الرئوية ، واكتشف ابن الخطيب العدوي في الوافدات . وقبل أن يبدأ باراسلوس اصلاحه الطبي في أوروبا كان العرب قد أدخلوا المنطق والبحث الطبي العلمي وخالفوا التعاليم التي لا تنطبق على منطقهم واختبارهم مهما كان مصدرها » .

وكما استقبل (سقراط) الموت في سبيل عقيدته وعلمــه كذلك ثلاثة من أطباء العرب المشهورين استقبلوا الموت بهدوء وشجاعة ، فابن سينا رفض أن

يتعاطى الدواء وباع كل ما يملكه ووزع ثمنه على الفقراء ، وانقطع الى العبادة وكان يتلو القرآن مرة كل ثلاثة أيام . والرازي رفض أن يعالج مقلتيه بعد أن أضنى بصره في التجارب والبحث والكتابة قائلاً بأنه قد رأى من العالم ما يكفيه . وابن زهر رفض أي اسعاف وقال لولده الذي كان يقوم بخدمته أنه اكتفى من الحياة .

وبعد هذا ما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ؟ هل هي كتب الترجمة فحسب أم كتب أخرى ألّفها العرب ؟

من يدقق فيما قدمناه من الاستعراض يتبين له أن طلاب الطب في المستشفيات والمعاهد العلمية كانوا يدرسون أولاً الكتب الأدبية ، ثم الكتب الدينية ، ثم الكتب الطبيعية ، ثم الكتب الرياضية والفلسفية ، ثم ينتقلون الى الكتب الطبية . وكان الطلاب يتبعون سيرة أساتذتهم الذين يلازمونهم في جميع مراحل الدراسة حتى إذا أتموها ووثقوا من أنفسهم في بلوغ الغاية ، ووثق أساتذتهم من كفايتهم وأخلاقهم وعلمهم تقدموا للامتحان وأخذ الإجازة في البيمارستانات الشهيرة بعد نجاحهم .

أما الكتب فكانت حتى أيام ابن سينا المجموعة المترجمة عن أبقراط وجالينوس وديوسقوريدس (١) ، وقد أتينا على ذكرها ، ثم ما ألّفه الأطباء الذين أتى بهم جعفر المنصور والرشيد والمأمون ومعظمهم من السريان النسطوريين ومن الصابئة كجورجيس بن بختيشوع وجبرائيل أخيه وعبد الله بن جبرائيل ، وبختيشوع ابن حنا ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش الأعسم ، والكندي ، واسحاق بن

(١) ويحيى النحوي ، وقسطا بن لوقا . اما الكتب فقد ذكرناها وهي لأبقراط وجالينوس وعددها (١٦) كتابا كان يقرأها المتطببون على الولاء ، وهنالك كتب أخرى هي من ترجمة حبيش وديسقوريدس واصله من عين (زربي) من أعمال حلب ويقال له السائح في البلاد .

حنين ، وثابت بن قره ، وسنان بن ثابت ، وأبو بشر بن متى ، ويوحنا بن ماسويه . وقد تبين أن معظم الكتب المترجمة كانت بين عام (٧٥٠—٨٥٠) بعد الميلاد .

ومن هذه الكتب المترجمة التي ذكرها ابن النديم في فهرسته وابن أبي أصيبعة في تاريخه طبقات الأطباء : (٤٦ كتاباً طبياً ليوحنا بن ماسويه ، و ٨٤ كتاباً ورسالة طبية لحنين بن اسحاق وهي لابقراط وجالينوس عدا ما ترجمه من غير الكتب الطبية ، ولقسطا بن لوقا البعلبكي ٣٢ كتاباً في الطب و ٢٩ كتاباً في الفلك والمنطق والرياضيات والفلسفة ، وللكندي ٣٣ كتاباً طبياً ، ولثابت بن قرة ٤٥ كتاباً) .

وأما التي ألفت فهي شروح ، أو اختصارات ، أو تعليقات ، أو زيادات على ما ترجم ، ولكن عندما ظهر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي عام ٣٢٠ — ٣٦٤ هجري بدأ العرب في اثبات كفايتهم وتدوين ثمار اختباراتهم وتأليف كتبهم الطبية بعد نضوج تحقيقاتهم وتجاربهم وتحرياتهم ، وبذلك يكون الطب والطبابة قد انتقلا من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة في تاريخ النهضة العربية والثقافة العلمية الطبية ، مرحلة الاكتشاف ، والاختراع ، والتقرير عن التجارب ، والتأليف .

والرازي طبيب المسلمين غير مدافع ، مسلم النحلة ، مشهور في علم المنطق والهندسة ، كان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم تركه وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً ، وألف كتباً كثيرة أكثرها في صناعة الطب ، وسائرها في ضروب من المعارف الالهية والطبيعية . وكان طبيب المارستان في الري ، ثم طبيب المارستان في بغداد ، بقي فيه طويلا ، وكان بينه وبين منصور بن اسماعيل

صداقة وله ألف كتابه « المنصوري » [١] ثم في آخر عمره عمي بماء نزل على عينيه ولم يسمح بقدحها ، وكان في دولة المكتفي وفي بعض زمن المقتدر . والرازي من حيث وصفه وسيرته يقول أحد عارفيه محمد بن الحسن الورّاق : « كان شيخاً كبير الرأس ، مسفطا ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذ أخر ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم ، فاذا أصابوا والا تكلّم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ، وكان لا يفارق المدارج والنسخ ، وما دخل عليه واحد إلاّ وجده ينسخ أو يسوّد أو يبيّض . وقد تلقى الفلسفة عن البلخي ، وكان البلخي يطوف البلاد ويجول الأرض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة » .

ومما هو معروف في كتب الطب أن الرازي كان أول من وصف الحصبة والجدري ولا يزال وصفه معروفاً في جميع الكتب القديمة والحديثة . وصنف كتاباً آخر سماه « الملوكي » قدمه لعلي ابن صاحب طبرستان ، وفي أول أيامه تعلق بالكيمياء وله تصانيف أيضاً فيها .

وكان الرازي يرمي إلى اثبات امكان تحول العناصر ووحدة الجوهر ، وفي سبيل هذه العقيدة قام بتجاربه التي أدت إلى اكتشاف كثير من المركبات

(١) «المنصوري» : ألفه الرازي لمنصور بن اسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر . وكتابه « الحاوي » وضعه في ثلاثين مجلداً ويسمى (الجامع الحاصر لصناعة الطب) . وله تآليف وكتب اخرى يبلغ عددها ما يزيد عن مائة وخمسين عدداً ، وكان عمره ثلاثين سنة عندما قدم الى بغداد وفيها تعلم الطب ودرّس . ومن رسائله المشهورة : (كتاب الجدري والحصبة ، كتاب الأدوية الموجودة في كل مكان ، كتاب الفالج ، كتاب اللقوة ، كتاب النقرس والعرق المدني ، كتاب اوجاع المفاصل ، كتاب الأذنين ، كتاب هيئة العين الخ)

الكيميائية . وكتابه «الحاوي» المشهور بين كتبه الثلاثة ألفه لابن عباد ولكن الأجل لم يفسح له المجال فلم يخرجه إلى الوجود ولكن أخرج ورتب بعد وفاته ، وأما كتبه الأخرى ورسائله فهي كثيرة تناولت علوم الطب ، والالهيات ، والفلسفة والطبيعيات ، والكيمياء ، وعلم النفس . وفي كل ما كتب وألف كان علماً لا يجارى في قوة تفكيره ، وسعة احاطته ، ودقة ملاحظته ، وعمق فلسفته ، وصحة منطقه ، وصدق تجاربه .

وبعد الرازي ظهر الفارابي وذلك في عام ٣٣٩ هـ ، وكان الفارابي من مدينة (فاراب) وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ثم سافر إلى بغداد وبقي فيها مدة وانتقل إلى الشام ، ولما دخل بغداد كان يعرف التركية وعدة لغات غير العربية ، فأتقن اللغة العربية وبلغ فيها غاية الاتقان وأخذ المنطق عن أبي بشر بن متى يونس الحكيم المشهور ثم ارتحل إلى مدينة (حران) وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفا من المنطق أيضاً وبعدها رجع إلى بغداد وقرأ علوم الفلسفة وتناول جميع كتب أرسطاطاليس وتمهر في اخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها . ويقال أنه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط الفارابي أني قرأت هذا الكتاب مائة مرة ولم يزل ببغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف به معظم كتبه [1] ، ثم سافر من بغداد إلى دمشق ولم يقم بها ثم توجه إلى مصر عام ٣٨٣ هـ .

---

(١) الفارابي لم تطبع كل كتبه ، والمطبوع منها : (١) آثار اهل المدينة الفاضلة (٢) الابانة عن غرض ارسطاطاليس (٣) كتاب ما بعد الطبيعة (٤) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية . (٥) رسائل الفارابي . (٦) شرح الفصوص . (٧) عيون المسائل . (٨) كتاب الموسيقى . (٩) مبادىء الفلسفة القديمة . (عن معجم المطبوعات العربية — السيد يوسف اليان سركيس) .

ويقول عنه ابن أبي أصيبعة : « كان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً ، وإماماً فاضلاً ، قد اتقن العلوم الحكمية ، وبرع في العلوم الرياضية ، زكي النفس ، قوي الذكاء متجنباً عن الدنيا ، مقتنعاً منها بما يقوم بأوده ، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين ، وكان له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلية منها ولم يباشر أعمالها ولا حاول جزئياتها . ولما دخل دمشق كان في أول أمره ناطوراً في بستان ، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها ، وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي كذلك مدة ثم عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار أوحد زمانه وعلامة وقته ، واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وأكرمه اكراماً كثيراً وعرفت منزلته عنده وكان له مؤثراً . »

« وقيل ان الفارابي لزهده لم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ، ولم يكن معتنياً بهيئة ولا منزل ولا مكسب . وكان في أول أمره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك وأقبل بكليته على تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البته ، وكان يذكر أنه كان يخرج إلى الحراس بالليل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرأه ، وكان في صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ، وهو الذي صنع آلة غريبة يسمع منها ألحاناً بديعة يحرك بها الانفعالات . »

وقال القاضي ابن صاعد بن أحمد بن صاعد في التعريف بطبقات الأمم : « أن الفارابي أخذ صناعة العلم الحكمي على يوحنا بن حيلان المتوفى في مدينة السلام . وكان يجتمع بابن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ

عليه صناعة المنطق . وسئل « أبو نصر » من أعلم أنت أو أرسطو ؟ فقال : « لو أدركته لكنت من أكبر تلاميذه » .

ويدلنا على شغفه في أريسطو وكتبه أنه قال : قرأت السماع لأريسطو أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودته .

ولأبي نصر من الكتب ما ينوف عن السبعة وتسعين كتاباً ورسالة ومقالة تنوعت مواضيعها في شتى العلوم والأدب والاجتماع ، والفلسفة ، والالهيات ، والرياضيات ، والكيمياء ، والموسيقا ، وعلم العدد وغيرها .

وحياة الفارابي تمثل الانقطاع للعلم ، والتجرد للدرس ، والزهد في الدنيا ، وما في الدنيا من زينة ومفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد . وكان قد لقي الأمير سيف الدولة الحمداني وهو في حلب ثم صحبه الأمير معه إلى دمشق، وفي عام ٣٣١ ألف كتابه (المدينة الفاضلة) وسافر إلى مصر عام ٣٣٨ ورجع إلى دمشق وتوفي بها في رجب سنة ٣٣٩ عند سيف الدولة في خلافة الراضي وصلى عليه الأمير في خمسة عشر رجلاً من خاصته .

وللفارابي دعاء صوفي شهير وقد جاء فيه هذه الأبيات وهي من شعره تكشف لنا عما انطوت عليه روحه الصوفية من عقيدة وحب آلهي . قال الفارابي :

يا علة الأشياء جمعاً والذي كانت به عن فيضه المنفجر
رب السماوات الطباق ومركز في وسطهن من الثرى والأبحر
اني دعوتك مستجيراً مذنباً فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من كدر الطبيعة والعناصر عنصري

ومع أنه تعلم الطب ولكن ميله للفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات غلب عليه فكان من أكبر فلاسفة الاسلام ، ولم يزاول الطب الصنعة بل أحاط به احاطة تامة وارتشف من حياضه حتى اطفأ ظمأه ثم انكف على التبحر في المنطق وما وراء الطبيعة فكان له ما أراد من فهم وعلم واطلاع وتأليف وانتاج ، ومع

ما كتبه من الكتب العديدة التي أشرنا إليها. فانه ألف في الطب كتباً كثيرة ودبّر مارستان الري ثم مارستان بغداد أيام المكتفي . ومن الأسف أن كتبه الطبية ضاع أكثرها ولم ينشر منها ما يذكر ، وأما كتبه الفلسفية فقد نشر منها وطبع : (آثار أهل المدينة الفاضلة ، وما بعد الطبيعة ، والإبانة عن غرض أرسطاطاليس ، وبعض رسالات ترجمت للالمانية ، وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادىء الفلسفة ، وشرح فصوص الحكم ، وكتاب عيون المسائل ، وكتاب الموسيقى) وبقية تآليفه لا تزال في عالم الخفاء كما خفي قبره من الوجود .

وبعد الفارابي يجدر بنا ذكر شيخ الأطباء « جالينوس » عصره الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا . وهو وان كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن تسطر ، فانه وصف سيرته وأحواله بما يغني غيره عن وصفه . ولد عام ٣٧٠ وتوفي عام ٤٢٨ .

قال ابن سينا : « ان أبي كان رجلاً من أهل « بلخ » [١] وانتقل منها إلى بخارى أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف والعمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميثن » من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى ويقربها قرية يقال لها « أفشنه » وتزوج أمي منها بها ، وقطن بها ، وولدت منها بها ، وولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب حتى كاد يقضى مني العجب . وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الاسماعيليين ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي . وكان ربما تذاكرا بينهما وأنا أسمع منهما وادرك ما يقولانه وابتدءا يدعوانني أيضاً اليه ويجريان على لسانهما ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني

(١) بلخ : كانت القصبة السياسية لولاية خراسان ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان . وفي عام ٣٣ هـ شدّ عليها الحصار ابن قيس الأحنف حتى فتحها ، وبعد زمن اجتاحتها قبائل جنكيزخان فدمرتها وذلك في عام ٦١٦ هـ و ١٢١٢ م .

إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلم منه ، ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي وكان يدعي الفلسفة وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه ، وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد وكنت من خيرة السائلين وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على الوجه الذي جرت عادة القوم به ، ثم ابتدأت بكتاب (ايساغوجي) ومعناه (المتولات = أو المقدمة للفلسفة) على الناتلي ولما ذكر لي حد الجنس أنه المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ؟ فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وحذر والدي من شغلي بغير العلم ، وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق وكذلك كتاب اقليدس في الهندسة فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ثم توليت حل بقية الكتاب بأسره ، ثم انتقلت إلى « المجسطي » (كلمة يونانية معناها الأكبر) وهو كتاب يبحث عن الفلك ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الاشكال الهندسية قال لي الناتلي تول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرض علي ما تقرأه لأبين لك صوابه من خطئه . وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحل ذلك الكتاب . فكم من شكل مشكل ما عرفه إلا وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه ، ثم فارقني الناتلي متوجهاً إلى (كركانج = مركز لمقاطعة خوارزم) واشتغلت بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح من الطبيعي والالهي ، وصارت أبواب العلم تنفتح علي ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية «السريانية»

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٥ —

٣ — صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية :

إذا أردنا إيجاد وحدة صورية بين هاتين الأبجديتين يجب علينا الرجوع إلى أقدم صورة باقية لكتبتيهما وهما القلم الاسطرنجيلي الآرامي ، والقلم الكوفي العربي فعند مقابلة هذين القلمين يتضح لنا اتحادهما في شكل جميع الحروف تقريباً ، الأمر الذي يؤيد تأثر القلم الكوفي بالقلم الاسطرنجيلي تأثراً قوياً بعد استقلاله عن القلم النبطي الآرامي القديم ، وهذا هو السبب في جعل العلماء الخط الاسطرنجيلي وحده أصلاً للخط الكوفي العربي الذي تولدت منه سائر الأقلام العربية إلى يومنا هذا .

أما عدد صور الحروف في الأبجديتين فانها اثنتان وعشرون صورة ، مع أن اللغة العربية تحتاج إلى أكثر من هذا العدد . وقد أظهر العرب حكمة بالغة وحذقاً عظيماً في تلافي النقص في عدد الحروف المستمدة من الآرامية . وذلك أنهم لم يخترعوا صوراً جديدة للحروف الزائدة عن حاجة السريانية الآراميه ، بل عمدوا إلى الحروف نفسها فاستولدوا ستة منها سبعة أحرف جديدة تفي بحاجة اللغة العربيـة بعد اضافتها إلى الحروف الاثنين والعشرين المعروفة الموجودة في السريانية الآرامية ، وتركوها على صورتها الأصلية ، إنما عالجوا الحرف الجديد بوضع النقط اللازم بحسب الاصطلاح الجديد . وهـذه الأحرف الستة التي ولّدوا منها الأحرف السبعة الجديدة هي د . ح . ط . ع . ص . ت .

فصدرت عنها بالتسلسل سبعة أحرف هي ذ ، ج ، خ ، ظ ، غ ، ض ، ث ، وإنك ترى أن كل حرف أصبح حرفين الأصلي بدون نقط ، والجديد وضعت له النقط اللازمة ، الا (الحاء) وحدها ، فقد استولدوا منها حرفين هما (الجيم والخاء) بواسطة نقطتيها المعروفتين .

ومما يجدر ذكره أن العرب سلكوا سلوكاً فيلولوجياً بارعاً في هذه الطريقة لتلافي عجز الحروف القديمة التي استمدوا منها أبجديتهم الجديدة ، وهذا ما عمله الآراميون عند عودتهم إلى كتابة العربية بحروفهم الآرامية ، وهو الأسلوب المسمى بـ (الكرشوني) الذي أشرنا إليه سابقاً ، الا أن هناك اختلافاً بين الجانبين في بعض الحروف ، فان الآراميين استعملوا (الجومل) بوضع نقطة تحتها لكي تصبح (غينا) ، وبوضع نقطة في داخلها لكي تصبح (جيا) في الكتابة الكرشونية ، أما العرب فلم يسلكوا هذه الطريقة بل أولدوا الغين من العين بوضع نقطة فوقها ، وأولدوا الجيم من الحاء بوضع نقطة تحتها ، وهكذا تمّ لهم ما أرادوا .

الا أن العرب لم يضعوا النقط لتمييز الحروف المزدوجة صورة الا بعد شعورهم بوقوع التباسات كثيرة في الكتابة ، وهذا هو السبب في لجوئهم إلى هذه الطريقة السهلة مع ابقاء الحرف على صورته الأصلية الممثلة في الصورة الفرعية أيضاً مع العلم أن كتباً عربية كثيرة كتبت بدون استعمال التنقيط حتى بعد اختراع هذه الطريقة ، وما خلا ذلك ، فمع تمادي الزمان وكثرة الاستعمال تقاربت صور أحرف أخرى بعضها من بعض فأصبحت كأنها حرف واحد لا يميز إلا بالنقط أيضاً كالزاي والراء (ز ، ر) والشين والسين (ش ، س) والقاف والفاء (ق ، ف) ، وتشابهت أيضاً صور النون والباء والياء والتاء في أول الكلمة وفي حشوها ، وهكذا تجد كثيراً من صور

الأحرف كل منها يعبر عن حرفين أو أكثر ، وصارت الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً ، ولكن يعبر عنها بخمس عشرة صورة فقط .

ان حرف الخاء يولده الآراميون عند كتابتهم العربية بالأحرف الآرامية من (الكوف) أي (ك) ؛ أما العرب ففضلوا أن يتولد من (الحاء) نفسها بوضع نقطة فوقها ، وما تجب الاشارة إليه أيضاً أن صورة (السين والشين) في الابجدية الآرامية النبطية هي واحدة فقط ، فسلك العرب هذه الطريقة وميزوا بينهما بوضع ثلاث نقط صغيرة فوق السين لكي تصبح (شيناً) .

هذه هي الوحدة الكاملة بين صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية .

٣ — الخواص العددية في الحروف الآرامية والعربية :

تتفق الأبجديتان الآرامية والعربية بكونهما تستعملان علامات للأعداد عوضاً عن الأرقام العددية . وهذه الطريقة قديمة جداً في الآرامية وربما يرتقي تاريخها إلى العصور السابقة للمسيحية ، مع العلم أن الأمم الآرامية القدمى قد اخترعت علامات خاصة للأعداد ، فقد ظهرت هذه العلامات في الرقم الكنعانية والآرامية القديمة في انقاض مدن سورية المندرسة كما ظهرت أيضاً في نصب تدمر وكتابات الآراميين في ضواحيها [1] ثم استمدت منها طريقة خاصة في عهد المسيحية الأول في الكتب لتأريخ السنين ، ولتصوير عدد آيات فصول الكتاب المقدس ، وعلى الأخص الانجيل ، ولترقيم اعداد كراريس الكتب ، واستمرت هذه الطريقة إلى العصور المتأخرة [2] .

أما الأرقام الهندية المعروفة اليوم في العالم العربي فلم تعرف إلى القرن السابع

(١) اللمعة الشهية ليوسف داود الجزء ١ ص ١٥٧ .
(٢) اللمعة الشهية ج ١ ص ١٥٨ .

الميلادي ، قد نبغ في هذا القرن العلامة الفيلسوف والفلكي الرياضي ساويرا سابوخت ، وعلى يده وصلت للمرة الأولى الأرقام الهندية إلى العرب ، ويظهر أن استعمالها لم يشع فبقيت عصوراً أخرى حتى أخرجت إلى الاستعمال ، ويعود الفضل في اعدادها لنا إلى الرياضي السرياني الكبير المشار إليه (١) .

أما طريقة الحروف في العلامات العددية فقد شاعت عند السريان الآراميين اكثر جداً ، فنجد جميع مخطوطاتهم مؤرخة بهذه الطريقة وعنهم أخذها العرب في العصور الأولى لظهور أبجديتهم فاستعملوها كما استعملها الآراميون قبلهم (٢) .

وهذه الحروف تنتظم في الأبجديتين للغاية العددية كما يأتي :

ا : ١   د : ٤   ز : ٧   ي : ١٠   م : ٤٠   ع : ٧٠   ق : ١٠٠

ب : ٢   ه : ٥   ح : ٨   ك : ٣٠   ن : ٥٠   ف : ٨٠   ر : ٢٠٠

ج : ٣   و : ٦   ط : ٩   ل : ٣٠   س : ٦٠   ص : ٩٠   ش : ٣٠٠

ت : ٤٠٠

وبقية الاعداد يعبر عنها بتركيب هذه الحروف نحو :

يا : ١١   يز : ١٧   سز : ٦٧

يب : ١٢   يح : ١٨   قمح : ١٤٨

يج : ١٣   يط : ١٩   شصا : ٣٩١ الخ

وإذا رغبت في تأليف عدد بعد الـ ٤٠٠ فاقرن حروف المئات كما يأتي :

تق : ٥٠٠   تت : ٨٠٠   تش : ٧٠٠

ثم تجعل حروف الآحاد نفسها للآلاف وحروف العشرات للمئات التابعة للأربعمئة . ويشترط أن تكون أولاً الآلاف ، ثم المئات ، ثم العشرات ثم

(١) المشرق البيروتية المجلد ١٤ ص ٢٣٩ سنة ١٩١١ .

(٢) استعمل هذه الطريقة العبرانيون أيضاً أخذاً عن الآراميين وكذلك اليونانيون - اللمعة الشهية ج ١. ص ١٥٧ و ٤٣٩ .

الآحاد ، خوفاً من الالتباس نحو (افمو : ١٨٧٦) ، (بعنا : ٢٧٥١) ، (جقمه : ٣١٤٥) . وقد اصطلحوا أن توضع نقطة فوق حروف العشرات للدلالة على المئات ، ومن تحت حروف الآحاد خطيط قائم للدلالة على الآلاف . ومن تحتها أيضاً خطيط للدلالة على الربوات نحو (عَ : ٧٠٠) ، (ننج : ٥٥٣) ، (اعمه : ١٧٤٥) الخ) .

نستنتج من استعمال الحروف الأبجدية علامات للعدد في اللغتين . ان العرب اعتبروا صراحة عدد الحروف الأبجدية ٢٢ فقط . اذ لم يخالفوا السريان الآراميين في هذه الطريقة مطلقاً وهو الذي يؤيد أن الأبجدية الآرامية هي أم الأبجدية العربية بحروفها الاثنين والعشرين الراهنة . وبالتالي اعتبر العرب أيضاً أن الحروف الابجدية الأصلية هي الاثنان والعشرين الآرامية فقط . وأما الحروف الزائدة في اللغة العربية فهي مشتقة من الحروف الأصلية كما بيّنا سابقاً .

ي – التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين الآرامية والعربية :

من الراهن أن اللغتين الآرامية والعربية باتصالها التاريخي الطويل ، الذي يمتد إلى قلب نشوئها ويرتقي إلى عهد ازدهارهما ونضجهما ، تبادلتا مادة غزيرة يصعب حصرها في بضع صفحات ، وذلك من حيث الألفاظ والأساليب وغيرها . وأمامنا الآن الناحية اللفظية من المادة المشتركة بين اللغتين ، وتطور الحروف من حالة إلى حالة من حيث النطق بها في اللفظة نفسها . ولا ندعي أننا سنحيط بجميع تلك الألفاظ المشتركة لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات كاملة بل نورد نماذج من ذلك التطور لنقف على حالة الحروف الأبجدية النطقية عند استعمالها في هذه المادة المشتركة بينهما مع العلم أن هناك ألفاظاً تكون الحروف هي عينها في كلتا اللغتين .

قبل أن نستعرض التطور اللفظي في الحروف المشار اليها يجب أن نعلم أن الحروف الأبجدية في اللغتين نوعان حروف علة وهي (الألف والواو والياء) ،

غير أن السريانية قد تضيف (الهاء) إلى أحرف العلة أحياناً لخضوعها في بعض الحالات اللغوية إلى ما تخضع له أحرف العلة في الاعلال والقلب والتغيير . وأما في العبرانية فان (الهاء) ملحقة بأحرف العلة دائماً تقريباً . وسميت أحرف العلة كذلك لأنها تدخل الكلمات إما أصلية أو زائدة فيطرأ عليها تغيير كبير من حذف ، وقلب ، وابدال ، أو يصيب حركتها أو حركات الحروف التي قبلها شيء من التغيير ، وتشترك اللغتان في هذه الناحية .

ومن المعروف أيضاً أن أحرف العلة كانت تقوم مقام الحركات في اللغتين قبل ظهور الحركات فيهما ، كما هي الحالة في كثير من اللغات الحية الآن ؛ ويظهر أنها لم تف بحاجة النطق الصحيح ، لذلك اضطر علماؤهما الى اختراع الحركات .

والنوع الثاني من الحروف هي الصحيحة ، وهي بقية الحروف الأبجدية ؛ وأما التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فنجده كما يلي :

٢ — الألف(ܐ : ا) الألف في السريانية وفي العربية ، اذ لم ترد حرف علة على غرار ما أشرنا اليه الساعة ، تكون حرفاً صحيحاً حلقياً ، ويسميه نحاة العربية (الهمزة) ، ومن المعلوم أنه ليس هنالك اسم خصوصي للهمزة في السريانية كما في العربية ، وليس لها إلا علامة خاصة كما هي الحالة في العربية ، ولذلك فان الهمزة السريانية لا تكتب الا بالألف أينما جاءت .

وتكون الهمزة في اللغتين إما زائدة وإما أصلية ، والأصلية تكون في فاء الفعل وعينه ولامه (ܐܟܠ) أكل (ܫܐܠ) سأل (ܩܪܐ) قرأ . وقد تكون في لام الفعل أحياناً مقلوبة في السريانية الى حرف علة فيقال (ܩܪܐ) قرأ (ܒܪܐ) برأ .

وأما التطور الذي أصاب حرف الألف في بعض الكلمات فقد يكون أحياناً في السريانية عوضاً عن العين في العربية فيقال في قرع (ܩܪܐ) عوضاً عن (ܩܪܥ) .

وترد الألف في السريانية عوضاً عن التاء المربوطة في الأسماء المؤنثة ويقلب الفتح الذي قبل هذه التاء الى زقاق [1] نحو (ܥܠܬܐ) علة (ܡܕܝܢܬܐ) مدينة (ܡܫܟܢܬܐ) محدة ، وقد نجد في العربية الدارجة أمثلة كثيرة لهذه الصيغة فيقال (مدينا ، نعما ، عظما) عوض (مدينة ، نعمة ، عظيمة) وهو ما يدل على تأثير السريانية الآرامية في العربية من هذه الناحية .

٢ — الباء (ܒ : ب) كل الكلمات المشتركة بين اللغتين تستعمل الباء فيهما باء دون تطور ، إلا في كلة واحدة فتطور الباء الآرامية الى ميم في العربية ، وهي كلة (ܐܝܟܐ) زمن ، والأظهر أن الميم في هذه اللفظة هي أصح من الباء فقد كانت لغة بابل القديمة تقول (ܐܡܬܝ لا ܐܝܟܐ) وفي اللهجات الآرامية المحكية في قرى الموصل هي الميم لا الباء فيقال (ܐܡܬܝ) لا (ܐܝܟܐ) .

٣ — الجومل (ܓ : ج) أو حرف الجيم وهذا يلفظ كالجيم المصرية وهو السبب في أن نحاة العرب اعتبروا الجيم من الأحرف القمرية لا الشمسية ، مع أنه يمكن التلفظ به كالأحرف الشمسية ، وقد أصاب هذا الحرف تطور كبير في بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فما يرد في السريانية (الجومل) ينقلب في العربية الى الضاد فيقال في لفظة (ܓܚܟ) ضحك . ويقلب في العبرية الى الصاد فيقال في (ܓܚܟ) צחק . שחק صحق ، سحق . بقلب الضاد أو الجومل الى الصاد أو السين .

٤ — الدال (ܕ : د) الدال في السريانية تمثل في العربية حرفين هما الدال والذال ، وكلما كانت هذه الدال ذالاً في العربية انقلبت زيناً في العبرية فتكون دالاً في كلمات خاصة نحو ܕܫ داس ܕܪܫ درس . ܕܢ دان ܕܪ دار ܕܘܪܐ دار ܕܚܩ دحق (طرد) الخ وتكون ذالاً

---

(١) الزقاق حركة الفم الحنيفة تشبه الهاء الفرنسية .

في كلمات أخرى نحو ܕܪܐ ذرّ ܕܠ ذلّ ܕܒܒ ذب ܕܘܒܐ ذنب ܕܘܢܒܐ ذهب ܕܗܒܐ ذئب ܕܐܒܐ واخ ·

٥ — الهاء (ܗ : ه) حرف الهاء تتساوى فيه السريانية والعربية ، إلا ان السريانية قد تستغني عنه أحياناً فيحذف لمرونته وينقلب الى ألف وذلك في آخر الأسماء المؤنثة المجزومة وفي جزم التنكير نحو ܡܕܝܢܬܐ مدينة ܥܠܬܐ علة كما أسلفنا ·

٦ — الواو (ܘ : و) تتساوى فيها العربية والسريانية · وفي بعض الكلمات العربية التي تبدأ بها تمثلها الباء في السريانية نحو وسادة ܒܣܕܝܐ ·

٧ — الزاي (ܙ : ز) تنقلب الزين السريانية الى الصاد في بعض الكلمات العربية المشتركة باللفظ نحو ܙܕܝܩܐ صديق ܙܥܘܪܐ صغير وقد تنقلب الى شين في العربية نحو ܐܙܩ شنق الا أن اللغتين تشتركان بمادة غزيرة تبدأ بهذا الحرف عينه ·

٨ — الحاء (ܚ : ح) ترد في اللغتين مادة غزيرة تبدأ بالحاء إلا أن في العربية ألفاظاً تنقلب فيها الحاء السريانية الى خاء نحو ܚܠܐ خل ، ܚܡܪܐ خمر ܚܫܝܢܐ سخين ܚܒ خاب ܚܘܛܐ خيط ܚܝܛܐ خياط ܚܪܒ خرب ܚܪܘܒܐ خروب (خرنوب) ܚܪܙ خرز الخ ·

٩ — الطاء (ܛ : ط) الطاء في السريانية تكون تارةً طاء في العربية ، وأحياناً تنقلب الى الظاء نحو ܛܠܠܐ ظل ܛܦܪܐ ظفر ܛܥܢ ظعن ܛܒܝܐ ظبي ܛܗܪܐ ظهر ܛܠܡ ظلم ·

وقد تنقلب الطاء في السريانية الى تاء في العربية ܛܥܘܣܐ تاعس وبعكس ذلك تنقلب التاء العربية الى الطاء في السريانية نحو قتل ܩܛܠ · وتنقلب التاء العربية أيضاً الى الطاء في السريانية نحو ܩܛܘܬܐ قثاء ·

١٠ — الياء (ܝ : ي) ان الياء في السريانية تنقلب الى الواو في العربية وذلك في المثال العربي نحو ܝܠܕ ولد ܝܗܒ وهب ܝܕܕ ودد ܝܩܪ وقر ܝܬܪ وتر الخ .

١١ — الكاف (ܟ : ك) الكاف السريانيـة لا تأتي الا مقاربة للكاف العربية .

١٢ — اللام (ܠ : ل) قد تنقلب اللام السريانية الى النون في العربية نحو ܨܠܡܐ صنم .

١٣ — النون (ܢ : ن) النون في السريانية قد تنقلب الى ميم في العربية وذلك في الضمائر وأمثالها ، وهي كثيرة لا يسعنا ايرادها الآن .

١٤ — السين (ܣ : س) السين أو السمكث السريانية قد تنقلب الى شين في العربية وبالعكس وهذا متأت من عدم التمييز بين الحرفين في الأبجدية الآرامية القديمة ، فقد كانت علامة واحدة لتمثيل الحرفين ، بل بالحري ان الحرفين كانا حرفاً واحداً كما سبق في بحث الأبجدية النبطية .

١٥ — العين (ܥ : ع) العين السريانية قد تمثل ثلاثة أحرف عربية وهي العين والغين والضاد فمن الأول ܫܥܬܐ ساعة ܥܝܢܐ عين ܥܡܠܐ عمل ܪܥܐ رعى . ومن الثاني ܥܪܒ غرب ܥܘܪܒܐ غراب ܥܠܒ غلب ܥܢܢܐ غيم ܡܥܪܬܐ مغارة ܒܥܐ بغى ومن الثالث ܐܪܥܐ أرض ܒܥܬܐ بيضة ܥܢܐ ضان ܥܪܬܐ ضرة ܡܚܐ ضرب ܪܥܘܢܐ رضوان .

١٦ — الصاد (ܨ : ص) قد تنقلب الصاد السريانية الى الضاد العربية نحـو ܥܨ عض ܥܪܨ عرض ܥܡܨ غمض ܚܡܨ حمض ܢܩܨ نقض .

١٧ — الراء (ܪ : ر) قد تقابل الراء السريانية نون في العربية ومن ذلك ܬܪܝܢ اثنين ܒܪܐ ابن ܒܪܬܐ بنت إلا أن الراء السريانية تنقلب الى نون أيضاً فيها عند الجمع فيقول في ܒܪܐ ابن ܒܢܝܐ بنون ܒܪܬܐ بنت ܒܢܬܐ بنات ·

١٨ — الشين (ܫ : ش) قلما تقابل الشين السريانية بشين عربية بل تقابلها غالباً السين كما سبق الكلام في السين السريانية نفسها ·

١٩ — التاء (ܬ : ت) تمثل التاء السريانية حرفين في العربية هما التاء والثاء وهكذا تكون بعض الكلمات المتحركة في اللغتين تارةً تاء عربية نحو ܬܢܘܪܐ تنور ܬܢܝܢܐ تنين ܬܝܫܐ تيس وطوراً ثاء نحو ܬܕܝܐ ثدي ܬܘܪܐ ثور ܬܩܠ ثقل ܬܠܬ ثلاث ·

هذا ما يمكن قوله في تطور الحروف ولفظها في المادة المشتركة بين اللغتين العربية والسريانية الآرامية · ولو عاد المتبصر الى معاجم اللغتين لوجد بحراً خضماً من المادة المشتركة فيها واهتدى إلى أمثلة كثيرة على غرار ما ألمنا اليه في بحثنا هذا ·

(الموصل) — غريغوريوس بولس بهنام

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

أعارني الحكيم (الطبيب) السيد مظفر حسين بكراجي في ٩ شعبان سنة ١٣٧٨ هـ نسخته من ديوان ابن عنين . وكان طال مُقامُه بحيدرآباد الدكن . ومن غرامه وهواه في الأسفار والآثار اجتمع لديه منها مبلغ لا ينكر قدرُه . فباع منها جملة لخزانة ميربور وفيها نسخة جليلة من ديوان ابن الساعاتي . وقد بقيت عنده بقايا أكثر من نصفها فيها كل عِلْق مفنَّة يشدّ إليه الرحال . والظاهر أنه يبيعها لخزانة دار التُحَف بكراجي .

ولما سرّحت فيها نظري وعارضتها بطبعة الصديق الأستاذ الفاضل خليل مردم بك من ثمان نسخ وجدتُ فيها نحو ٣٤ ما بين مقاطيع وقصائد فاتت النسخ ، وبعض أخبار وروايات لا يخلو تقييدها من فائدة زائدة ، فصحّت عزيمتي على تعليقها ولَمّ شعثها وضبط شواردها وعرض فرائدها .

وهي بقطع وسط أميل الى الثمن في ١٠٨ أوراق . والمسطرة تتراوح بين ١٨ الى ١٥ سطراً في الغالب وربما تقلّ وتنزل . بعدّة خطوط لا تقل عن خمسة . مما يدلّ على أن بعض الزوّار أو الحجاج يكون زار الشام ، فأوفزته الرحلةُ عن استنساخ الديوان على وجهه ، فوزّعه على نحو مئة من كاتبين ، وما كانوا كراماً بَرَرَة ، فخبطوا وحرّفوا . وكلها بالنسخ . وهي عربية المَنْصِب ليست من نتاج الهند أو السند وإنما تهنّدتْ منذ قديم . وهذا يدلّ على أن

الهند استأنستْ بزائرها فحافظت على وُدّه كما حفظت نسخة من شعره وإن كان لم ينصفها بعد مغادرته لها إذ قال :

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى بلدَ الهنود سوى الصواعق والدِما

وقد تعاورت النسخةَ أيدي عدّة من الأصحاب يدلُّ على ذلك خطوطهم التي لم أستطع قراءة بعضها لمحو أصابها ٠ وعليها ختم (اورنگ زيب عالم گير) أو بعض أمراء عهده ، وثبت عليه خط إلهي همداني وتمام اسمه مير عماد الدين محمود وهو من الـه آباد من نواحي همذان وهو عصريّ الشفائي المقدسي وصاحب التقي الأوحدي من شعراء الفرس الذين زاروا الهند ومات سنة ١٠٦٤ هـ

وقد لقيت عَرَق القِرْبة وجهداً جاهداً في إصلاحها وردّها الى أصلها ٠ فقد وُفّقتُ في بعض الأماكن كما قد أخفقتُ في بعضها الآخر ٠ وبعض هذه الخطوط مشكول شكلاً أكثره مغلوط وما كان يضرّه لو فقد الشكل والإعجام بالمرّة ٠ هذا إلى ما أحدثته الأرضة من ثقوب وخروق حالت دون قراءتها كما هي ، وإلى أن بعض الأوراق قُلبت فوُضعت في غير أماكنها من الأبواب التي هي منها ٠ والنسخة كاملة على علاّتها ، غير أن المقطوعة التي رقمتُ رقم ٢٥ بطُرّتها قد خلت من عنوان ، وهي في أوّل الورقة ، وهذا مما يوهم بوقوع خَرْم وسقوط ورقة أو أكثر دون جزم وبتّ ٠

ونسختنا على ترتيب الأبواب الخمسة التي سردها الأستاذ الناشر في ص ٢٤٨ من طبعته سواء ٠

وقصيدتاه الأوليان في الديوان في مدح صلاح الدين (مخرَقُ وأرسخُ) اللتان طُرّز بهما بابُ المديح قد خلت عنهما النسخ الثلاث ، وكلّل بهما ابن نبهان وجهَ الديوان من صنعه ٠ ولكن سائر المقطوعات ملحقة بآخر الأبواب الزائدة ٠

هذا وقد أكملتُ العراضَ فأثبتُّ بعض أخبار زادته نسختنا أو خالفت فيها بعضَ ما عند أخواتها ، هذا إلى أنها تُخِلُّ ببعض ما أتينَ به وأثبتَه .

وأما طريقي التي سلكتها فاني اعتبرت بترتيب نسختنا الأوّل فالأوّل . وقد سهّل عليَّ فهرسُ القوافي الملحقة بآخر الطبعة البحثَ عما فيها ، إذ لم يكن لي عن ذلك مندوحةٌ . نظراً الى أن مخطوطتنا تخلو عن فهرس يمكِن من فحص باقي المطبوعة عما فيها . وهذا ظاهر . فعذري واضح فيا سلكته .

وها أناذا أنقل مقدمة النسخة بعد الحمد والصلاة :

(قال العبد الفقير الى رحمة الله تعالى أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن عُنين تجاوز الله عن زلته ، وألحقه بمن تغمده بجزيل رحمته وأصله من زرع قرية ببلد حَوْران وهو من بني غالب ووُلد بدمشق المحروسة يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ٥٤٩ وتوفي يوم الاثنين أيضاً العشرين من ربيع الأول سنة ٦٣٠ بدمشق المحروسة . مما عُني بجمعه ...... محمد بن المسيَّب بن نبهان التغلبي [1] الدمشقي ...... إحياءً لذكره ولما لمحه من بديع شعره الخ) . وظاهر أن تاريخ وفاته ألحقه ابن نبهان بعده . وهو الذي أراده ابن خلكان بقوله (وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عُشر ما له من النظم) . وكان مُغرَماً به وبشعره يتردّد إليه ويحضر مجالسه ويسأله عما أشكل عليه منه أو اعتاص ويستوضحه عنه ، ولما رآه ابن عنين حريصاً على ذلك أملى عليه بعض ما تبقى عنده من شعره في هذا الديوان الصغير .

كراتشي عبد العزيز الميمني

(١) كذا جاء بالتين المعجمة ثلاث مرات او اكثر . ولست أرى إهمالها إلا تصحيفاً .

قال يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب (١) رحمه الله وذلك في سنة خمس وسبعين وخمس مائة ، وأنشده إياها بالساحل :

ما للأماني عنك منحرَفُ ولا لها عن ذَراك منصرَفُ
أنصفتَ أهلَ الزمان كلَّهم منه ولولا نداك ما انتصفوا
إني بإنعامك الذي امتلأتْ به مُناي الغداةَ معترفُ
لذاك شكري الذي غَرِيتُ(١) به دَأْبي فماضٍ منه ومؤتنَفُ
ضاقت [عن] المدح والثناء على بعض الذي قد أتيتَه الصُحُفُ
يا طالبي العارفات دونكمو ندى مليك الزمان فاعترفوا
فما الخضمّ الطامي غواربُه ولولا الغيوثُ الهواطل النُطُفُ
عليكمو منه بابنِ مكرمة تَنْدَح أموالُه وتَغْتَرَفُ
ما دونها ذائدٌ ولا حرَس إلى حَراها الآمالُ تختلفُ
حراها : نواحيها
ما بين هذا الأنام كلّهم في أنه أكرمُ(٢) الورى خُلف
يوسفُ مصرَ الّذي ممالكُه جنّةُ عدْن فيها لنا غُرَفُ
مشحونةٌ بالنعيم صافيةٌ ظلالُها بالخلود متّصِفُ(٣)
أبقى على الدهر من حوادثه محوطةً لا ينالها الوَكَف
الوَكَف : العيب .
لها من الناصر المليك صلاحِ الـ ـدّين حامٍ سيوفُهُ رُعُفُ

وقال أيضاً يمدحه رحمه الله ويذكر فتوح مصر وخطبة بني العبّاس أدام الله (٢) أيامهم بها :

(١) الأصل غريت به .
(٢) بعضه مأكول الأرضة .
(٣) كذا ولعل الأصل تتصف .

حلومك أرمى من شَمَام (١) وأرسخُ وجدك أعلى من [جبا (٢)] ل واشمخ
وذكرك ما بين الأنام كأنه وقد ضاع بالمسك السحيق مضمَّخ
بقيتَ صلاحَ الدين فينا مخلَّدا فإنك مهما دُمتَ فالردع مُفرِخ
إذا ذُكرت أنباء فضلك في الورى لدى معشر أثنوا عليك وبخبخوا
حمى الملك من أبناء أيوب ماجد همامٌ شديد البأسِ أصيدُ أبلخ
فضائله تُربي على الرمل كثرةً على أنها تُروى وتُتلى وتُنسَخ
عقودُ صلاح الدين فينا أكيدةٌ أبت أنها ما دامت الارضُ تُفسَخ
مهابته درع عليه حصينة وبين حماه والحوادث برزخ
إذا الحرب حشَّتها الكماة كأنها طُهاةٌ قديرٍ في الشتاء وطُبَّخ
غدا مُطفئنا نيرانها بعزائم تفلّق هاماتِ الملوك وتَشدَخ
لمجد صلاح الدين يوسفَ همّةٌ تطول دراريَّ النجوم وترضخ
أقام بمصرٍ دعوة الحقّ فانثنت تدوّن في أيامه وتؤرّخ
وكم أروس للأدعياء عداته ترضّ بمرداة الهوان وتُرضَخ
يجود بما تحوي يداه تبرّعا ويُجزل ما يُعطيه طورا ويرضخ (٣)
كما سحّت الأنواء طلاً ووابلا وجادت بما يُروى البلادَ وينضخ (٤)
يلام على بذل المواهب والندى ويُلحَى على إحسانه ويُوبَّخ
فيعرض إعراض الكريم بسمته (٥) ويثبت كالطَّود الأشمّ ويرسخ
فيا حسنها من سيرة عُمرية ورملَةِ عدل بينها ليس يُنسخ
رعاها الإمامُ المستضيء وولده وقام لها يزهى كريما ويشمخ

(١) كقطام جبل لباهلة .
(٢) ما كول .
(٣) يعطي عطاء دون الجزل . ويرضخ في البيت المتقدم يشدخ ويكسر .
(٤) يُروى ومنه عينان نضاختان .
(٥) الأصل بسمه .

قال محمد بن نبهان التغلبي الدمشقي رحمه الله جامع الكتاب فأعطاه الملك الناصر صلاح الدين ألف دينار وأرسل له من بغداد ألفُ دينار .

ص ٣ س ٣ : وقال يمدح السلطان الملك العادل سيف الدين ابا بكر بن أيّوب رحمه الله وأنشده إيّاها بمدينة دمشق سنة ٥٨٥ هـ القصيدة والبيت العشرون وصرّنحين على الرحال كأنّما البيت

ص ٩ س ١ زاد : وأنشده إيّاها بمدينة دمشق بالقلعة في شهور سنة ٦٢٦ هـ

ص ١٤ س ١٢ زاد : من قصيدة طويلة لم يوجد منها غير هذه الأبيات الثلاثة .

ص ١٨ س ٥ : لا يُشيِّبُها .

ص ٢٣ س ١ : يتقدّم البيت :

ألا أيّها المَلك المعظّم والذي مواهبه ترجّى ويُخشى عقابه

س ٣ : من نشادور ببلاد العجم إلى دمشق . وهي نيسابور .

س ٩ يتلوه :

ذو مُقلة دعجاء أدمى لحظُها قلبي وأنفذ سهمُها أدراعي

ص ٢٣ بعد س ١ : قال جامع الكتاب محمد بن نبهان التغلبي الدمشقي رحمه الله سألتُ الشيخ شرف الدين رحمه الله يوما بحضرة الشيخ نجيب (١) الدين أبي الفتح نصر الله بن الصفّار المعروف بابن الشقيشقة عن معنى هذا البيت وقد استغربتُه لأن عادة الخمر أن تبدّل الوقار بالطيش فقلت له أهذا المعنى لك مبتكَر ام سمعتَه ؟ فقال لا أعلم أنه لآخر غيري فابتدر الشيخ الامام نجيب الدين وقال بل هو لغيره وأنشد في المعنى لابن وكيع :

(١) المتوفى سنة ٦٥٧ هـ كان مُزَنّ برقّة الدين مراعي أرباب الجاهات كثيراً ترجمته في ذيل الروضتين ٢٠١ وغيره .

كيف [لي] أن أراك منجمَ المنـــــطق سكران لستَ توضح حرفا
وأنادي من المسرّة ماتَ الـــــشكر فادعوا الى بالكأس صِرفا
إنّ للراح مِنّةً لستُ أدرى شكرَها كلما أطلتُ الوصفا
ليّنت خُلقَ فَسْوَر وأعارتـــه سماحًا وطّمته العُطفا
كلما رمتُ قبلةً قالت النشـــوة مات القلا تخذ لك ألفا

فتعجّب الحاضرون من حسن استحضاره وعظم اقتداره .

ص ٢٣ س ٢ :

في روضة بالنَيْرَبَيْنِ أريضةٍ مَوْشيّةٍ ببدائع الإبداع
مخلصةٍ (كذا) وشائعَ بُرْدها كفُّ الخضيب وأيّ كفّ صَناع

ص ٢٦ س ٣ : جاورتُ (بالراء المهملة) ، هذا عمران بن حطّان لما خرج على عبد الملك بن مروان وطلبه فهرب منه فلم يجد له ملجأ في الأرض إلا رَوْح بن زِنباع فقصده فلما وصل اليه وهو مطمئنّ القلب به لم يُجِرْه وطَرَدَه اه اليمنيّ والخبر سرده أبو العباس على طوله ببعض اختلاف في الكامل ٥٣٠ — ٥٣٤ .

س ٥ : أرقّح كي أسدّدَ .

س ٨ زاد : ونسَجها على منوال الأفوه والأَوْدى في قصيدته الحرّضة اه ولعلها داليته في الديوان صنع العاجز برقم (ز) ص ٩ .

ص ٢٨ س ٣ ، دالجة : والدالج الذي يمشي بالدلو من البئر الى الحوض . والسَفْر القوم المسافرون .

ص ٢٩ س ٦ : أهوَّم أو في بطن دَوِّيـة أسري

٧ : عن سنا البدر . هذا البيت بقرطس في غرض البلاغة بإصابته وتأنس به الأسماع على غرابته وتعنو لديه الأوصاف والمدائح وتخجل عند سماعه لقصورها طلابات (كذا) القرائح .

ص ٢٩ س ٢ : ولو حاول المرّيخ البيت يتلوه بيتان وطيهما الختام ـ وسائر الأبيات التي تتلوه هنا تتقدّمه عندنا ـ وهما :

من القوم لو جاراهم البحر في النّدَى لأصبح قاعًا صفصفًا مُزْبِدُ البحر
إذا استلأموا يوم⁽¹⁾ النزال حسبتَهم أسودَ العرين الغُلْبَ تَسْبَحُ في غدْر

لقد أصاب شاكلة التشبيه وأصبح فرداً في معناه بلا شبيه اهـ .

س ٩ : عندنا سنة ثمان عشرة .

ص ٣١ س ٨ : سَنَاها وللأدنى . وأراه الصواب .

١٠ : وأفرجت . ولا أرى عليه غبارا .

ص ٣٢ س ٥ : ومعها ارتجاسُ .

ص ٣٢ س ٨ : أرضًا تُداسُ .

س ١٠ : يبيت الذئب طاوٍ ، يَزِير وجارُ رَيْربه الكِناسُ .

ص ٧١ س ٤ : بأصلنا الَحْوَول من أسماء الدواهي اهـ فهو بالفتح .

ص ٣٤ س ٤ زاد : وأنشده إياها بمدينة عدن في سنة ٥٨٩ هـ .

س ٧ : وإن بعيدا لا يُرَجّى اقترابُه .

ص ٣٥ س ٨ : لا يناَصبُ .

ص ٣٦ س ٢ : على الرمل في إثر المطيّ .

ص ٣٧ س ٦ : من خلوة الفحل .

ص ٧٢ س ٥ : سنة ٥٨٩ هـ .

س ٨ : حنينَ العطاش .

ص ٧٣ س ٨ : قوله منها يوهم أن هنا شيئاً من القصيدة لم يورد ههنا . ولكنها تظهر تامة في نسختنا .

(١) البيت محرّف في أصلنا .

ص ٧٤ س ١ : سهلَه ، ولا يظن سهل .

س ٣ : الباب الثباني .

ص ٣٩ س ٨ : قوله ومنها كأنه حذف البيت الآتي من أجل خلل أو تصحيف وهو :

وكأنه في الحرب خِرصان به ذي العز(؟) الملك العزيز قد احتبى

ص ٤٠ س ٣ : وقال يمدحه وأنشده اياها بمدينة عدن في سنة ٥٩١ هـ بظاهر البلد .

ص ٤٢ س ١ : النَفَل بلا تحريف .

س ٥ : لأفصح معجم غزل .

ص ١٠٢ س ١ : عندنا : ولما ملك الملك الناصر صلاح الدين بعض البلاد الساحلية أرسل الى أخيه السلطان الملك العزيز ظهير الدين صاحب اليمن يعرض عليه النزول عن اليمن والحاقَ به ليستلم الساحلَ الفرنجيَّ ويحضر الغزاة . فشاور الشيخ شرف الدين بن عنين وكان حاضراً عنده في ذلك . وكان شرف الدين قد سُرق له بمكة قماش اتهم به بعضَ الأشراف الذين بها ممن كان حوله . فأنشد سيفَ الإسلام هذه الأبيات يحرّضه على قتال أهل مكة ويَثني عزمتَه عن الساحل وأولها :

ثمّ بعد تمامها : قال جامع الكتاب سألتُ الشيخَ العلاّمة نجيب الدين بن الشُقَيْشِقة عن هذه القصيدة فقال لم يوجد منها غير هذه الأبيات ولعملها سبب . فسألته عن السبب فقال حدّثني الشيخ شرف الدين أبو المحاسن محمد بن عنين بداره في ليلة من ليالي الشتاء في ثالث ربيع الأوّل من سنة ٦١٣ أنه لمّا كان باليمن وعمل هذه القصيدة غلظ قلب الملك العزيز على أهل مكة ووصل الى أشرافها شيء من مكروهه . قال فمرضت مرضاً شديداً بلغت فيه الموت

أو كنت فرأيت في إحد[ى] ليالي مرضي كأن مولاتي الستّ فاطمة صلى الله عليها وسلم وهي واقفة بازائي تشير باصبعها الكريمة إليّ وتقول :

حاشا بني فاطمة كلّهم ... من خسّة تعرض أو من خنا
وإنما الأيام في صرفها ... وفعلها السوء أساءت بنا
لأنْ أسا من ولدي واحد ... تلحقَ هذا الشتمَ عمداً بنا
فتُبْ الى الله فمن يقترفْ ... ذنباً بنا يأمن مما جنى
وأكرمْ[1] لأجل المصطفى أحمد ... وآله من أهله أعيُنا
فكلّما نالك منهم أذى[2] ... تلقَ به في الحشر منا[3] هنا

قال فاستيقظت شديدَ الرعب وقد شممتُ رائحة العافية فوثبت الى القصيد فمزّقتُها وعملتُ :

عذراً ! الى بيت نبيّ الهدى ... تقبّله من عبد سوء جنى
وتوبةً تقبلها من أخي ... جرم بعيدِ الخير مرِّ الجنى
والله لو قطّعني واحدٌ ... منكم بسيف البغي أو بالقنا
لم أكُ في ظنّي مسيئاً به ... بل أرَه في الفعل بي محسنا

وكان لا يؤثر أن يحفظ أحد من هذه الأبيات شيئاً حتى إن الملك الأشرف كان[4] اذا أراد أن يغيظه ذكر بيتاً منها .

ص ٥٥ س ٧ : فقُربني أنه حَذِرا .

س ١٠ : اذا استسقيتُ وابلَه ، على الظماء (كذا) سقاني .

---

(١) بالتسهيل ضرورة .
(٢) الأصل هزا .
(٣) الأصل هنا .
(٤) الأصل وكان اذا أراد منيضة .

ص ٥٧ س ١٠ : فظلّت تباري الشمسَ .

س ١١ : أزال على الصواب .

ص ٥٨ س ٤ : به مَثَل . وهو الأليط .

س ٥ : ما أحلى قوله الا أن ظفرت بِرا . يريد لم أحصل على سوى القافية فانها كقافيته « إنما الشعر لم ألحق فيه من شأوه شيئا اه : الميني : فاتضح أنه بِرا أي بحرف الراء وهو رويّ القافية لا غير .

س ٨ : يتلو البيت الأخير : وهذا آخر مدائحه للملوك اه ثم يتلوه مديح الوزير ابن شكر وهو في ص ٤٥ .

ص ٤٥ س ١ أصلنا : وقال يمدح الوزير صفيّ الدين أبا الحسن علي ابن عبد الله (وفي الفوات ١ / ٢٨٠ ومرآة الزمان عبد الله بن علي) بن شُكر وزير الملك العادل سيف الدين أبي [بكر] بن أيوب وأنشده إياها بدمشق سنة ٥٩٣ ويذكر فيها حصار الأفضل والملك الظاهر العادل (؟ للعادل) ورجوعهما عنه بحسن تدبير الوزير الممدوح .

ص ٤٩ س ١٣ : ولو مات وجدا .

ص ٥٠ س ١٠ : ألقى .

س ١٢ : فلو عالجتُ حدّا (؟ جُدّا) .

ص ٥١ س ١٣ : يأتي بالأمس ينذهب ردّا .

ص ٥٢ س ٣ : وهو فاعلٌ .

ص ٥٣ س ١ : ألى جنابك ردّا .

س ٢ : والثناء أكرمُ مُهدَى .

ص ٩٤ س ١٢ بأصلنا زيادة : وذلك بمدينة مَرْو في مدرسته التي يُلقي بها الدروس .

ص ٩٥ س ٧ : يمشي بقلب .

ص ٥٣ س ٦ : أصلنا فكتب اليه من نيسابور وسيَّرها اليه الى نشادور (١) وذلك في سنة ٦٠٣ .

ص ٥٤ س ٨ : رياح الطيش .

ص ٩٨ س ٩ : محلَّة الجناح .

ص ٩٩ س ٣ : وحُلَّة المَزّاح .

ص ٧٤ س ٧ : من نشادور .

ص ٧٦ س ٢ : جواسق كالدراري .

س ١٠ : لغياسي وعزمه .

ص ٧٧ س ٢ : بين الذئاب .

س ٥ زاد : وسيَّرها اليه أيضاً من بلاد (٢) العجم إلى دمشق .

س ٧٨ س ٦ : يتلوه بيتان وعليها الختام :

عسى عطفة بدريّة تعكس النوى فألقى قريرَ العين بالأهل والوطنْ

فقد ملّت النفسُ البعادَ وبرّحتْ بها سَعَةُ الشكوى وضاق بها العَطَنْ

ص ٧٩ س ١ : عندنا : وقال يمدح النجيب بن يُمن العُرْضيّ وكان اجتمعا كلاهما وعاد النجيب الى الشام فكتب بها اليه :

ص ١٠٤ س ١٣ : باتَ عنه غنيّ .

ص ١٠٥ س ١ : سجيّةُ ألفت .

ص ٥٩ س ٨ : في صفيح الحدا .

ص ٦٠ س ٩ : غُمر .

(١) كذا وهي نيسابور نفسها عاميّة .

(٢) وفي الأبيات من عدن .

ص ٦١ س ٤ : فيها وأصبحتِ الموالي .

١١ : يريد بالأخشاب المجانيق اه .

ص ٦٢ س ٥ : بعده بيت وعليه الختام :

فالمُلك عينٌ خاطبته كأنَّ(١) بها رَمَداً فكان لما عراها إثمِدا

س ١٣ : وجَنُوا المعالي . هذا غلط صرفي من ابن عُنين .

ص ٦٣ س ٥ : الخَميس . والضم من خطأ الطباعة .

ص ٦٤ س ٤ : با لإرعاد .

س ٨ : زاد : وكانت بينهما صداقة ومودّة أكيدة وكان دُفن بدمشق ثم نقلوه الى قلعة جعْبَر .

س ١٢ : عن طريق رَشادها .

ص ٦٥ س ٤ : رُزِىءُ الكرام الخ كما في صلب المطبوع .

ص ٦٧ س ٧ : بعده وعليه الختام :

لا غَبَّ قبرَك مُرجَحِنٌّ زاخرٌ زَجِلُ النواحي مُسْبِلٌ هَدّار

ص ١٤٠ س ١١ : يَنْهَدُّ لو حَمَّلْتَهُ بعضَها ـ الجبَلُ . أي ينهدُّ الجَبَل (ضدّ السهل) لو حمَّلْتَهُ (بالشدّ) الداهيةُ بعضَها . وهذا ظاهر .

ص ١٤١ س ٣ : منتعل في شعر الأعشى رقم ٦ وتمام البيت :

هِرْكَوْلة فُنُن دُرم مرافقها كأنَّ أخمصَها بالشوك منتعِلُ

والتضمينان غير موجودين في نسختنا .

س ٥ : متنفِخ وكذا نسختنا والصواب : متنفِج بالجيم لا غير .

س ٦ : في بيضة القَيْظ وأراه الأقمد وفي زائية الشمّاخ :

طوى ظِمْأَها في بيضة القيظ بعدما جرَى في عِنان الشِعرَيَيْن الأماعزُ

---

(١) أو بأنّ .

ص ١٤٣ بعد س ١ : يريد بنظام الدين ابن القلانسيّ . فالحظْ أيها المتأمل ما ألطف هذا الاستطراد وما أحلى موقعه من الفؤاد حتى لو سمعه الذي قيل فيه لشغله استفادة هذا المَخرَج عن أن يَرفُل في ثياب المحرج اهـ الميمني لا أعرف المحرج الاّ الحِرْج وهي ثياب تُبْسَط على حبل لتجِفّ . فلعل المحرج عامية .

ص ٩١ س ٣ : فيما وقع له من الوقائع والماجَرَيات والمكاتبات والمحاوبات والطَلَبات والشفاعات والأغراض والمجُون والهدايا والاستهداآت والطُرَف والتُحَف واللطف والحنين والأشواق الى بلده وغير ذلك مما يجري مجراه اهـ .

ص ٩٢ س ١٠ : يتلو (مسلّما) : (٣)

رأى صبيًّا مليحًا تركيًّا قد رأى غرابًا على شجرة فرماه بسهم .

من اُلخزر العيون رأى غرابًا فأوتَرَ قوسَه ورمى بسهم

فخلتُ البدر أرسل عن هلال الى الليل البهيم شهابَ رَجْم

ص ١٠١ س ٨ : عندنا وكتب الى الملك العزيز سيف الإسلام باليمن يطلب منه خبراً على طريق اللغز .

ص ٤٤ س ٥ : ماقطَبا لي .... أدْ[رِ]يْ عَداكَ الدَمْ

ص ٧٣ س ٣ : عندنا أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي في الأسطر ٣ و ٤ و ٦ و ٧

ص ٨٠ س ٩ : يلوح وآذيُ الدُجُنّة .

ص ٨١ س ١١ : من أن تُنالَ وتُلْثَما .

ص ٨٣ س ٤ : على وكز بالزاي المعجمة لا بالمهملة .

س ١٤ : واحلا ــ وَأحداثه بي .

ص ٨٦ س ١١ : بعد (عن ذكر الشتا) زيادة :

أصبحتُ بعد فراقكم متجمِّع ال بلوى فصبر[1] (كذا) في الخطوب مشتَّتا

ص ٨٧ س ٥ : بين النعائم والغفْر . وبالنَّسر يحصل الايطاء .

س ٨ يتلوه : يريد بذلك أنْ نَوْءَ سعد السعود صَحِبَهُ باقي الأنواء المُمْطِرة إذا لازمها بكثر الغيث ويصير مكان الضبِّ وهو البراري المقفِرة كمكان الحوت وهو البحر وربما زاد ماء البحار والأنهار وطفا السمك الى أن يتلاقى به والضبّ في وكره وهذا بليغ حسن .

ص ١١١ س ١ : عَبَثَ السَّقامُ .

ص ١١٦ س ٤ : بداه كما قيل فإمّا .

ص ١٤٣ س ٨ : قيد ضيّق .

ص ١٢٢ س ٥ : شعرك الأنجم .

ص ١١١ س ٨ : عند ذاك .

س ١٠ : والبيتان اللذان أنشدهما ابن المجاور :

بالكؤوس الملاء حثًّا إليًّا لا تجريا (كذا) بالمُدام لأ عليًّا

من يَديْ فاتر اللواحظ كالبد ر اذا حفَّه نجوم الثريَّا

ص ١٢٠ س ٢ : لقد حصَّت قوادمها .

ص ١٢٢ س ٩ : عندنا في الترجمة : وكان لما كتب هذين البيتين (جناحي ص ١٢٠) مريضاً طلب أن يزوره وكتب اليه مع هدية اه .

ص ١١٢ س ٢ : لوْمك عذرا .

ص ١٣١ بعد س ٨ : فلما وقف عليها السلطان أمره أن يستدعي ما يحتاج ضيوفه اليه في كل يوم من سائر الحوائج .

ص ١٣٣ س ٣ : لو كان ما يُهدَى على مقداركم ، لم يرتض الشمس .

(١) لعله بصبر في الخطوب تشتتا ، على الإيطاء .

ص ٩٠ س ٦ : في أعالي البان .

ص ٨٩ س ٤ : وصَرَجْتُها :

س ٥ : ضاع يضوع فاح .

ص ٩٠ س ٣ : وقد : أو غلتُ .

ص ١١٢ س ١١ : فكم أشهب .

ص ١٠٠ س ٧ : بإجراري ، والإجرار شقّ لسان الفصيل والقلم أيضاً يشقّ لسانه . ثم يتلو الأبياتَ وقال مخاطباً للسلطان الملك المعظّم وقد جرى يوماً حديث قسمة الغنائم شرعاً وكيف تزحزحت الرسوم الشرعية :

(٤) يا أيها المالك المولى الكريم ومن يستحق المُلك والدنيا اذا نَهَبُ

إذا لقيتَ الأعادي يوم معركة فإنّ جمعهم المغرور منتَهَبُ

لك النفوس وللطير اللحوم وللـــوحش العظامُ وللخيّالة السَّلَبُ

فضحك الملك المعظّم وقال هذه قسمة على بيت المال فيها حيف .

وكان عند الملك الناصر الخ ما في ص ١٣١ س ٤ ويتلو بيتيها :

فقال الملك المعظم الناصر سمعاً وطاعة ، ثم أمر بنتف لحيته فاستغاث الشاعر وأقسم أنه ليس من القصيدة . ومرّ ذلك اليوم في نوادر الشاعرين .

(٥) وكان مع الملك المعظم في بُحيرة طَبرية فركبا في الزيزب[1] فقال بديهاً :

واني لأعجب من زيزب به بحر (؟) كيف لا يغرَق

فمن تحتـه بحر (؟) واحد ومن فوقه أبحُـر تدفق

وأعجب من ذا وذا أنه يلامـه وهـو لا يرزق (كذا)

(يتبع)

---

(١) هذه الأبيات معروفة للنلوقي الشاعر في طاهر بن الحسين والرواية :

عجبت لحرّاقة ابن الحسيـــن كيف تعوم ولا تغرَق

وبحران من فوقها واحد وآخر من تحتها مُطبّق

وأعجب من ذاك عيدانها وقد مَسّها كيف لا تورق

والزيزب نوع من السفن .

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٣ -

١٣ – كتاب معاني الحروف :

عدّ بروكلمن بين مصنّفات الزجاجي كتاباً باسم « حروف المعـاني » . وأما « معاني الحروف » فلم يذكره أحد غير ابن خير الاشبيلي [1] . إلا أن القفطي قال في الإنباه إن « لأبي علي الفارسي كتاب « الأغفال » فيما أغفله الزجاجي في المعاني [2] » ! وكلام القفطي هذا ، يمهّد السبيل لوهم القارئ ، إذ يدلّ على أن « أغفال » الفارسي يتصل بمعاني الحروف للزجاجي . والحق ان في كلام القفطي نقصاً وسهواً ؛ أما النقص فلأنه كان ينبغي له أن يشير الى أن « الأغفال » انما هو في معاني القرآن . وأما السهو فلأن « الأغفال » هو تعقيب واستدراك على كتاب « معاني القرآن وإعرابه » لأبي اسحاق الزجاج ، لا على معـاني الحروف لأبي القاسم الزجاجي ، ولم يشر محقق الإنباه الى ذلك [3] .

---

(١) فهرست ابن خير : ٣١٩ .

(٢) إنباه الرواة ١ : ٢٧٤ .

(٣) أقول زيادة في الايضاح : للأغفال نسختان ، احداهما في مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب رقمها (خزانة ١ رف ٤ رقم ٩٤) وهي مكتوبة سنة ٦٧١ . والنسخة الثانية في دار الكتب بالقاهرة تحت الرقم (٥٢ تفسير) ونقلت عن هذه النسخة نسخة أخرى في دار الكتب أيضاً .
وقد ذكر ابن خير كتاب الأغفال بنسبته الصحيحة في فهرسته (ص ٣١٠) كما ذكر كتاب « معاني القرآن واعرابه » الزجاج في ص ٦٤ . —

١٤ — شرح رسالة كتاب سيبويه :

لم يذكر هذا الكتاب أحد ممن ترجموا للزجاجي ولم يشر الباحثون إليه على كثرة عنايتهم بكتاب سيبويه وما يتصل به . والذي ذكر هذا الكتاب هو صاحبه نفسه ، فقد أشار إليه أكثر من مرة فقال في كتابه « ايضاح علل النحو » : وفي ذلك احتجاج ونظر لم نقصد إليه في هذا الكتاب ، لأنا قد شرحناه في كتاب شرح الرسالة بجميع ما فيه . » وقال في موضع آخر « فأما القول فيما قاله سيبويه في كتابه « هذا باب علم ما الكلم من العربية » وما في ذلك من الألفاظ والوجوه ، فقد ذكرته في كتاب أوردته لتفسير رسالة كتاب سيبويه ... » وقال أيضاً « وقد أشبعت المعنى في تفسير كلام سيبويه هذا ، في تفسير رسالته . »

وما ما أراده الزجاجي من هذا الكتاب ، فهو ـ فيما أعتقد ـ شرح الصفحات الأولى من كتاب سيبويه ، تلك التي بحث سيبويه فيها أموراً عامة قبل الدخول في أبواب النحو الجزئية التي تبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب بباب الفاعل . ويؤيد ذلك :

آ — أنه من عادة الزجاجي أن يستعمل لفظ « رسالة » بمعنى مقدّمة الكتاب أو خطبته ، وقد رأيناه يستعملها غير مرة في حديثه عن مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة .

— وبمناسبة الخلط بين الزجاج والزجاجي ، يجدر بي أن أنبه على أن الكثير من فهارس المكتبات العامة ذكرت « كتاب فعلت وأفعلت » منسوباً للزجاجي ، حتى اخذ بذلك بعض المحققين . عدّه الأستاذ محمد بن ابي شنب ناشر الجمل بين آثار الزجاجي ، زاعماً انه ينقل عن كشف الظنون . والحق ان هذا الكتاب من وضع ابي اسحاق الزجاج ، استاذ ابي القاسم الزجاجي ، كما في كشف الظنون نفسه (٢ : ١٤٤٧) وكما في فهرست ابن خير (٣٥٢) وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٥ ه (١٩٠٦) ضمن مجموعة باسم « الطرف الأدبية » .

٢ً — من المعروف أن كتاب سيبويه لا مقدمة له ، إلا أن في الصفحات الثلاث عشرة الأولى منه ما يصلح أن يكون مقدّمة للكتاب ، لأنه بحث في أمور عامة يدخل أكثرها في مقدّمات كتب النحو . وأما أبواب النحو بتفصيلها وتفريعها فتبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب ، حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل .

٣ً — قول الزجاجي انه شرح في هذا الكتاب قول سيبويه « هذا باب علم ما الكلم من العربية » يدلّ على أن هذا الباب من « الكتاب » داخل في « رسالة كتاب سيبويه » وهذا يتفق مع ما أشرت إليه في الفقرة السابقة من اعتبار الصفحات الثلاث عشرة الأولى هي مقدمة الكتاب .

١٥ — كتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنّفين :

لم يشر الى هذا الكتاب غير اثنين ممن ترجموا للزجاجي هما السيوطي وبروكلمان . أما السيوطي فقد أشار إليه شاكًّا في نسبته حين نقل عنه بعض مجالسه . وأما بروكلمان فقد عدّه في جملة آثار الزجاجي .

قال السيوطي في الأشباه والنظائر : « مجلس الخليل مع سيبويه ، ذكره أبو حيّان في تذكرته [١] وأظنه أخذه من كتاب غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره » [٢] وقال فيها بعد « مجلس أبي إسحاق الزجاج مع جماعة ، ذكره أبو حيان في تذكرته وهو في كتاب المجالس المشار إليه وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي [٣] » وأثبت ظنه ثانية فقال « مجلس ذكر صاحب الكتاب

(١) التذكرة في العربية لأثير الدين محمد بن يوسف ابي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ . وذكر في كشف الظنون ١ : ٣٩٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٦ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٧ .

المسمى غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين» ولم أقف على اسم مؤلفه وأظنه لأبي القاسم الزجاجي»[1] . وقد نقل عنه ذلك صاحب خزانة الأدب[2] ومع أن السيوطي لم ينر لنا السبيل ولم يذكر ما دفعه إلى هذا الظن إلا أننا نستطيع اذا رحنا نتلمس له الدليل ان نجد بعض ما يؤيده ويوشك ان يرجح ظنه .

إذا عدنا الى ما نقله السيوطي من أخبار هذه المجالس وجدنا :

١ً — ان أسلوب الرواية في هذه المجالس هو نفسه أسلوب أبي القاسم في أماليه فكلاهما أسلوب يعنى صاحبه فيه بالسند عناية كاملة ، رأينا ذلك حين تحدثنا عن الأمالي ونراه هنا في أخبار المجالس الوارد ذكرها في الأشباه والنظائر (٣ : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧) .

٢ً — ان الذين يروي عنهم صاحب كتاب المجالس هم أنفسهم أساتذة الزجاجي وزملاؤه الذين روى عنهم في كتبه ؛ فمنهم اليزيدي (أشباه ٣ : ٣٣) والزجاج (٣ : ٣٤) وأبو جعفر الطبري (٣ : ٣٥ و ٣٩) والأخفش (٣ : ٣٧ و ٣٩ و ٤٠) وابن الخياط وابن شقير (٣ : ٤٦) وهؤلا جميعاً ممن اجتمع الزجاجي بهم وصرح في « الإيضاح » بالأخذ عنهم .

٣ً — ان عنوان الكتاب الذي هو «غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين» فيه رغبة ظاهرة في الحرص على ذكر الغرائب التي لم يذكرها المصنفون من قبل ، وهذا يتفق مع ما عرفناه من رغبة الزجاجي وحرصه على أن يذكر في مصنفاته ما لم يذكره غيره ، وأن يضمن تآليفه ما لا يوجد في غيرها ، قال عن كتابه «الايضاح في علل النحو» : «وان أكثر ما أودعته

(١) المصدر السابق ٣ : ٢٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٥٣ .

إياه لا يكاد يراه متفرّقاً ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب . » وقال عن المسائل التي أودعها كتابه : « منها ما تلقيناه من شُيوخنا رضي الله عنهم تلقياً ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . »

وبعد ذلك فأنا لا أدعي أنني أرضيت العلم أو وصلت بالظن الى اليقين ، إذ ينبغي للجزم في معرفة صاحب كتاب المجالس أن نعود الى النسخ المخطوطة من كتب المجالس ونقارن بين مجالسها وننظر في تاريخ أصحابها . . . وليس هذا التمهيد الذي أقدّم فيه آثار الزجاجي هو موضع هذا التحقيق العلمي الدقيق .

١٦ — الإذكار بالمسائل الفقهية :

ومما يجب ذكره بين آثار الزجاجي تلك المسائل المتفرّقة التي نقلت عنه في كتب المتأخرين وكان منها ما يتصل بالفقه ومنها ماله صلة بغير الفقه . فما كان منها فقهياً فقد جمعه وأطلق عليه اسم « الإذكار بالمسائل الفقهية » ونقل السيوطي هذه المسائل في الأشباه والنظائر ونحن نذكر مقدّمتها لوضوح دلالتها عليها : « قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي رحمه الله تعالى : أما بعد حفظك الله وأبقاك ، وهدانا وإياك ، ووفقنا فيما نحاول ديناً ودنيا للرشاد ، ورزقنا علماً نقرن به عملاً يقرّب منه ويزلف لديه ، إنه سميع بصير وعلى ما يشاء قدير . فإنك أذكرتني بالمسألة التي سألتني عنها في البيت الذي سئل الكسائي عنه وهو قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاثاً ومن يخرُق أعقّ وأظلم[1]

وتفسيري وجه الطلاق بالنصب في ثلاث مسائل فقهية من العربية يتلاقى بها النحويون ويسأل عنها متأدبو الفقهاء ، وكنت جمعتها قديماً ، منها مسائل ذكر لي

(١) هد الى ما قيل حول هذا البيت في الأشباه والنظائر ٤ : ٢٤٠ .

أبو بكر محمد بن منصور المعروف بابن الخياط النحوي أنه اجتمع هو وأبو الحسن ابن كيسان مع أبي العباس ثعلب على تلخيصها وتقريرها ، ومنها مسائل ذكر لي أن أبا العباس ثعلباً أفاده اياها . ومنها مسائل منثورة جمعت بعضها عن شيوخي شفاهاً ، وبعضها مستنبط من كتبهم ، فأحببت أن أجمعها في هذا الكتاب وأسميه « كتاب الإذكار بالمسائل الفقهية » فاعتمدت ذلك حين نشطتي له ، فجمعتها فيه كلها وما اتصل بها وجانسها ومسألة الكسائي التي جرى ذكرها ، وجعلته نهاية في الاختصار ، وموجزاً غاية الإيجاز ، لئلا يطول فيمل ، ويكثر فيضجر ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل »[1] .

ثم أورد بعد ذلك أربع عشرة مسألة كلها في الطلاق .

١٧ — مسائل متفرقة :

ومما تركه الزجاجي مسائل متفرّقة جمعها في كتاب بعث به إلى أبي بكر الشيباني ، وكان هذا قد سأله عن بعضها ، فدفعه السؤال إلى الجمع والتأليف . جاء في الأشباه والنظائر : « هذه إحدى عشرة مسألة سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي في كتاب أنفذه إليه من طبرية الى دمشق فكتب إليه في الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وأبقاك ، وأتمّ نعمته عليك وأدامها لك . وقفت يا أخي — جعلني الله فداك — على مضمّن كتابك الوارد مع أخينا حفظه الله ، والجواب عنه يصدر إليك ولا يتأخر بحول الله ومشيئته . ووقفت على ما ضمّنته آخرة من المسائل التي اشتبهت عليك ، وبادرت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب ، لعلي بتعلّق قلبك بها ، وليعجل أخونا حفظه الله الانتفاع بها .

(١) الاشباه والنظائر ٤ : ٢٣٣ .

وأتبعتها مسائل من عندي منتخبة من ضروب شتى أنت تقف عليها وتذكرني بها ، ومهما عرض لك من أمثال هذا فلا تنقبض في مفاتحتي به فإني أسر بذلك ، وأفضي إليك فيه ما عندي على مبلغ ما ينتاهى إليه علمي إن شاء الله تعالى . »[1]
ثم يورد المسائل الإحدى عشرة ونحن نكتفي بإيراد المسألة الأولى منها . قال : « أما قولهم هذا زيد السعدي سعد بكر ، وقولك كيف يعرب سعد وما الاختيار فيه . فإن هذه المسألة يختار فيها الكوفيون الخفض فيقولون زيد السعدي سعدِ بكرٍ ، قالوا لأن معنى قولنا زيد السعدي : زيد من سعد ، ثم تقول سعدِ بكر على الترجمة (يعني البدل) ، لأنا نريد بهذا الكلام الاضافة ، وليس يمنعون من إجازة نصبه .

فأما أصحابنا البصريون فلا يجيزون خفض هذا البتة ، لأن قولنا زيد السعدي سعد مرفوع وليس بمرفوع وانما الياء المثقّلة في آخره دلت على النسب إليه ، ولا يكون المضاف إليه أولاً والدالّ على الإضافة آخراً . ولعمري ان النسب إضافة ، لأنا إذا قلنا رجل بكريّ وتميميّ ، فإنما نضيف إليه ، ولكنه ليس على طريقة المضاف والمضاف إليه . وليس هاهنا لفظ خافض ولا مخفوض ، وقد سمى سيبويه النسب إضافة على الوجه الذي ذكرته لك ، فيقول أصحابنا : أزيد السعديّ سعدَ بكر بالنصب على أعني سعد بكر ، ولا يمنعون من الرفع على معنى هو سعد بكر .

وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطّرة في كتب الكوفيين ، ولكني سألت عنها أبا بكر بن الخياط وابن شقير فأجاباني بما ذكرته لك ...

(١) الاشباه والنظائر ٣ : ٤٨ .

١٨ — الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها :

أضاف بروكلمان الى ما ذكره من كتب الزجاجي السابقة كتاباً آخر باسم « بيان الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها » ولم أجد أحداً أشار الى هذا الكتاب سواه .

والخلاصة ان مكتبة الزجاجي هذه لم يبق منها إلا ثمانية كتب الى جانب المسائل الصغيرة التي حفظها لنا السيوطي . وقد طبع من هذه الكتب اثنان هما الجمل والأمالي . ودفعت بالثالث منها وهو « الإيضاح » الى الطبع وبدأت بإعداد كتاب « اللامات » وأنا اسأل الله أن يمدّني بعونه وتوفيقه لأتابع تحقيق سائر آثار الزجاجي فهي نعم الذخر في النحو واللغة والأدب .

وها كم نماذج عن كتاب « الإيضاح في علل النحو » وشرح مقدمة « أدب الكاتب » وكتاب « اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل » وكتاب « اللامات » للزجاجي :

(يتبع) مازن المبارك



بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين
الحمد لله ذي المنن الجزيلة والعطايا الجليلة التي لا ينقطع أمدها ولا
تدرك نهايتها وصلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين
وسلم تسليما. اعلم وفقنا الله وإياك للرشاد والهدى وجنبنا
سبل الغواية والردى أن الكتب المصنفة في فنون العلم كثيرة جدا
[illegible] في التأليف في النوع الذي نحاوله منه
حتى لو أن متكلفا تكلف الإحاطة بما صنف من فن واحد من فنون
العلم لعسر ذلك عليه ولم يبلغه إلا بمشقة وإفناء أكثر
دهره [illegible] الإحاطة [illegible] حتى يقضي على نفسه بأنه لم
[illegible] ذلك الفن إذ كان الكلام [illegible] يستطاع حصره والآراء
مختلفة غير مؤتلفة والأقوال متباينة غير متشاكلة كل مؤلف على
[illegible] واختيار في نفسه ومحله من ذلك العلم الذي يعانيه ويرومه
[illegible] علوا أو اقتدارا عليه أو ضعفا عنه وتبلدا
فيه [illegible] لم يسبق له هذه المقدمات
التي [illegible] يكون كل من نظر في تصنيفه موافقا له قطعا
ورأيا واختيارا [illegible] من ذلك [illegible] الأكثر من نظر فيه مخالفا
له [illegible] من هذه الضروب أو في أكثرها فيميله عنه ما
[illegible] إلى ما ألفه وعرفه وإذا كان ما ذكرناه صحيحا عند كل
[illegible] كتاب [illegible] في علله [illegible] مقداره من
العلم [illegible] والموازنة بعرضه بتصنيف كتاب في فن من
فنون العلم التي [illegible] كان من جد أو هزل أن يثابر على صون ما صانه
[illegible] وعقله ومحله ويجهد نفسه في ستر ما ستره
[illegible] من خفي أسراره ومكنون أخباره لأنه قبل تعليقه [illegible]

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

(٥) — صورة وجه الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

في ستر كثيف وصون كثيب وحرز منيع من إخلال المتسلط
عليه واطراحه الالتباس في الإقامة في بعض مقالته أو مجالسه
هذا مع تعذر الامتناع عليه من تجاوز إدخاله في جملة الكتب
والوقوف على عوار إن كان منه عن الناس خائفاً فلذلك
وسعي أن يعلم أن أصناف الناس وأن همهم لن يبطل في تسعهم إلا
نظر معادله ومكاشحة إذ كتبه الله عز وجل في الأنفس الشريفة
من المنافسة في العلم وطلب الرتب العلية فيه ولن يجد الحاسد محموداً
في حال إلا في طلب العلم لأن من لم تدعه نفسه إلى الأنفة من تطاول
نظيره عليه في العلم واعتلائه إياه وغلبته له فإن الهمة قاصرة علة
وهذا باب يطول جداً وإنما أومأنا إليه ليعلم الناظر في هذا الكتاب
أنا لم نأل جهداً في تهذيبه وترتيبه وتلخيصه واختيار محض الطائفة
ومع أن قبلنا أتاه وتكلفنا جمعه من مواضعه غير عليل على من
سبقه ولا محتذ على نظر تقدمه، وهذا كتاب أنشأناه في
علل النحو خاصة والاحتجاج له وذكر أسراره وكشف المستغلق من
لطائفه وغوامضه دون الأصول لأن الكتب المصنفة في الأصول
كثيرة جداً ولم نر كتاباً إلى هذه الغاية مفرداً في علل النحو مستوعباً
فيه جميعها وإنما يذكر في الكتب عقيب الأصول الشيء اليسير منها
مع خلو أكثرها منها، ونشير إلى العلل ونعتقد منها مسائل مجموعة منثورة
من سائر الحدود. منها ما استخرجناه من كتب العلماء وبسطناه
وهذبنا ألفاظه وقربناه. ومنها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم
تلقياً ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها الشيء منها
مسائل جرت بين العلماء ممن سلف في مجالس اجتمعوا فيها جمعنا
فيها الكتاب ذاكرين الحجج لكل منهم من الحجج والتوفيق [illegible]

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
قال أخبرنا الشيخ أبو القسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي رحمه الله
قال أما بعد أسعدك الله بالأدب بمقابلة وزين الرياسة بك وجعل
أفضل العلم ما ازداد أيامك [illegible] فإن من أرباب العلماء
في كل عصر يتقربون إلى الرؤساء [illegible] بلطائف يخترعونها ومصنفات
يشيعونها بالشواهد بحليهم من العلم وهي أجل لهم عند الرؤساء وأبقى لذكرهم وذكر
من صنفت من أجله فيحسن تلك المصنفات على مرور الأيام وتطاول الأزمان
تلقاه غابر عن سالف وتداوله الرواة ونقلة الآثار قرنا بعد قرن وإني
لما أنعم الله علي من حسن رأيك وتجديد من أفعال البر والفضل في نعمك الحسن
ووقفت على محلك من [illegible] في ضروب من العلم [illegible] العلم الذي
انتحله وغيره من العلوم ورأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بأدب
الكاتب لابن قتيبة لأنه ذكر فيها جملا من الأدب [illegible] والغرض عن [illegible]
تسع فيه المعاني ويتسع الكلام فحققت ما تضمنته من اللغة باشتقاقه
وإعرابه ومن النحو وعلله ومقاييسه وشرحت ما أومأ إليه مما [illegible]
الكتاب إليه من معرفة المصادر والأسماء والأفعال [illegible]
من التاء والألف [illegible] جميعا وجملا من [illegible] وشرحت أخبار الرسول
صلى الله عليه وسلم التي ذكرها [illegible] محاسنها وذكرت
معاني الكلام الذي حكاه عن المتقعرين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على ما ذكرته للمتطلعين [illegible]
من الكتاب المقصود بالرسالة إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي
صورة وجه الورقة الثانية وفيها أوله

قال ابن قتيبة أما بعد حمد الله بجميع محامده والثناء عليه بما هو أهله
والصلاة على رسوله المصطفى وعلى آله فإني رأيت أكثر أهل زماننا عن سبيل
الأدب ناكبين ومن اسمه متطيرين ولأهله هاجرين قال أبو القاسم
أما حرف متضمن معنى الجزاء ولا بد له من الجواب بالفاء لتضمنه معنى الجزاء كقولك
أما زيد فكريم وأما عبد الله فمنطلق ترفع ما بعد أما بالابتداء وهو مقدم
مما بعد الفاء قال سيبويه مهما يكن من شيء فعبد الله منطلق
فالاسم الذي يلي أما مقدم مما بعد الفاء ولا يجوز أن يليها إلا الأسماء لأنها
ليست بحرف جزاء والفعل المجازى به ولا بد للفعل من فاعل فلذلك وليتها
الأسماء دون الأفعال وإن وقع بعد الفاء فعل ناصب عمل في الاسم الذي
بعد أما فنصبه وزال الابتداء كما يزول في غير هذا الموضع بدخول العوامل
تقول أما زيدا فلقيت وأما عبد الله فأكرمت قال الله عز وجل فأما
اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وفي كلام العرب أما أخرى
وهي مركبة من حرفين من أن وما وذلك قولك أما أنت منطلقا انطلقت
معك وأما أنت شاعرا سرت معك قال سيبويه معناه لأن كنت شاعرا
سرت معك أي لأن كنت شاعرا سرت معك فموضع أن نصب بفعل
[illegible] من اللفظ وأضمرت [illegible]
الفعل ولا يكون [illegible] كما ترى [illegible]
[illegible]

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أوله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي رحمه الله الحمد لله

الملك الحق المبين ذي القدرة والجلال والكبرياء والعزة والعظمة والسلطان

الحكيم القديم الأحد الفرد الصمد العليم ذي الأسماء الحسنى

والصفات العلى الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا خالق الخلق

بقدرته ومصرفهم على إرادته ومفنيهم عند انقضاء مدة آجالهم

على ما أبلى وأنعم وأولى وأسأله العون على طاعته والسلامة لما يحب

ويرضى وصلى الله على سيد المرسلين وأفضل النبيين محمد

وآله الطيبين الطاهرين هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق

أسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في القرآن وما جاء منها

في الحديث [illegible] رواها أهل العلم واستنبطوها بعد

الرواية بتأولهم من كتاب الله عز وجل فاستخرجوا منه

لا تعارض فيها شك ولا يختلج في الصدر [illegible]

كلام العرب واشتقاقاته ...

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل

وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبته

والأثر عليه وبالله التوفيق فهو حسبنا ونعم الوكيل حدثني ابو عبد الله
الحسين بن محمد الرازي النيسابوري قال حدثني ابو بكر محمد بن ابي الرازي
قال حدثني ابو الفضل عبد الرحمن بن معوية العتبي بمصر قال
حدثني صفوان بن نافع بن صخر بن ... قال حدثني سفيان عن
ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها
دخل الجنة قال صفوان فحدثني داود بن ... المكي قال سألنا
سفيان ان يملي علينا التسعة والتسعين اسما التي لله عز وجل التي
في كتابه ان يخرجها لنا فقلنا ... علينا ... فاملى علينا هذه
الاسماء فاتينا سفيان فعرضناها عليه فنظر فيها اربع مرات فقال
هي هذه فقلنا له اقرأها علينا فقرأها علينا سفيان في فاتحة الكتاب
يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم يا مالك وفي البقرة ستة وعشرون اسما
يا محيط يا قدير يا عليم يا تواب يا حكيم يا بصير يا واسع يا بديع يا سميع
يا كافي يا رؤوف يا شاكر يا اله يا واحد يا غفور يا حليم يا قابض يا باسط
يا لا اله الا هو يا حي يا قيوم يا علي يا عظيم يا ولي يا غني يا حميد وفي آل عمران
الرحمن ... يا قائم يا وهاب يا سريع يا خبير وفي النساء ستة اسماء
يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا عفو يا مقيت يا وكيل وفي الانعام خمسة اسماء
يا فاطر يا قاهر يا لطيف يا خبير ... الاعراف ...

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على محمد
قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي رحمه الله عليه
هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواضعها في كلام العرب
وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرفها والاحتجاج لكل نوع
من مواضعها وما [illegible] العلل [illegible] والله الموفق
فاللامات إحدى وثلاثون لاما
لام الإضافة لام التعريف لام الملك لام الاستحقاق
لام كي لام الجحود لام إن لام الابتداء
لام التعجب لام [illegible] لام [illegible] لام المستغاث به
لام المستغاث من أجله لام الأمر لام القسم لام [illegible]
لام دخلت في النداء [illegible] لام تدخل على الفعل المستقبل
في جواب القسم ولا يجوز حذفها لام تلزم إن المكسورة إذا خففت
لام [illegible] لام الصيرورة لام التبيين
لام لو ولولا لام [illegible] لام زائدة [illegible]
لام زائدة [illegible] لام [illegible] لام [illegible]
[illegible] لام الشرط لام [illegible]
[illegible] ذكر اللام [illegible]
[illegible] للأسماء والأفعال والحروف [illegible]
[illegible] ذلك الكتاب [illegible]
[illegible] وكذلك ما اشبهه [illegible]
[illegible] قال تعالى السلام المؤمن المهيمن وكذلك [illegible]
[illegible] فاجتمع [illegible] لام [illegible]
[illegible]

كتاب اللامات للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

وتكون في الافعال في هذه المواضع كقولك لعبت الدار [illegible]
ووصل وعجل [illegible] للتوسعة في المواضع الثلثة [illegible]
في احسن من ان يحصى واكثر من ان يحصى . فاما كونها في الحروف
فان الحروف لا تعتبر بامثلة الافعال ولكنها قد جاءت فيها اولا
ووسطا واخرا ولا يحكم عليها فيها بالزيادة الا بدليل فكونها
اولا قولك لم ولن ولكن وكونها اخرا قولك هل وبل وهي
مع الاعراب كقولك لما خرج زيد [illegible] قال الله عز وجل بل الانسان
على نفسه بصيرة . فاما قولهم الم والا فانما هي لم ولا [illegible]
الالف [illegible] تقريرا وتوبيخا واستفهاما فالتقرير قولك الم اخرج
[illegible] قال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم [illegible]
والتوبيخ مثل قولك الم [illegible] الم [illegible] فلما [illegible]
[illegible] قال جميع الكوفيين يقولون هي حرف . والبصريون
يقولون [illegible] ودليل الكوفيين على انه حرف انه ليس [illegible]
[illegible] لانه لا يحسن [illegible] فاعل ولا مفعول [illegible]
[illegible] ولا [illegible] كما قيل [illegible]
[illegible] وقال [illegible] البصريون
[illegible] اتصال الضمير المرفوع به ولا يتصل الا بالفعل [illegible]
[illegible] واشبه ذلك [illegible]
[illegible] وما اشبه ذلك . واتصال الضمير [illegible]
[illegible] وعبد الله ليس [illegible]
[illegible] لما وقع [illegible]
[illegible]

كتاب اللامات للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

— ٤ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
١١٣٢	مَرَض مَفْصِلي عَصَبي سهامي	Arthropathie nerveuse tabétique	1132

وأفضل أن يقال اعتلال المفصل التابسي (1) .

١١٣٥	فُقاس، مَرَق، داء مفصلي حَثَلي متدن أو مشوِّه	Arthrose, Arthropathie dystrophique dégénérative ou déformante	1135

ويعني بـ (Arthrose) التبدل الطارئ على أحد المفاصل بسائق الشيخوخة والورم . وترجمه مجمع اللغة بداء المفصليات ، وترجم Deptrophie بسَفَل و (Dégénération) بفساد .

ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة الكلمة Ose بتنكس كما هو الواقع التشريحي في هذه الفئة من العلل فيكون ترجمة (Arthrose) تنكس

(١) سبقت الملاحظة على كلمة تابس و Arthropathie الأولى في الصفحة ٩٨ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين ، والثانية في الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد نفسه .

المفصل ، ثم اعتلال المفصل (Arthropathie) بسوء التغذية (Dystrophia) التنكس (Dégénération) أو الشوه ، وهي الترجمة الكاملة لما جاء في كلمات هذا المصطلح .

أما ما جاء في ترجمة اللجنة : فقاس فقد جاء في اللسان الفقاس داء شبيه بالتشنج ولا أراه يفيد المعنى المطلوب وكذلك كلمة مَرَق ففي اللسان أيضاً ومَرِق الشيء مَرَقاً خفيّ ، ومَرِقَت مفاصله وانمرقتْ ضعفت . وأما حَثَل وسَغَل[1] كلاهما يدل على سوء الغذاء وحريّ بأن يخصص بما يعرض للرضّع من ضعف وهزال من سوء الغذاء . ولا أظن التنكس إلاّ أفضل من التدني والفساد[2] في ترجمة (Dégénération) .

1147 Articulation de poli- فَخَخ ، مفصل ارتفاقي ١١٤٧
chinelle, amphiarthrose

وسقط في الطبع من الأصل الفرنسي كلمتان لم تنتبه اللجنة اليها . ففي الأصل :
Art. ballotante de polichinelle amphiarthrose, articulation mixte

وتكون الترجمة لهذا المصطلح بكامله : مَفْصِل خيال الظل[3] المهتز

---

(١) فقد جاء في اللسان الحَثَل سوء الرضاع والحال ، وقد أحثلته أمه والمُحْثَل السيء الغذاء الى أن قال احثَلَت الصبي إذا أساءت غذاءه وأحثله الدهر أساء حاله . أما سَغَل فقد جاء في اللسان ايضاً السَغِل الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف والاسم السَغَل ، والسَغِل والوَغِل السيء الغذاء المضطرب الأعضاء السيء الخُلُق يقال صبيٌ سَغِلٌ بيّن السَغَل .

(٢) في اللسان النَكْسُ قلب الشيء على رأسه ، وقال وقوله تعالى : ومن نُعمّرهُ نُنكّسهُ في الخَلْق معناه من أطلنا عمره نكّسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفاً وبدل الشباب هرماً . وفي اللسان أيضاً والمدنّي من الناس الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يَبْرحْ ضعفاً ...

(٣) (Polichinelle) عُرف بخيال الظل وتدعوه العامة في ديار الشام كراكوز وفي مصر آراجوز وكلاهما تصحيف لكلمة قره كوز التركية ومعناها العين السوداء .

المفصل المزدوج ، المفصل المختلط . أما الفَخَخ فقد جاء في القاموس المحيط : الفَخُّ استرخاء الرِجْلَيْن كالفَخَخ والفَخة . ولا أراها تفيد المعنى المطلوب والمفصل الارتفاقي أفضل منها .

١١٥٦ عدم اتساق Arythmie 1156

والمشهور هو عدم الانتظام وإن شئت اللا انتظام ، وهو ما نراه في كتب الأقدمين الطبية [1] أيضاً كما أن مجمع اللغة أقر عدم النظم ونشوز النظم .

١١٥٨ عدم اتساق دائم Arythmie perpétuelle, 1158
ثم هذيان قلبي delirium cordis

والأصح أن يقال عدم الانتظام الدائم وهذيان القلب بسبب حركته اللاانتظامية ، وقد يفهم من هذيان قلبي هذيان من منشأ قلبي .

١١٦٢ صَفَر ، حيّة البَطْن ، Ascaride lombricoïde 1162
دودة خراطينية

وأقر مجمع اللغة اسكارس لمبريكوئيد والصفر الخراطيني .

وعندي أن يقتصر على اسكارس . فقد جاء في اللسان : والصَّفَر داء في البطن يصفر منه الوجه والصفر حيّة تلزق بالضلوع فتعضها الواحد والجميع في ذلك سواء وقيل واحدته صَفَرة وقيل الصَّفَر دابة تعض الضلوع والشراسيف ، وقيل الصَّفَر حَنَش البَطْن . أقول ونحن في غنى عن هذا كله باقتصارنا على اسكارس أو اسكاريد ، ولا صلة بين هذه الديدان وصنف الحيّات .

---

(١) قانون ابن سينا الفن الثاني الفصل الأول كلام كلي في النبض الصفحة ٦٤ من طبعة روما . وكذلك في الصفحة ٢٦٣ من الجزء الأول من كامل الصناعة للمجوسي .

1165 Ascite, hydropéritoine صِقْي (سائل الجن) ١١٦٥
استسقاء الصفاق

وأقر مجمع اللغة استسقاء لكلمة (Ascite) . والأفضل أن تخصص كلمة استسقاء بـ (Hydropisie) أو (Anasarque) شأن ما عملته اللجنة .

أما الصِفاق فقد تقدم ترجيحي تخصيصها بـ (Aponévrose) [1] .

1172 Asile d'aliénés مأوى المجاذيب ١١٧٢

وتقدمت ملاحظتي على المجاذيب [2] وأرجح أن يقال مأوى أو ملجأ المجانين .

1184 Assainissement تصحيح ١١٨٤

وأرجح أن يقال اصلاح صحي .

1200 Assourdissement des bruits اصمام الأصوات ١٢٠٠

والأرجح إصمام الدقتين أو خفتها إذا كان الأمر متعلقاً بالقلب [3] .

1202 Assurance contre les accidents du travail تأمين ضد الطوارئ استمهاد ضد الطوارئ ١٢٠٢

وأفضل أن يقال تأمين ضد الإصابات .

1205 Astasie غَيَف (عدم القدرة على الوقوف) ١٢٠٥

وأقر مجمع اللغة العجز عن الوقوف . والأفضل أن يقال لا وقوف قياساً على ما تقدم في المصطلح ذي الرقم ٧ [4] . لأن المصاب بهذا الخلل لا يستطيع الوقوف بينما حركات رجليه تبقى صحيحة .

(١) الصفحة ٤٧٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين .
(٢) الصفحة ٣١٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .
(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين في المقالة ذات الرقم ٦٩
(٤) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من هذه المجلة (المجلد الرابع والثلاثون) .

أما التّغيّف وقد جاء على وزن تَفعّل الوزن الذي اختارته اللجنة للدلالة على المرض بالاشتقاق من تغيّف فقد جاء في اللسان تغيّف تبَخترَ ، وتغيّف مشى مِشيَةَ الطُّوال ، وقيل تغيف مرَّ مراً سهلاً سريعاً وتغيّف الفرس اذا تعطف ومال في أحد جانبيه . ولا أرى في هذه الكلمة ما يفيد معنى (Abasie) .

1205 Astasie - abasie, رَجَز ، خَطَران بنقص ١٢٠٥

ataxie par défaut الانتظام الانطلاقي

de coordination automatique

وأقر مجمع اللغة كلمة قُماد[١] .

وأرجح أن يترجم هذا المصطلح بلا خطو ولا وقوف والأتاكسيا بفقد الانسجام التلقائي .

أما الرَّجز فقد جاء في اللسان داء يصيب الإبل في اعجازها ، والرَّجز أن تضطرب رجل البعير أو فخذاه اذا أراد القيام او ثار ساعة ثم تنبسط ، والرَّجز ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذهما ومؤخرهما عند القيام .

وأما الخَطَران ففي اللسان: خَطَرَ يَخْطِر اذا تبختر، والخَطِرُ والخَطَران عند الصولة والنشاط وهو التصاول والوعيد .

ولا أرى في كليهما دلالة على معنى اللفظة المذكورة .

1215 Asthme allergique رَبْو تحاوبي ١٢١٥

أقول رَبْو آليرجياني[٢] .

1216 Asthme cardiaque رَبْو قلبي ١٢١٦

(١) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين ، وقد تقدم فيها رأي كاتب السطور في هذه الكلمة .

(٢) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .

وأرجح رَبْو قلابي نسبة الى القُلاب وهو علة القلب ، لأن هذا النوع من الربو يبدو في القلوب (العليل بعلة قلبية) .

١٢١٨ رَبْو الحشائش ، حمى الحشائش ، زكام الحشائش Asthme des foins 1218

fièvre des foins

rhume des foins

أقول رَبْو الكلأ ، حمى الكلأ ، زكام الكلأ . فقد جاء في اللسان الكلأ العُشب رَطْبُه ويابسه ، وهو المقصود هنا لأن هذا النوع من الربو الآليرجيائي منه ما يتأتى عن الرَطْب من الكلا ومنه ما ينجم عن يابسه .

١٢٢١ رَبْو عَرَض ، رَبْو موهم Asthme symptomatique 1221

أقول رَبْو عرضي ، رَبْو كاذب [1] .

١٢٢٣ حَرَجُ البَصَر Astigmatisme, astigmie 1223

وأقر مجمع اللغة اللابؤرية والاستجمية معرّبة . وهو خلل في طبقات العين من شأنه أن يجعل ارتسام المرئيات على الشبكة لا يتم بشكل نقطي بل بشكل خطي ، مما يجوّز استعمال الابؤرية على هذا الخلل .

أما حَرْج [2] البصر فلا أراه يفي بالمعنى المذكور فقد جاء في اللسان : وحَرِجَت عينُه تحرَجُ حَرَجاً أي حارت ، وقيل معناه أنها لا تنصرف ولا تطرفَ من شدة النَظَر وقال الحَرَجُ أن ينظر الرجل فلا يستطيع أن يتحرك من مكانه فَرَقا وغَيْظاً .

(١) الصفحة ٤٦٩ من الجزء الثالث من هذه المجلة (المجلد الرابع والثلاثون) في اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ .

(٢) أرى في ضبط هذه اللفظة غلطاً مطبعياً لم تنتبه اللجنة الى تصويبه إذ لم أعثر في اللسان ولا في التاج إلا قوله وحَرَّج الرجل أنيابه يحرُجها حَرْجاً حك بعضها الى بعض من الحرد .

1232 Ataxique مُتَهَزِّع ، هَزَعي ١٢٣٢

1233 Ataxie تَهَزُّع ، اضطراب الحركة ١٢٣٣

وأقر مجمع اللغة تخلّج لكلمة (Ataxie) .

أقول ان الترجمة اللفظية لهذا المصطلح هو اللاانتظام أو عدم الانتظام ، وتطلق على الاضطراب البادي في حركة العضلات في الطرفين العلويين أو السفليين . وقد درجت على استعمال أتاكسيا . أما تخلج فقد جاء في اللسان : وتخلّج المجنون في مشيته تجاذب يميناً وشمالا والمجنون يتخلج في مشيته أي يتمايل كأنما يجتذب مرة يمنة ومرة يسرة ، وتخلج المفلوج[1] في مشيته أي تفكك وتمايل والتخلج في المشي مثل التخلع . فالتخلج إذن خلل خاص بالمشية وذو صلة بالطرفين السفليين بينما الأتاكسيا ينبغي أن تشمل اضطراب الحركة في عضلات الطرفين العلويين والسفليين على السواء .

وأما التهزع فقد جاء في اللسان أيضاً الهَزَع والتهزع الاضطراب ، تهزع الرمح اضطرب واهتز واهتزاع القناة والسيف اهتزازهما اذا هزا ، وتهزعت المرأة اضطربت في مشيتها . أقول واذا دلّ التهزع على الاضطراب في الحركة فلا أراه يفي بالمعنى المقصود من أتاكسيا .

1234 Atélectasie, état foetal du poumon, pneumonie marginale; apnematosis هُمود الرئة ، حالة جنينية للرئة ، ذات الرئة الهامشية ١٢٣٤

---

(١) وعدوج كاتب السطور عن استعمال التخلج في المشية أو المشية التخلجية للدلالة على (Demarche en fauchant) وهي المشية البادية في المفلوج .

وأقر مجمع اللغة لا تمدد ترجمة لـ Atélectasie ، ودرجت على استعمال كلمة الخماص[1] فأقول في ترجمة هذه الألفاظ : انخماص ، حالة جنينية للرئة ، ذات الرئة الماشية واللاإرثوية (وقد أهملت اللجنة ترجمتها) .

1239 Athymie ١٢٣٩ فتور ، لا سَعْتَرية

وأرجح أن يقال لا شعور ولا توتة . فالكلمة الأولى هي الترجمة الحرفية لـ (Athmie) في معناها الأول . أما اطلاق الغدة السَعْترية عن (thymus) فلا أظن الكلمة مشتقة من السعتر ، وهي التوتة وقد أقر مجمع اللغة هذه الكلمة .

1284 Atypique ١٢٨٤ غير مثالي

وأرجح لا نموذجي .

1309 Autoinfection ١٣٠٩ خمج ذاتي

وأرجح أنتان ذاتي وعنونة ذاتية[2] .

1336 Avitaminose ١٣٣٦ داء لا حَيَيني

أقول عَوَز الفيتامين ولا أرى لزوماً لاستعمال حَيَين عوضاً عن فيتامين الكلمة الدارجة في جميع اللغات .

---

(١) في اللسان : والخَمَص خماصة البطن وهو دقة خلقته ورجل خمصان وخميص الحشا أي ضامر البطن إلى أن قال والخَمَص الجُرحُ وخمص الجرح يخمص خموصاً وانخمص بالخاء والحاء ذهب ورمه كحَمَص وانحمص .

(٢) الصفحة ٥٩ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

حرف B

1383 Bacille du charbon symptomatique عُصيّة الجَمْرة المُشوَّهة ١٣٨٣

وأرجح عصية الجمرة العَرَضية ما دمنا نطلق العَرَض على (Symptome) .

1384 Bacille diphtérique (de Klebs - Lœffler) عُصيّة غِشائية (عُصيّة كليبس - لوفلر) ١٣٨٤

وأرجح عُصيّة دفتريائية أو خانوقية ، وأن نخص غشاء لترجمة (Membrane) .

1386 Bacille pseudodiphtérique عصية مشبهة بالغشائية ، عصية شبغشائية ١٣٨٦

وأرجح عصية دفتريائية كاذبة .

1397 Bacille du rouget de porc عُصيّة حَصْبة الخِنْزير ١٣٩٧

والصحيح عصيّة حُمْرة الخِنْزير لأن الاسم الفني لهذه العصية هو (Bacillus legripelas mès)

1409 Bacilles anaérobies de la putréfration (provoquant la formation de gaz). عصيات التدعُّص اللاهوائية (والمولدة للغاز) ١٤٠٩

وأرجح عصيات التفسخ اللاهوائية باعتبار التفسخ كلمة دارجة ومعروفة .

1415 Bacillus botulinus عصيات نَقانِقيّة ١٤١٥

وأقر مجمع اللغة باسيل التسمم المجباري ، باسيل التسمم النقانقي .

ودرجت على استعمال التسمم الوشيقي ترجمة لـ (Botulisme) وهو الانسمام الانسمام الناجم عن أكل اللحوم المقدَّدة (المحفوظة) . فقد جاء في اللسان :

الوَشيقُ والوَشيقةُ لحم يُغلى في ماء ملح ثم يُرفع ، وقيل هو أن يُغلى إغلاءةً ثم يرفع وقيل يُقدَّد ويحمل في الأسفار وهي أبقى قديد .

1418 Bacillus œdematiens عُصيَّات خازبة ١٤١٨

وأقر مجمع اللغة لهذه اللفظة باسيل اوديمي . والوَذَمة كلمة شائعة تعريب (Oedeme) استعملت في الكتب القديمة وأرجح ابقاءها فأقول عصيات موذمة .

1420 Bacillus prodigiosus عُصيات شُؤمية ١٤٢٠

وأقر مجمع اللغة الباسيل العجيب . لأن المعروف عن (Prodigieux) أنه العجيب أو الخارق للعادة والطبيعة ولا أظن أن لهذه الكلمة من صلة بالشؤم . لهذا أرجح أن يقال العُصيَّات العجيبة .

1432 Bactériostatique مُثبِّتة الجراثيم ١٤٣٢

وأرجح موقفة الجراثيم ، لأن من شأن هذه الفئة من العقاقير أن توقف نمو الجراثيم وتكاثرها لا أن تثبتها ، والتثبيت يخصص لـ (Fixation) .

1485 Balantidiose (balantidiase) داء الزِقيات ١٤٨٥

وأقر مجمع اللغة معربًا هذه اللفظة بالبلانتيدية وهو الأرجح .

1532 Barbe de baleine,baleine لحية البال ، بال ١٥٣٢

وأرجح أن يقال ريش الحوت أو البال اذا جنحنا الى التعريب والمقصود من هذه اللفظة كما جاء في معجم لاروس النهايات الدقيقة من الصفحة القرنية البادية في فم الحوت والتي تتخذها لضبط صغار السمك . وجاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Whobbom) ومعناه عظم الحوت وفي الألمانية (Fèochbèn) ومعناه عظم السمك .

1541 Barrière encéphaloliquidienne سد المائع الدماغي ١٥٤١

وأرجح العائقة الدماغية السائلة .

١٥٥١ أسمر الى السواد 1551 Basané

أرجح أسْعَر . ففي اللسان والسُّعْرَة والسُّعَر لون يضرب الى السواد فُوَيق الأدمة ورجل أسْعَر وامرأة سَعْراء ، وجاء في ترجمة اللفظة الانكليزية (Sunburrned) وهي الوَمْحة فقد جاء في اللسان أيضاً الوَمْحة الأثر من الشمس .

١٦٢٩ هُزال رُزّي 1629 Béri - béri, Kakke

وأقر مجمع اللغة البَرِي ، وتشير هذه اللفظة الى علة مردها الى عَوَز الفيتامين ب ، وقد يفهم من هُزال رزي أن أكل الرز هو الباعث عليها وصلتها بالرز هو من الاقتصار على الغذاء به وخلوه من هذا النوع من الفيتامين ليس إلا .

١٧١٣ (٤) حصار التَّشجُّرات 1713 (4) Blocage des arborisations

وأفضل حصار الغُصَيْنات .

١٧٥٦ انسمام بالبَخَص ، انسمام فصيدي 1756 Botulisme, allantiasis

وأرجح الانسمام الوَشيقي أو الانسمام بالوَشيق (ينظر الى ما ورد في اللفظة ذات الرقم ١٤١٥ آنفاً) بعد أن سبق للجنة أن استعملت الانسمام النقانقي في ترجمة تلك اللفظة .

أما البَخَص فلا أراه يفي بالمراد [١] وكذلك الفصيد [٢] .

(١) في اللسان : البَخَص في العين لحم عند الجفن الأسفل ، والبَخَص لحم القدم ولحم فِرْسِن البعير ولحم اصول الاصابع مما يلي الراحة . إلى أن قال : هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه قال مما يدل على ان اللحم خالطه الفساد . اقول وهذا لا يدل على انه اللحم المقدد والحافظ شأن الحال في كلمة الوَشيق .

(٢) في اللسان : والفصيد دم كان يوضع في الجاهلية في معى من فَصْدِ عِرْق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه الضيف في الأزمة .

1759 Bouche d'égout صُنبور ١٧٥٩

وأرجح الكِرْباس ، ومدلول اللفظة الفرنجية المجرى أو الفتحة البادية في الشوارع والمتصلة بالكنيف (السياق) وعلى ذلك كانت الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Street - grelly) وترجمتها مجرى الشارع وكذلك اللفظة الألمانية (Strossen eimlauf) أيضاً .

فقد جاء في اللسان : والكِرباس الكَنيف ، وقيل هو الكنيف الذي يكون مُشرفاً على سَطْح بقناة الى الأرض . أما الصنبور فقد جاء في اللسان فم القناة (دون أن تخصص بالكنيف وربما كانت القناة الرمح أو العصا) ، كما أن لهذه الكلمة معانٍ عديدة أخرى .

1781 Bouffée de chaleur هُبُو ١٧٨١

وأرجح هَبيب الحرارة أو فورتها . وهو ما تشعر المرأة القاعد[1] من حس الحرارة المباغت بين حين وآخر في بدء انقطاع طمثها ويعرف بين العامة بـ (الهبلة والهبلات) . وهي ثورة من الحرارة تدوم مدة قصيرة .

ولم أجد في الهُبُو[2] ما يدل على هبيب الحرارة المذكور .

---

(١) جمع القاعد وفي اللسان : وقَعَدت المرأة عن الحَيْض والولد تقعد قعوداً وهي قاعد انقطع عنها والجمع قواعد .

(٢) في اللسان : الهَباء التراب الذي تطيره الريح ، وما دَقّ من التراب ، وهبا الرماد يهبو اختلط وهمد ، إذا سكن لهب النار ولم يطفأ جمرها قيل خمدت فإن طفئت البتة قيل همدت ، فإذا صارت رماداً قيل هبا يهبو وهو هابٍ ، الى أن قال الهباء في الأصل ما ارتفع تحت سنابك الخيل ، والشيء المنبث الذي تراه في ضوء الشمس فشبه بها اتباعه الى أن قال الهُبُو الظليم .

١٨٠٨ لقمة تأثرية أو لُقمة هَرَعية — 1808 Boule émotive ou hystérique ,
كرة هَرَعية — globe hystérique

أقول لُقمة انفعالية أو لقمة هيستريائية ، كرة هيستريائية [١] .

١٨١١ سُعار ، ضَوَر — 1811 Boulimie, fringale

وأرجح أن يقال بوليميا تعريباً أو الشَّهْوة الكلبية .

فدلالة اللفظة الشعور بالجوع الشديد الذي لا يشبع به المصاب شأن ما يبدو في بعض العلل العصبية المخية والنفسانية .

واقترح مجمع اللغة الاستجاعة (الجوع البقري ، الجوع الكلبي) هذا ولا شك أن السُّعار والضور كلاهما يفضل على الاستجاعة ، إلاّ أن الأمر لا يتعلق في الحقيقة بالجوع الحقيقي بل الأمر جوع كاذب والأحرى شعور بالجوع لا يستند الى أساس يبرره ، لذا أرجح الشهوة الكلبية وبوليميا ، اللفظتين اللتين استعملها من القديم أطباء العرب في مؤلفاتهم [٢] .

١٨٩٤ صوت قلبي ، نفخة قلبية — 1894 Bruit cardiaque souffle cardiaque

وأرجح دقة القلب [٣] ، نغمة قلبية .

١٨٩٦ صوت رنّان معدني (في التهاب الوتين المزمن) — 1896 Bruit clangoreux

(١) ينظر الى الصفحتين ٣٠٠ و ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) الجزء الأول من كامل الصناعة ٢٣٥ والكتاب الثالث من قانون ابن سينا الصفحة ٣٣٩ (فصل في الجوع واشتداده وفي الشهوة الكلبية) .
(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة في اللفظة ذات الرقم ٦٩ .

ودرجت على استعمال الدقة المُدَوية ما دام الأمر عائداً للقلب مترجماً (Clangor) بالدَوي وتاركاً الرنين والرنة لترجمة (Résonance) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة (رقم ١١٧٦٤) .

١٩٠٦ صوت الطاجن المشقوق Bruit de pot fêlé, 1906

صوت معدني bruit métallique

وأرجح صَوْت الحُق المشقوق ، صوت معدني ، لأن اللفظة تشير الى الصوت الصادر عن الحُق الآنية المصنوعة من الفخار .

حرف C

١٩٣٣ مِرْحاض يلقي فيه التراب الفحمي آليا Cabinet automatique à la tourbe 1933

وأرجح مُجزِّة التراب التلقائية لتخصيص المِرْحاض لبيت الخلاء .

١٩٣٤ غُرفة معاينة Cabinet de consultation 1934

وأرجح غرفة الاستشارة .

١٩٣٩ حارض ، حَرَضي Cachectique 1939

١٩٤١ حَرَض Cachexie 1941

وأقر مجمع اللغة الدَنَف وهي الكلمة الشائعة بين الأطباء ، لذلك أرجح ابقاءها ، فأقول في اللفظة الأولى دَنَفي وفي الثانية دَنَف .

١٩٤٣ حَرَض سِلْعي ، حَرَض الأعجاد الدرقي ، خزب مخاطي بضعي Cachexie strumiprive, c. thyréoprive myxœdème opératoire 1943

وأرجح دَنَف سِلْعي ، دَنَف حِرْمان الدرق ، وَذَمة مخاطية بضعية .

١٩٦١ بُنين ، مثلث المتيل كزانتين Caféine, triméthylxanthine 1961

وأرجح تعريب اللفظة فأقول كافئين أو كفئين شأن ما أقره مجمع اللغة ، وترى متيل كزانتين ترجيحاً أو متيل كزانتين الثلاثي .

1980 Calcium (carbonate de) الكلسيوم (فحمات) ، فحمات ١٩٨٠
carbonate de chaux الكِلس ، انظر طباشير مهيأ

وأرجح كربونات الكلسيوم وكربونات الكِلس .

2014 Calorie حرة ، سُعر ٢٠١٤

وأقر مجمع اللغة السُعور وأرجح تعريب اللفظة فأقول كالوري أو كالوريا .

2129 Caractère dominant صفة غالبة ، طبع غالب ٢١٢٩

ودرجت على استعمال صفة سائدة .

2130 Caractère prédominant d'une maladie صفة غالبة أو حاكمة في مرض ٢١٣٠

وأرجح هنا الصفة الراجحة في مَرَض .

2131 Caractère récessif صفة مكوّنة ، طَبع مكوّن ٢١٣١

وأقر مجمع اللغة صفة قَهْرية ودرجت على ترجمة (récessif) بمتقهقر فأقول صفة متقهقرة .

2132 Caractère sexuel صفة شِقية ، طَبع شِقي ٢١٣٢

2132 Caractère sexuel primaire صفة شِقية بدائية ٢١٣٢

2132 Caractère sexuel secondaire صفة شِقية ثانوية ٢١٣٢

وأقر مجمع اللغة صفة جنسية وهي اللفظة الشائعة بين الناس

2133 Carbonate de zinc naturel (impur) فحمات التوتياء الطبيعية (مشوبة) ٢١٣٣

وأرجح كربونات الزنك الطبيعية (مشوبة) .

٢١٣٥ فحم 2135 Carbone

وأرجح كربون تعريباً تاركاً فحم لـ (Charbon) .

٢١٥٣ سُدْفة 2153 Cardia

والمعروف عن اللفظة الفرنجية انها تعني فؤاد المعدة أو الفؤاد ، وهذا ما أقره مجمع اللغة و كتب التشريح قديمها وحديثها تستعمل كلة فؤاد وهي الفوهة الكائنة بين المرئ والمعدة ، ولم أجد في كتب اللغة التي بين يدي ما يشير الى أن السدفة تعني فؤاد المعدة .

٢١٥٧ مَرَض قلبي ، قُلاب 2157 Cardiopathie

وأرجح اعتلال قلبي[1] تاركاً القُلاب لـ (Maladie cardiaque) .

٢١٥٨ قُلاب درقي 2158 Cardio - thyréose

وأرجح انسمام درقي قُلابي ، لأن خال القلب يتأتى عن الانسمام الدرق لا من الغدة الدرقية بحد ذاتها .

٢١٦١ فاقة 2161 Carence

وأرجح عَوَز .

٢١٦١ فاقة غذائية 2161 Carence alimentaire

عَوَز غذائي .

٢١٦١ (٢) بفاقة الهيولينات (داء) 2261 (2) Carence en protéines (maladie par)

أقول داء عوز البروتينات .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة في الفلطة ١١٣١ .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٨ -

الفصل العاشر

القول في قوة التخيل

والقوة المتخيلة هي التي تدرك بها معاني المحسوسات [١] . وقد اضطرب بالناظرين نظرهم فيها . فمنهم من رآها حساً [٢] ، ومنهم من رآها ظنا [٣] ، ومنهم من حكم عليها بأنها مركبة من رأي وحس [٤] ، وبيّن أن هذه القوة ليست واحدة من القوى ولا مركبة منها [٥] . لأن [٦] ما يصدق على واحدة منها بالكل

---

(١) راجع ارسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 17; II. 12. 424 a 18 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، اهوانى ص ٦٢ س ١٧ ؛ ١٥٠٦٥ ، حيدر اباد : ٥٧ و ٦٢ .

(٢) المخطوطة : نفسها .

(٣) عرّف ابن سينا الظن ، فقال : الشفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣ : والظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجوز الطرف الثاني .

(٤) راجع ارسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 21 ؛ وابن سينا عرف الرأى بقوله (شفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣) : فالرأى هو الاعتقاد المجزوم به .

(٥) أرسطو : Arist. : De An. III. 3.427 b to 428 a 25 ؛ ابن رشد تلخيص ، اهوانى : ٥٩ ، حيدر اباد ، ٥٣ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٩ الف ١١ : «پس بايد كرد مردمانى راكه ويم راقوتى پنداشتند ازراى وحس محود مركب ، وگفتنه چنانست ازانكه اگر مركب بودى ازحس وراىء محود بايستى كه حس وراىء محود كار كردندى دريك چيز درسپيدوسياه ومانه چنين يمى بينيم . . .»

(٦) المخطوطة : لا ما يصدق .

يكذب على الجزء من الآخر ، ويأتلف في الشكل الثاني من الضرب الرابع منه وينتج الثالث الجزئي [١] .

أمّا الظن مقامه أن يصدق عند من يظنه ، ومن التخيل عند من هو له لا يمكن أن يصدق ، مثل أن يتخيل أن هذا الفرس ذو قرنين وهذا ما لا يظن ولا يمكن وجوده عنده [٢] .

وأما الحس فإن كل حس فمحسوسه موجود [٣] عند ما يحسه . وليس كل متخيل كذلك [٤] ، بل قد يتخيل ما قد تلف ، وما لا يمكن أن يحسه .

ولا مركب من هذين . وذلك بيّن بما قلناه عما هذه القوة .

فنقول : أمّا انها [٥] قوة تدرك الأمور التي تقدّم الإحساس بها ـ وهبْها [٦] غايبة عنا إما بفسادها أو بكونها غير معرّضة للمدرك ـ فذلك بيّن بنفسه .

---

(١) ولإنتاج الشكل الثاني من القياس يجب ان تختلف المقدمتان في الكيف (اي في الاثبات والنفي) وأن تكون المقدمة الكبرى كلية ، والأقسام المنتجة منه اربعة . والقسم الرابع يشمل الصغرى جزئية سالبة ، والكبرى كلية موجبة ، وينتج مثل القسم الثالث ، سالبة جزئية ، نحو بعض الانسان ليس بابيض ، وكل انكليزي ابيض ، فبعض الانسان ليس بانكليزي . او ، بعض الخيالات ليست بثابتة ، وكل الآراء ثابتة ، فبعض الخيالات ليست بآراء .

(٢) راجع ارسطو : Arist. De : An. III. 3 427 b 17 ؛ ابن رشد : تلخيص ، اهواني ، ٦٠ ، حيدر اباد ٥٥ .

(٣) ارسطو : Arist. De An. II. 5. 417 b 20 - 24

(٤) ايضاً : De An.. III. 3 428 a 6 ؛ ابن رشد ، اهواني ٥٩ - ٦٠ ، حيدر اباد ٥٤ - ٥٥ .

(٥) المخطوطة : أن .

(٦) المخطوطة : وهبه .

وهذه القوة ليست للإنسان فقط بل وفي أكثر الحيوان غير الناطق [١] ، وليس للحيوان غير الناطق قوة أشرف منها ، وسنبين ذلك فيما بعد .

وهذه القوة تعرض لها أن تصدق وتكذب بل هي في كثير من الأمور كاذبة [٢] ، وهذه القوة بالطبع إذا كانت صادقة فإنها ضرورة تدرك الأمر وهو بالحال الذي أدركه الحس . وبيّن أن الأمور التي أدركتها هذه القوة ليست المحسوسات [٣] (ورقة ١٦٢ ، الف) فإنها [٤] تدرك محسوسات قد فسدت ، وأيضاً فلا يمكن أن تدرك بالذات المحسوس إلا بعد أن يتقدم إدراك الحس له إلا بعرض . وقد لخص كيف ذلك في الثانية من كتاب الحس [٥] .

وقد قيل [٦] من قبل ان الحس المشترك قد يبقى فيه أثر المحسوس بعد غيبته

---

(١) قارن ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٦٠ الف ١٢ : افعال النفس ثلاثة : افعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذية والتربية والتوليد ، وافعال يشترك فيها الحيوانات جلها ولاحظ فيها للنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة الارادية ...

(٢) راجع ارسطو : De An. III 3. 428 a 11 ؛ ابن رشد : تلخيص ص ٦٠ ، حيدر اباد ٥٤ .

(٣) قارن تدبير المتوحد ، تحقيق أسين پلاسيوز ، ص ٧٢ : واما التي توجد عن العقل الفاعل فكلها صادقة بالذات لا بالعرض ، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق ، وهذه الصور ليست صور الأجسام بعينها فتكون خاصة ، ولا هي ايضاً مجردة عن الهيولى فتكون معقولات عامة ، وليس توجد لها النسبة الخاصة ولا توجد لها حالات المعقولات العامة ، بل توجد بين الصور الخاصة والمعقولات .

(٤) المخطوطة : فانها .

(٥) قارن ارسطو : Arist. : De Memoria et Rem.. I. 449 b 31; 450 a 10 sq. وهذه الرسالة قد ظهرت في جوامع ابن رشد العربية وكذلك في النص العربي وفي مخطوطات التراجم العبرية التي حدثت عنها كأنها كتاب ثان من كتاب الحس والمحسوس لأرسطو ، انظر : Averroes Cordubensis Compendia Librorum Aristotelis qui Parva Naturalia Vocuntur edd. Shields — Blumberg (The Medieval Academy of America, Cambridge MSS. 1949). P. 47.

(٦) المخطوطة : كان .

عنه[١] . ولكن تبين أن ذلك الأثر الذي قيل هنا هو الإحساس فإن للحس المشترك مع قوته على قبول صورة المحسوس قوةً على التمسك[٢] بهما ؛ وبهذه القوة إذا صارت فعلا يعرض لكثير من الناس أن يرى شخصاً من غير أن يكون ذلك الشخص حاضرا[٣] . وهذا بيّن في المبرسمين الذين يعرض لهم في اليقظة[٤] ، فقد يعرض لبعض الأمزجة أن يكون ذلك صادقاً[٥] ، كما يعرض لذوي الحس المحمود . وذلك أن الحس[٦] المشترك اذا قوي وضعف

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ١٣٠٦٤ ، حيدر اباد ٥٩ .

(٢) راجع ارسطو : De Somnus. 2. 459 b 8—9 ; 460 b 1 ؛ ابن رشد : الاهواني ص ٦٣ .

(٣) ايضا : De Memoria I. 450 b 18 ; De Somniis, 3. 461 b 1

(٤) أيضا : De Somniis. 2. 458 b 26 — 29 ; 3. 460 b 29 — 30 ويقول الفارابي وابن سينا : « المبرورون والمرورون » في موضع « المبرسمين » واللفظ الآخر شائع في كتب المتأخرين (انظر الهدية السعيدية لفضل الحق الخير ابادي ، ص ١٧١ : ولعل الفطرة السليمة يحكم بانه لايفرق الانسان بين مشاهدة صور يدركها بحواسه الظاهرة وبين مشاهدة صور يشاهدها في الرؤيا أو عند الابتلاء بالبرسام ، وص ١٧٢ : وكذا الحال في الرؤيا وبالجملة فحال تلك الصور المشاهدة للبرسم أو النائم كحال الصور المشاهدة لصحيح اليقظان في كونها مدركة جسمانية ، وفي ص ١٧٧ : وفيه ان المشاهدة قد تكون من دون الحضور عند الحواس كما في مشاهدة المبرسم والنائم .) ، والبرسام التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وانظر المدينة الفاضلة تحقيق ديتريصي ، ص ٥٣ ، والشفا (ورقة ١٨٠ ـ ١٩٠ : والصورة اذا كانت في الحس المشترك كانت محسوسة بالحقيقة فيها حتى اذا انطبع فيها صورة كاذبة في الوجود احسّه كما يعرض للممرورين .

(٥) لعل ابن باجة اشار الى كيفية « الهذيان » (Hallucination) ، انظر ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ب : فإن شغلت المتخيلة من الجهتين جميعا ضعف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كتبها كما يكون في حال النوم ، او من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض ..... وكما عند الخوف .... ووقوع امر جسدانية ..... فتلوح الصور التي في المصورة في الحاس المشترك ، فترى كأنها موجودة خارجاً .

(٦) المخطوطة : حس .

مزاج الحاسة انفعلت الحاسة عن الحس المشترك ، وقبلت الأثر ثم تحرك عنها الهواء الضام فقبل الأثر وصار كالشبح [(١)] ، ثم عاد الأثر فحرك الحاسة ، وحركت الحاسة الحس المشترك ، وقد تخص ذلك في الثانية [(٢)] من كتاب الحس [(٣)] وتبرهن السبب فيه .

وهذه الإحساسات هي معاني المحسوسات ، ومن شأن المعاني كما تبين في الحس أن تحرك الهيولى التي هي قابلة بالطبع . فهي اذا كانت احساسات وفارقت [(٤)] < كانت > أحرى بذلك . وبين أن الهيولى [(٥)] أحرى مجانسة للحس المشترك موجودة ، فتحركها الإحساسات فتدرك معاني المحسوسات . وليس يمكن أن تصير الإحساسات بعينها فيها ، فإن ما لا ينقسم لا يتحرك . وأيضاً فلا يمكن ذو الهيولى الهيولى إلا على ذلك النحو بأن يحرك قوة أخرى هي هيولى له . وهذه الأنواع من الهيولى ليست الهيولى الأولى بل هي متباينة لها ، كما تبين ذلك قبل . بل يقال على كل واحد منها هيولى باشتراك . فهذه هي القوة المتخيلة .

والخيال يقال بتقديم منه [(٦)] وتأخير ، وهو يقال بالجملة على محاكي الشيء . فإذا قيل بتقديم قيل على ما يحاكي شخصها شخصاً من أشخاص المشار اليه . وقد يقال على ما يحاكي النوع ، وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحاكي ذلك

---

(١) راجع ارسطو : De Somniis. 3. 462 a 10 – 14 ؛ وابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٨٣ ب : ولهذا ما يرى الانسان المجنون والخايف والضعيف والنائم أشباحاً قائمة كما تراها في حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتاً كذلك .

(٢) المخطوطة : الثامنة .

(٣) قارن أرسطو : De Somniis. 2. 460 b 5 – 25 .

(٤) أيضاً : Arist. 2. 459 a 25 – 27 .

(٥) المخطوطة : هيولى .

(٦) المخطوطة : منها .

النوع[١] . ولذلك يسمي فلاطن المحسوسات خيالاً . وقد يقال على غير هذه الانحاء . وبيّن أن الاحساسات خيالات المحسوسات ، فالقوة[٢] التي تدرك بها هذه الخيالات هي القوة التي بها تتخيل . وهذه الخيالات متى لم تفعل في هذه القوة ولا حركتها لم يوجد الحيوان متحركاً بها ، وان الحيوان يتحرك حركات كثيرة من جهات كثيرة . فان الحيوان يسخن ويجف من جهة أنه من الاسطقسات من طريق أنه ذو كيف[٣] . (ورقة ١٦٣ ب) فبالقوة ينتقل من جهة أنه ذو أين فهو يستحيل بالقوة الانفعالية . وينفعل[٤] بالقوة المنفعلة ، ويبصر بالقوة الباصرة . فبعض هذه في الجسد كله مثل القوة الانفعالية ، وبعضها في عضو خاص مثل القوة السامعة . وكذلك أيضاً يتحرك بالقوة المتخيلة .

ولما كان كل متحرك فله[٥] محرك كانت هذه القوة محركها في الاحساسات الموجودة في الحس المشترك وتحرك هي . فأما الذي عنه يتخيل شيء بعد شيء في وقت بعد وقت فهو[٦] المحرك الأبعد ، وهل هو واحد أو أكثر من واحد فقد تلخص الامر فيه في الثانية من كتاب الحس[٧] . فقد تبين ما القوة الخيالية ، وما التخيل في الجملة .

---

(١) قارن زيلر (Zeller) : فلاطون (Plato) ، ترجمة الين و گدوين (Alleyne and Goodwin) ص ٢٣٩ : والجمهورية : Republic X. 596 A/ Ritter. II. 306; 303 A 3

(٢) المخطوطة : بالقوة .

(٣) قارن أرسطو : (qualitative Change) De Somnus. 2. 459 b 1—5 .

(٤) المخطوطة : ىنفعل .

(٥) المخطوطة : فانه .

(٦) المخطوطة : وهو .

(٧) قارن أرسطو : (The residuary movements are like these) Arist. 3. 461 b 16—24

والخيالات وهي كمال هذه القوة هي في هذه القوة نظير للاحساسات في الحس المشترك ، وبيّن أن صور الموجودات ـ اذا كانت خيالات ـ أشدّ تبرّيا (١) عن المادة من الإحساسات ، وإن القوة المتخيلة نسبتها إلى القوة الحاسة هذه النسبة إلاّ أنها غير متبرية جملةً عن الصور الهيولانية من جهة ما هي هيولانية . ولكنها بعيدة في الرتبة عنها . لأن هذه قد تفعل وإن لم تكن تلك حاضرة موجودة ، لكنها في وجودها مفتقرة إلى تلك ضرورة . فإن كان خيال يوجد عن غير تلك فذلك من غير جنس هذه ، وقد تلخص كيف الأمر فيها في مواضع .

والقوة المتخيلة لا تتحرك حتى تحرّكها الإحساسات (٢) ، ومتى لم يكن إحساس لم تتحرك هذه القوة ، وإذا لم يوجد ذلك الإحساس لم تفعل فيها ، فلذلك يعرض لها ـ إن قيل فيما لا ينقسم ـ إنتقال (٣) من شيء إلى شيء . فأما كيف ذلك فقد تلخص في الثانيــة من الحس . فلذلك متى شغل الحس المشترك ، أو أزلناه بطل ، لم تفعله القوة المتخيلة وكانت قوة فقط . على ما يظن أنه يوجد ذلك عندما يحس بالأشياء المائلة في (٤) الغشاء (٥) . فلذلك عدّت القوة المتخيلة في جملة القوى الهيولانية . ولذلك صار فعلها في النوم (٦) أظهر فإن النوم هو وجود الحس المشترك بالقوة فقط . وهو عند ذلك حافظ للوجودية الحاضرية ، فهو غير متحرك ، فهو محرّك فقط والقوة المتخيلة متحركة عنه فقط .

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. III. 4. 430 a 7 .

(٢) أيضاً : Arist. : De Memoria. I. 450 a 11 - 14 .

(٣) أيضاً : I. 451 a 8 .

(٤) المخطوطة : وفي .

(٥) قارن أرسطو : De Somniis. 3. 462 a 13 — 14 .

(٦) أيضاً : De Somnus et Vigilia. 3. 456 b 10 — 16 ; 457 a q. See Note 17

وأما في اليقظة عندما يحس بالمحسوسات المفرطية[١] فيشبه أن يكون عند ذلك متحركاً فقط ، فعند ذلك إما أن يبطل أو[٢] تصير قوته فقط ولا يشعر بها تحركه ، وقد تلخص هذا في مواضع كثيرة . فلذلك إذا بطلت الحواس بطلت هي . وإذا بطل الحس المشترك بطلت . فلذلك تفسد (ورقة ٦٣ ا الف) بفساد الحس المشترك ، وتوجد موجودة وهي تابعة له على ما المتحرك[٣] تابع للمحرك[٤] في الحال التي بها يُحرّك . لكنها في وجودها أشرف لأنها كالغاية له .

وعن هذه القوة يتحرك الحيوان حركات مختلفة ، وبها يتحرك الجزء النزوعي[٥] ، وبها يوجد الحيوان كثيراً من الصنائع وبها يرى الحيوان أولاده كالنمل[٦] والنحل[٧] ، وهي أشرف قوة في الحيوان غير الناطق ، ولا يوجد في الحيوان <غير> الناطق قوة أكمل من هذه القوة . فان القوى المحركة للحيوان

---

(١) قارن ارسطو : De An. III. 4. 429 a 31 — b 4 ; De Somnus , 2. 459 b 10 - 22 ابن رشد : الأهواني ، ص ١٠٤ س ١٧ — ٢٢ .

(٢) المخطوطة : و .

(٣) المخطوطة : المحرك .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) قارن ارسطو : De An. III. 10. 433 a 20 .

(٦) المخطوطة : ويكون كالنمل .

(٧) قارن ارسطو : De An. III. 429 a 5 ؛ ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٩١ الف ، ٢ : وللحيوانات الأخرى وخصوصاً للطير صناعات ايضاً فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير ولذلك ليس مما يختلف ويتنوع واكثرها لصلاح انواعها والضرورة النوعية وليست الضرورة الشخصية .
وايضاً ورقة ١٩١ ب ٥ : وربما وقع هذا العارض في الجبلة ومن الإلهام الإلهي كحب كل حيوان ولده من غير اعتقاد البتة بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء نافع او لذيذ وللفرقة عنه .... ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧١ .

بالطبع التي هي فيه هي القوة الغاذية والحساسه وعن هذه كلها يوجد الحيوان الأفعال التي يقال لها أنها من ذاته ، لأن المحرك والمتحرك معا فيه ، وقد تلخص كيف ذلك في ثامنة السماع (١) .

فبيّن أن القوة المتخيلة كمال لجسم طبيعي آلي ، فهي اذاً (٢) نفس . وبيّن عما قلنا أنه لا يمكن أن توجد قوة أخرى غير هاتين أعني الحس المشترك والقوة الخيالية . وذلك أن الموجودات هي إما هيولانية وإما منتزعة . والهيولانية هي في [جسم] مشار اليه . والانتزاع حركة ، وكل حركة تغير أو تابع لتغير (٣) . والانتزاع تابع لتغير ، والتابع إما أولاً وإما ثانياً . فالأول هو الإحساس ، كما تبين قبل ، والثاني هو هذا . وإن كان هناك ثالث لزم ضرورة أن تكون في الموضوع حالٌ ينفصل بها الثاني من الثالث اذا كانا معاً من جنس واحد وإلاّ فبماذا يكون الثاني غير الثالث .

وهناك تحريك الموجود في الهيولى ، وهنا التحريك وهو ليس في هيولى أنواع ، والثواني معادة للأنواع ما لا في هيولى ، لكن ما لا في هيولى يقال على أنحاء : إما أن لا يمكن أن يكون في هيولى أن يبرهن وجود شيء بهذه الصفة ، أو ما يمكن أن يكون له هيولى لكنه مأخوذ بالحال التي هو مباين للهيولى وهو بها ما هو بأن يكون مأخوذاً بالوجود الذي يخصه ـ وهذا هو النطق على ما سنبين ـ أو ما هو في هيولى ، غير أنه مأخوذ من جهة ما هو . وهذا الجواز إما أن يكون يمكن فيه المفارقة ، وهذا هو الحس ، أو ما قد فارق ، غير أنه مأخوذ بالحال التي هو بها في هيولى ـ فهذه هي القوة المتخيلة الخيالية . ولذلك كانت

(١) قارن ارسطو : Phys. VIII. 256 a 02 .

(٢) المخطوطة : ذا .

(٣) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ . وقد استعمل « قريب » و « بعيد » في موضع « اول » و « ثاني » .

القوة الخيالية تدرك الأشخاص[١] فقط ، فلأن الصور الهيولانية إنما حركت هذه القوى بالقوة التي فيها ، وهي التي تقدم تلخيصها قبل هذا[٢] . فصارت الاحساسات موجودة وكان لها قوة تحرك بها ، فحركت القوة الخيالية فصارت الخيالات موجودة . وهذه كلها عن غير الصور الهيولانية وهي هيولانية[٣] . ولم يمكن (ورقة ١٦٣ ب) فيها أن تحرك القوة المدركة الأمر الكلي[٤] حتى تحرك هذه الهيولانية المشار اليها ما يحركه جميع المشار اليه فتكون تحركها غير متناهية ، لأن التحريك عن وجود ، والوجود يقترن به التناهي . والمتحرك عن الهيولى وعن التناهي هو هيولى من جهة ما هي هيولى . وإنما يحرك الموجود المفارق تحريكاً غير متناه من جهة أنه لا يتحرك . وليس هناك ضد فليس هناك مفارقة . وإن كانت الهيولى قابلة أبداً فهو محرك أبداً لأنه لو لم يحرك لكان متحركاً ، وكل متحرك فهو منقسم وكل منقسم فهو هيولاني . ولذلك تدرك القوة المتخيلة الصور الهيولانية من أحوالها التي تخصها في الوقت الذي تدركها فيه ولا تدرك منها ما لا يخصها في وقت الإدراك . ولا يمكن أن تدركها بجميع أحوالها التي تلحق الصورة محركة عن الأعراض المفارقة لها . ولذلك تدرك جميع لواحقها الذاتية وغير الذاتية كشيء واحد .

لكن قد يسأل سائل فيقول : كيف يتخيل الشيء الواحد بأحوال مختلفة

(١) إدراك الشخص هو إدراك المعنى في هيولى ، انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، ص ٦٧ ، حيدراباد ، ص ٦٢ .

(٢) راجع النص نفسه : آخر الورقة ١٥٤ الف .

(٣) قارن أرسطو : De An. III. 7. 431 a 14 — 19 .

(٤) إدراك الكلي هو ادراك المعنى العام مجرداً من الهيولى ، والحس والتخيل إنما يدركان المعاني في هيولى . انظر ابن رشد : ٦٧ ، حيدراباد ص ٦٣ .

بعضها أدركت وبعضها لم تدرك فيه بل بعضها ممكنة فيه وبعضها غير ممكن . إلا أن ذلك في الإنسان فقط . فإنه الذي يركب ويفصل (١) . وهذه الحركة هي من قبل أسباب أخر وقد عددت في الثانية من كتاب أرسطو في الحس (٢) .

ولو كانت الخيالية تدرك المعنى وتدرك ما له أمكن أن يدرك فلا يمكن (٣) ذلك في العقل النظري . وأما في الظن فهو لشيء (٤) ممكن ، إلا أن الظن وقوته سنبين . إذاً بيّن ما القوة الناطقة . فأما في العلم فهو فعل القوة الناطقة ، فلا يمكن ذلك فيه البتة وسنبين لمَ كان ذلك بعد هذا .

فالقوة الخيالية كالجزور بين الموجودات التي من شأنها أن تفارق الهيولى وبين الهيولانية قد أخذت من كل بقسط على ما من شأن الطبيعة أن تفعل دائماً ، فإنها لا تنتقل من جنس إلى جنس دون متوسط وقد لخص ذلك في مواضع كثيرة . وهذا آخر ما يحركه المحسوس المشار اليه .

ولما كان كل متحرك فهو مجانس لمحرّك على ما تلخص في غير هذا الموضع ، وكان الخيال شخصاً ولم يكن كليا . فان الكلي هو الطرف المقابل للشخص . وليست هاتان القوتان أوساطاً على ما هي الأوساط في الحرارة والبرودة حتى توجدان (٥) في الحس . والخيال جزء من الكلية كما يوجد ذلك فيما بين الحرارة والبرودة وإن الوسط فيه حر وبرد . فإنه ليس في الإحساس ولا في الخيال

---

(١) قارن أرسطو : De An. III. 6. 430 b 5 ؛ وابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ الف : وان الحس المشترك يؤدي الى القوة المصورة على سبيل استخزان ما يودّي اليها الحواس لتخزنه وقد تخزن القوة المصورة ايضاً اشياء ليست من المأخوذات عن الحس . فإن القوة المفكرة قد تتصرف ..... بالتركيب والتحليل ..... ، وابن رشد : ص ٣٠٦٨ ، حيدراباد ص ٧٠٦٢ .

(٢) قارن أرسطو : De Somniis, 2. 459 a 23 sq. .

(٣) المخطوطة : مدرك ما لا على .

(٤) المخطوطة : سا .

(٥) المخطوطة : موجد .

شيء من الكلي ، بل توجد لها(١) أحوال يكون بها بعضها أقرب إليه من بعض . وتلك الأحوال في الخيالات أكثر وأحرى بها(٢) ، وأظهر منها(٣) في الإحساسات . فإن الشخص ليس بمضاد للكلي (ورقة ١٦٤ الف) بل هو غيره بوجه ما ، وقد خص أمره(٤) أرسطو فيما بعد الطبيعة(٥) .

وأما وجود الكلي فهو ضرورة عن أسباب أخر ، ولا يخلو <من> أن يكون الكلي كاينا أو غير كاين . فإن كان كاينا فهناك هيولى أو قوة تجري مجرى الهيولى ، وإن كان غير كائن حتى يكون التعلم تذكراً فقد يلزم إما أن يكون للصور على ما يراه فلاطن وهي التي نصّها سقراط في كتاب فاذن(٦) ، فيكون للعقل حسّاً أو مجانساً له ، وإما للعقل قبل أن يعقل فيكون التعلّم تذكرا .

وإذا نظر في الكلي ، وجدت له أحوال يلزم عنها أن يكون أزليا ، وأحوال يلزم عنها ضرورة أن يكون متكونا . وبالجملة فإن اللواحق الموجودة له توجد فيه على حال مقابلة لوجودها في الصور الهيولانية . وكيف كان وجودها في الصور الهيولانية ، وكيف كان ، فإن وجودها مباين للوجود الهيولاني مباينة ظاهرة جدا . وأحراها أن تكون موجودة بنحو آخر من الوجود حتى يقال عليها وعلى الهيولانية الموجودة باشتراك ، وأخلق أن يكون الموجود يقال عليها بتقديم ، وإن كان أحرى بالوجود .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

(١) المخطوطة : لها .
(٢) قارن أرسطو : De An. iii. 8. 432 a 3 — 10 .
(٣) المخطوطة : عنها ، وبالهامش : منها .
(٤) المخطوطة : امرها .
(٥) قارن أرسطو : Met. Z. VII. 1035 b 29 .
(٦) Arist. Met. A. i. 991 b 3 .

قبور العظماء في دمشق

مقدمة

درجت جميع أمم الأرض منذ الأزمنة القديمة على تمجيد عظمائها وأبطالها وتخليد ذكراهم بعد موتهم ، حتى بلغ الأمر عند بعض الأمم درجة تقديسهم وعبادتهم .

واليوم تحرص جميع البلدان الراقية على اقامة مقابر خاصة بالعظماء الذين أخلصوا لبلادهم وضحوا في سبيلها بأرواحهم أو سخروا سيوفهم وأقلامهم في سبيل خدمة أمتهم والرفع من شأنها .

ان تخليد ذكرى هؤلاء العظماء يقيم الدليل أمام المواطنين على أن الأمة لا تنسى أبناءها المخلصين العاملين ، وتحفز المواطنين كي يقتدوا بهم ويسيروا على نهجهم . ولا تخلو أمة من أمثال هؤلاء العظماء الذين يجود بهم الزمان من حين لآخر .

وقد عرفت دمشق كثيراً من الشخصيات التاريخية وضم ثراها رفاة عظماء وشهداء أقيمت لبعضهم المدافن اللائقة التي تخلد ذكراهم وأهمل البعض الآخر فاندثرت قبورهم . وشاب بعض هذه الأضرحة مزاعم خاطئة ونسبت لأشخاص دون أساس صحيح ، وقد رأيت من المفيد في هذا الظرف الذي تهتم فيه الدولة باقامة النصب التذكارية والأضرحة لعظماء البلاد أن ألفت الأنظار الى مجموعة من العظماء المدفونين حقاً في دمشق خلال عصور التاريخ . مصنفاً اياهم الى الطبقات التالية :

١ — طبقة الملوك والسلاطين ٠

٢ — طبقة الأمراء والولاة ٠

٣ — طبقة الصحابة ٠

٤ — طبقة آل البيت ٠

٥ — طبقة العلماء ٠

ذلك ان في التاريخ عهوداً مضيئة تحفل بالأمجاد ومشاهير الرجال وأخرى مظلمة يختفي فيها العظماء ، وما أكثر العهود المظلمة التي عاشتها دمشق وأقساها ، حين كانت فريسة الفوضى والفتن أو طعمة للغزاة أو نهباً للحكام الظالمين ، في عهد الفاطميين وأغلب عهد المماليك ثم في أيام الحكم العثماني والاستعمار الغربي ٠

وخلال تلك العصور كلها فترات ثلاث تألق فيها نجم دمشق وغدت مركز اشعاع لسائر العالم العربي والاسلامي بما نالته من نهضة وعزة وحياة حرة كريمة على يد رجالاتها ٠

وتكاد هذه الفترات الثلاث تتوزع توزيعاً عادلاً بين القرون الثلاثة عشر من تاريخها العربي ٠

كانت الفترة الأولى في فجر هذا التاريخ أيام الدولة الأموية ٠ وكانت الثانية في أواسطه ، أيام نور الدين وصلاح الدين ٠ والفترة الأخيرة هي في هذا العصر الذي نعيشه فترة الثورة على الأجنبي الدخيل والكفاح من أجل الاستقلال والحرية واقامة أسس الوحدة العربية ٠

* * *

أ – طبقة الملوك والسلاطين

١ – معاوية بن أبي سفيان :

مؤسس الدولة العربية في الشام وأحد صحابة الرسول (ﷺ) وكتبة الوحي ، اشترك في الفتوحات مع أخيه يزيد بن أبي سفيان وأبلى بلاءً حسناً ، ينسب اليه فتح قيسارية أكبر مدن فلسطين عام ١٨ أو ١٩ وولاه عمر الشام بعد وفاة أخيه يزيد عام ١٨ وظل في ولايته لها حتى أصبح خليفة المسلمين بعد معركة صفين عام ٤٨ للهجرة حتى توفاه الله في دمشق سنة ٦١ هـ وكان قد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة .

أما قبره فقد اختلف الناس فيه فبعضهم يقول بأنه ضاع وزال أثره إثر الانقلاب العباسي وانتقام بني العباس من الأمويين أحياء وأمواتاً . وينسب العامة اليوم لمعاوية ثلاثة قبور في دمشق ، إلا أن الثابت في المصادر العلمية والروايات التاريخية أن معاوية دفن في مقبرة الباب الصغير (١) .

ويشاهد اليوم قبره ضمن غرفة صغيرة من الطين حديثة البناء تقع في ركن المقبرة الجنوبي ، تلتصق بها قبور كثيرة بينها عدد قديم لمشاهير الرجال تدل عليها شواهد كتبت بخطوط كوفية .

وإذا صح ما ترويه المصادر عن نبش قبور بني أمية ، فليس ما يمنع أن يحتفظ الناس بمكان قبر معاوية اكراماً لمنزلته ، حتى أتى وقت خف فيه حقد العباسيين وقل نفوذهم في دمشق فأصبح من المتيسر إعادة قبره الى ما كان عليه وأقبلوا يخصونه بالزيارة والتبرك . ثم قدم أحمد بن طولون دمشق عام ٢٧٠ هـ فعمر

---

(١) راجع التحقيق الذي نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسني في مجلة المجمع المجلد ١٩ (١٩٤٤) ص ٢٣٤ .

على قبره قبة عالية ، وزاره بعد ذلك المسعودي عام ٣٣٣ فقال « ان عليه بيتاً مبنياً يفتح كل يوم اثنين وخميس » . وهذا يدل دلالة أكيدة على احتفاظ الناس بقبر معاوية وعلو منزلته في قلوبهم رغم ما قام به العباسيون . ولعل هذا البيت الذي بناه ابن طولون ووصفه لنا المسعودي قد تهدم خلال أحداث التاريخ وتقلبات الدول ، ولكن في كل عصر كان قوم يحرصون على الابقاء عليه والإشارة اليه حتى بقي الى يومنا هذا على هيئته المتواضعة البسيطة . وقد ظهرت محاولات حديثة من قبل الغيورين لبناء ضريح عليه يليق بمكانة صاحبه وعظمته وفضله في إرساء قواعد الدولة العربية في بلاد الشام خاصة وفي العالم الإسلامي عامة .

٢ ـ الخلفاء الأمويون :

تولى الخلافة من البيت الأموي أربعة عشر أميراً مات بعضهم في دمشق ومات البعض الآخر في أماكن متفرقة فعمر بن عبد العزيز دفن في دير سمعان وهشام في الرصافة وسليمان في مرج دابق ... وتذكر الروايات التاريخية عن ابن عساكر والمسعودي أن قبر عبد الملك في مقبرة الباب الصغير وكذلك قبر ابنه الوليد ويزيد بن معاوية . غير انا اذا فتشنا اليوم في هذه المقبرة لا نجد من الأمويين غير قبر معاوية الذي تكلمنا عنه وقبر عبد الملك الواقع على عدة أمتار الى الشمال الغربي من قبر معاوية في غرفة مهدمة من الطين تضم قبرين نسب أحدهما لعمر بن عبد العزيز ونسب الآخر الى عبد الملك . ونحن ننفي نسبة الأول الى عمر بعد أن أكدت الروايات دفنه في دير سمعان قرب حلب . ونرجح أن يكون لأحد خلفاء بني أمية ، ولعله الوليد الذي تذكر الروايات دفنه في هذه المقبرة والأمر يتطلب تحقيقاً أكثر دقة . أما القبر الثاني فيرجح أن يكون لعبد الملك بدليل اشارة المصادر التاريخية الى وجوده في هذه المقبرة ووجود كتابة كوفية على التابوت الحجري يرجع الى عدة قرون ، تؤيد ذلك .

وأي حرج في اعتباره قبره حقيقة والعناية به تخليداً لذكراه بالرغم من احتمال وجود خطأ في تحديد مكان دفنه على وجه الدقة ، لأن تخليد ذكرى العظماء ببناء المقابر اللائقة بهم لن يكون من أجل ما تبقى من عظامهم ورفاتهم البالية بل من أجل أمجادهم وأعمالهم العظيمة .

٣ ـ محمود بن زنكي :

لم تعد دمشق مقراً للخلفاء والسلاطين بعد زوال الدولة الأموية حتى دخلها نور الدين في القرن السادس الهجري ، فهو أول من تسلطن فيها بعد تلك الحقبة الطويلة ولقب بالسلطان الملك العادل نور الدين ، محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر .

وكان تابعاً لخليفة بغداد العباسي من الناحية الاسمية فقط . وكان حاكماً عادلاً مخلصاً لأمته وبلاده وقائداً بطلاً نذر نفسه للجهاد والدفاع عن البلاد من أخطار الصليبيين وعدوانهم ، ولذلك أحبه الناس وأشاد المؤرخون الذين عاصروه بأخلاقه ودينه وعدله وتواضعه وجهاده وحبه للعلم والعلماء وبناء المدارس والحصون .

ولد نور الدين محمود عام ٥١١ هـ بمدينة حلب حيث كان أبوه والياً عليها من قبل سلاجقة بغداد ثم خلف أباه عليها سنة ٥٤١ ثم ضم دمشق وسائر بلاد الشام الى مملكته عام ٥٤٩ وتوفي في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ه فدفن في تربة كائنة في ركن من أركان المدرسة النورية التي بناها في سوق الخياطين . ويبدو قبره لكل من يمر من هذا السوق من خلال نافذتين في تربة جميلة عالية القبة بسيطة المظهر ، ومن المستغرب أن ينسى الناس هذا الرجل العظيم ولا يحتفون به كما يحتفون بصلاح الدين ، مع أن نور الدين أستاذه ومؤسس دولته وواضع حجر الأساس في تحرير البلاد وتوحيدها .

٤ ـ يوسف بن أيوب :

هو صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي الملقب بالسلطان الملك الناصر ، ولد بتكريت عام ٥٣٢ ودخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي مع والده فبعثه مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر عام ٥٦٤ . فصار وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد ثم انفرد بحكم مصر وقضى على الخلافة الفاطمية عام ٥٦٦ ثم ضم الشام الى حكمه بعد وفاة نور الدين وبذلك وحد مصر والشام وأقام دولة تمتد الى ما وراء الجزيرة شمالاً والى البحر الهندي جنوباً وتونس غرباً والعراق شرقاً . وقضى حياته في محاربة الفرنج وتحرير البلاد من أيديهم الى أن توفي في قلعة دمشق عام ٥٨٩ فدفن بها ثلاث سنين ثم نقل الى حيث هو اليوم في تربة بناها له أولاده بعد موته وبنوا الى جوارها مدرسة سميت بالمدرسة العزيزية وقد تهدمت وبقيت التربة ذات القبة العالية وأحيطت في كل العصور بالعناية والرعاية فزينت جدرانها بألواح القاشاني عام ١٠٣٧ هـ .

وضع لقبره ضريح عند وفاته من خشب الجوز مزين بالنقوش الهندسية المحفورة تحيط به آية الكرسي بخط كوفي مزهر جميل ، كما صنع له تابوت جديد من الرخام عام ١٨٧٨ م في عهد السلطان عبد الحميد العثماني ، وقد فرشت دائرة الأوقاف أرضه بالسجاد وعينت له قيماً خاصاً به .

٥ ـ محمد أبو بكر بن أيوب :

هو الملك العادل سيف الدين محمد أبو بكر بن أيوب ، من أكبر شخصيات الدولة الأيوبية بعد أخيه صلاح الدين . اشترك معه في محاربة الفرنج وادارة البلاد . وكان المستشار والعضد الأيمن لأخيه ، ثم تولى السلطنة على دولة العرب في مصر والشام واليمن سنة ٥٩٦ يعاونه أولاده عندما دب الخلاف بين أولاد

صلاح الدين ، ولم يبق بأيديهم سوى حلب . ثم توفي سنة ٦١٥ في قلعة دمشق فدفن فيها ريثما تم بناء تربته في المدرسة العادلية مقر المجمع العلمي اليوم . ودفن معه بعد ذلك ابن حفيده المغيث عمر سنة ٦٤٢ وكان نائباً لأبيه الصالح أيوب على دمشق حين استولى عليها عمه الصالح اسماعيل فأسر في القلعة ومات فيها .

٦ ـ الملوك الأيوبيون الأخر :

لم يمت في دمشق من أولاد صلاح الدين سوى الملك المنصور حسن الذي توفي في حياة أبيه سنة ٥٧٥ وقبره معروف في التربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة غربي المدرسة الشامية . وفي دمشق من أولاد أخيه العادل ثلاثة ملوك ، المعظم والأشرف والكامل .

أما المعظم فهو عيسى بن العادل ولد في القاهرة سنة ٥٧٦ وتولى دمشق لأبيه وحارب الفرنج ثم خلف أباه في السلطنة ومات في قلعة دمشق سنة ٦٢٤ ودفن بها ثم نقل الى مدرسة له تعرف بالمعظمية في الصالحية ، وقد تهدمت ودرست .

وأما الكامل فهو محمد بن الملك العادل تولى مصر في عهد أبيه ثم تسلطن بها ودخل دمشق وضمها الى ملكه ومات بها سنة ٦٣٥ ودفن في القلعة ثم نقل الى تربة أعدت له خلف جدار الجامع الأموي الشمالي شرقي خانقاه السميساطية تعرف بالتربة الكاملية ولها باب من الجامع يؤدي اليها .

وأما الأشرف موسى بن الملك العادل فقد تسلطن في دمشق أيضاً سنة ٦٢٥ ومات في قلعتها سنة ٦٣٥ ودفن بتربة تعرف بالأشرفية كائنة شمالي الجامع الأموي بين المدرسة الجقمقية والمدرسة العزيزية وقد تهدمت وأصبح في مكانها اليوم ملجأ ضد الغارات الجوية ولا يزال القبر ظاهراً .

٧ ـ السلطان بيبرس :

هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أشهر سلاطين دولة المماليك وأول من وطد حكمهم في الشام بعد زوال دولة بني أيوب بدخول جيش هولاكو دمشق ، كان له فضل في النصر على التتار في معركة عين جالوت التي أدت الى طردهم من الشام وتوحيدها مع مصر من جديد . تولى السلطنة عام ٦٥٨ بعد مقتل سلفه السلطان قطز . قضى أكثر أيامه في محاربة الفرنج وتخليص ما تبقى من البلاد من أيديهم فحفلت أيامه بالانتصارات عليهم وخلد اسمه على أكثر من حصن وقلعة ومدينة . وقام بأعمال عمرانية كثيرة وتوفي سنة ٦٧٦ في القصر الأبلق الذي كان يقطنه في دمشق حيث تقع التكية السليمانية اليوم ودفن في المدرسة الظاهرية وتربته من أجمل الترب ذات قبة عالية مزينة بأصناف الزخرفة كالفسيفساء الزجاجية الملونة الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموي والرخام الملون والكتابات المذهبة وزخارف محفورة على الحجر ، وفيها محراب رائع ، وتعد أجمل تربة في دمشق وأغناها بالزخارف .

٨ ـ السلطان العادل كتبغا :

لم تعرف دمشق بعد السلطان الظاهر سلطاناً أقام أو مات فيها فقد استقر المماليك في القاهرة ولم يقيموا في دمشق إلا أياماً أو يزوروها إلا لماماً ، وكذلك سلاطين آل عثمان . سوى أن في المهاجرين مدرسة وتربة منسوبة الى أحد سلاطين المماليك ، هو الملك العادل زين الدين كتبغا تسلطن في القاهرة سنتين ثم خلع عام ٦٩٦ فالتجأ الى صرخد (صلخد) ثم أعطي حماة فمات بها ونقل ليدفن بتربته بسفح قاسيون الكائنة في الحديقة التي تضم ضريح الشهيد المالكي .

ب — طبقة الأمراء والولاة

كثيرون هم القواد والولاة الذين ماتوا في دمشق ودفنوا في ثراها منذ بداية العهد العربي الى اليوم . وكان لأكثرهم بطولات وأعمال جليلة يستحقون معها أن تحفظ الأجيال ذكراهم ، إلا أننا مع ذلك لا نعرف قبراً واحداً لمن عاش منهم قبل العصر الأيوبي ، ولعل السبب في ذلك عدم اعارة الأوائل أهمية للقبور والمدافن كما حدث في العصور المتأخرة . وقد رأينا كيف تعرفنا بصعوبة زائدة على قبور قليل جداً من خلفاء بني أمية أنفسهم .

لذا لن يكون أمامنا من وفيات هذه الطبقة ممن نتحدث عنه قبل زمن الأيوبيين الملىء برجالات الدولة من قواد أبطال وولاة وأمراء . ولا غرابة في ذلك لأن زمنهم بعد الفترة المضيئة الثانية في تاريخ دمشق بعد الفترة الأموية كما ذكرنا في المقدمة .

١ — شاهنشاه بن أيوب : أخو صلاح الدين حارب مع نور الدين محمود بن زنكي واستشهد في احدى المعارك ضد الفرنج عام ٥٤٣ ه ودفن في تربة أيوبية تعرف اليوم بالتربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة الى القرب من المدرسة الشامية .

٢ — توران شاه بن أيوب : أخو صلاح الدين وأكبر قواده فتح اليمن وولي دمشق لصلاح الدين عام ٥٧١ . توفي في الاسكندرية والياً عليها سنة ٥٧٦ فنقل جثمانه ليدفن في تربة أخيه الكائنة في المدرسة الشامية سنة ٥٧٨ .

٣ — فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب : ابن أخي صلاح الدين صار والياً على دمشق سنة ٥٧٦ وكان من كبار القواد والمجاهدين حارب الفرنج وأبلى بلاءً حسناً في موقعة مرج عيون . وكان الى شجاعته عالماً كثير الأدب مطبوع النظم

والنثر وله أشعار كثيرة . لقب بعز الدين مات سنة ٥٧٨ والياً على دمشق فدفن في تربة تعرف بالفرخشاهية كائنة شمالي حديقة المنشية .

٤ — الملك الأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه : ولاه صلاح الدين بعلبك بعد موت أبيه وكان شاعراً . اغتيل في دمشق ودفن في المدرسة الأمجدية المجاورة لتربة أبيه الفرخشاهية المتقدمة الذكر .

٥ — الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه : زوج ست الشام أخت صلاح الدين توفي سنة ٥٨١ والياً على حمص لصلاح الدين فدفنته زوجته في تربتها الكائنة في المدرسة الشامية في دمشق .

٦ — الأمير عز الدين ايبك : كان والياً على صرخد مدة طويلة توفي في الاسكندرية ونقل جثمانه ليدفن في مدرسته المعروفة بالعزية قرب مدرسة التجهيز الأولى .

٧ — الأمير حسام الدين محمد بن عمر (ابن ست الشام) : توفي سنة ٥٨٧ ودفن في تربة أمه الشامية البرانية المتقدمة الذكر . وهي تربة واسعة مزينة بزخارف ذات طابع أيوبي تضم عدة قبور للأمراء الأيوبيين وبينهم قبر ست الشام صاحبة التربة والمدرسة .

٨ — الأمير فخر الدين سركس أو جهاركس : أحد قواد الجيش الأيوبي كان نائباً على بانياس وتوفي سنة ٦٠٨ ودفن في تربته في المدرسة الجهاركسية الكائنة في العفيف .

٩ — الأمير فخر الدين ابراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم توفي سنة ٥٩٧ وكان والياً على قلعة بارين وعدة حصون توفي بدمشق ودفن بالمدرسة المقدمية خارج باب الفراديس في طريق مقبرة الدحداح ويطلق العامة على ضريحه خطأً ضريح طلحة .

١٠ — الأمير غورلو : تولى نيابة السلطنة في دمشق عام ٦٩٥ هـ في عهد سلطان المماليك العادل كتبغا وتوفي سنة ٧١٩ ودفن في دمشق في تربة لا تزال باقية الى اليوم الى جانب جامع الحنابلة ·

١١ — الأمير تنكز : تولى نيابة السلطنة في دمشق من عام ٧١٢ الى ٧٤٠ حيث اعتقل وأخذ الى الاسكندرية فقتل ثم نقل الى تربته التي شيدها الى جوار جامعه المشهور في دمشق ·

١٢ — سيف الدين جقمق : تولى نيابة دمشق سنة ٨٢٢ وقتل في القلعة عام ٨٢٤ ودفن بتربته في المدرسة الجقمقية الى جوار باب الجامع الأموي الشمالي وهي من أجمل مدارس العصر المملوكي بهندستها وزخرفتها ·

١٣ — درويش باشا : ولي دمشق في عهد السلطنة العثمانية عام ٩٧٩ هـ وكانت سيرته حسنة وقام بأعمال عمرانية كثيرة منها جامع الدرويشية الذي بناه سنة ٩٨٢ · توفي عام ٩٨٥ ودفن بتربته التي عمرها الى جوار جامعه ·

١٤ — مراد باشا : تولى دمشق سنة ٩٧٦ فعمر الجامع المعروف حالياً باسم جامع النقشبندي في السويقة وتوفي في دمشق ودفن بتربته الى جوار الجامع المذكور ·

م — طبقة الصحابة

يتناقل العامة ذكر عدد كبير من الصحابة ماتوا في دمشق أو استشهدوا عند الفتح ويشيرون الى قبور ومزارات نسب أكثرها خطأً اليهم · وكذلك تفعل بعض كتب التاريخ القيمة ، وهذا ما يجعل البحث عويصاً يحتاج الى كثير من المطالعة والدرس للوصول الى حقيقة مقبولة ، ولم يتأكد لدينا بعد الاستقصاء والتحقيق أكثر من قبرين لاثنين من الصحابة فقط ثبت موتهما في دمشق وتضافرت أكثر الروايات على تعيين مكان قبريهما وهما :

١ — بلال الحبشي : وهو بلال بن رباح من موالي قريش وأوائل الذين اعتنقوا الإسلام فعذبوا في سبيل الرسالة الجديدة . وهو أول من أذّن في الإسلام ثم خرج الى الشام مجاهداً بعد وفاة الرسول (ﷺ) فتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير حوالى ١٧ أو ٢٠ للهجرة ، وما يزال قبره معروفاً الى اليوم تحت قبة عالية عمرت في العهد العثماني ، وله ضريح من الخشب حديث الصنعة ركب فوق قبره الترابي القديم . وتذكر كثير من الروايات خطأ وجود قبره في مدن أخرى .

٢ — أبو الدرداء : عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري ، كان من أفاضل الصحابة ، ولاه عمر بن الخطاب القضاء على دمشق في عهد ولاية معاوية فكان أول قاض فيها ، توفي في خلافة عثمان حوالي سنة ٣٢ للهجرة ودفن في مقبرة الباب الصغير وظل قبره معروفاً يذكره الرحالة الى جانب قبر زوجته أم الدرداء . وقد عثرت دائرة الآثار عام ١٩٣٨ على شاهدتين احداهما تخص قبره والأخرى قبر زوجته مكتوبتين بخط كوفي يرجع الى القرن الرابع أو الخامس عثر عليهما مردومتين على بعد عشرين متراً الى الجنوب الغربي من قبر معاوية ، وهما محفوظتان في المتحف الوطني . ولأبي الدرداء مشاهد ومزارات في أماكن أخرى منها مقامه الكائن في قلعة دمشق الذي ذكره المؤرخ ابن طولون في الشمعة المضيئة في القرن العاشر الهجري .

وهناك قبور أخرى لعدد من الصحابة نشك في صحة نسبتها الى أصحابها ، ولعل السبب في إشاعة ذلك وادعائه التبرك بأكثر عدد من الصحابة وجعل دمشق تتقدم على غيرها في هذا المضمار . ومن هؤلاء نذكر :

١ — صهيب الرومي : له قبر في الميدان يطلق عليه الناس اسم سيدي صهيب ، ويريدون به الصحابي صهيب الرومي . وقد أجمعت أكثر الروايات على وفاته في المدينة سنة ٣٩ هـ .

٢ — أبي بن كعب : مات في المدينة أيضاً وله قبر عند باب شرقي خارج السور . وقد بني عليه جامع يرجع الى عام ١٠٣٠ هـ .

٣ — شرحبيل بن حسنة : أحد أمراء جيش الفتح الذين قدموا الى الشام مع أبي عبيدة ، مات في طاعون عمواس مع أبي عبيدة بن الجراح عام ١٨ وعمواس قرية بين الرملة والقدس في فلسطين حيث دفن أبو عبيدة ، ولا تشير رواية ما الى مكان قبره وأول من ذكر أن قبره في دمشق صاحب كتاب تحفة الأنام أمين البصروي من القرن العاشر الهجري ، وضريحه وضريح خولة بنت الأزور التي هي أيضاً لم يتأكد وصولها الى دمشق موجودان ضمن تربة واحدة يحويها مسجد بني عام ٩٠٩ هـ خارج باب توما .

٤ — ضرار بن الأزور : أحد الأبطال الكبار في صدر الإسلام اشتهر بجهاده في حروب الردة تحت قيادة خالد بن الوليد وقتل في هذه الحروب في اليمامة كما يذكر بعض المؤرخين أو في أجنادين أو في الكوفة كما يذكر البعض الآخر . إلا أن العمري صاحب مسالك الأبصار المتوفى سنة ٧٤٩ يذكر بأنه قتل أثناء فتح دمشق ، خلافاً لما ذكره الواقدي ، ودفن في القبر المنسوب اليه .

٥ — الصحابة السبعة في جامع الأقصاب : في هذا الجامع غرفة كتب عليها بخط حديث هذا مدفن سبعة من أصحاب رسول الله حجر بن عدي الكندي ورفاقه ، والثابت أن حجراً وأصحابه قتلوا بأمر معاوية وهم قادمون من الكوفة عند قرية عذراء سنة ٥١ هـ وذكرت أكثر الروايات بأن قبورهم هناك في عذراء .

٦ — صحابة جامع الشهداء : في الصالحية مسجد صغير يعرف بالشهداء فيه قبور ثلاثة من الصحابة هم حرملة بن وائل وجابر بن مسعود ومساعد ، ولا نعتقد بوجود أساس لصحة هذا الادعاء .

د ــ طبقة آل البيت

إن أكثر قبور آل بيت الرسول (ﷺ) رغم شهرتها وفخامتها لا تمت اليهم بصلة ، وهي قديمة في دمشق يذكرها الرحالة ويؤمها الزوار من كل مكان وخاصة الشيعة وأضرابهم . ولعل إقامة هذه المزارات يرجع الى عهد الحكم الفاطمي حيث اشتدت الدعوة لآل البيت والحماس لهم ولا غرابة لأن يتقبل الناس شيعة وغير شيعة مثل هذه البدع نظراً لمكانة الرسول العظيمة وكل ما يمت اليه بصلة ، وأصحاب هذه القبور هم :

١ ــ سكينة بنت الحسين : توفيت في المدينة كما تذكر أكثر الروايات ولكن لها قبراً فخماً في مقبرة الباب الصغير عليه قبة ضخمة مفروشة بالسجاد مزينة بمختلف الهدايا والزخارف والضريح قديم مصنوع من الخشب المحلى بالزخارف المحفورة المخرمة والكتابات الكوفية ، ويرجح أنه صنع في العصر الفاطمي .

٢ ــ فاطمة بنت الحسين : لها قبر في مقبرة الباب الصغير أيضاً وعليه قبة وضريح من الحجر عليه اطار من الكتابات الكوفية المزهرة بخط عريض جاء فيها :

«هذا قبر فاطمة ابنة أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت رضي الله عنها في رجب سنة ٤٣٩ ، ومعنى ذلك بأن صاحبة القبر ليست بنت الحسين كما يظن عامة الناس وانما هي واحدة تدعى فاطمة ماتت في القرن الخامس ربما كانت من آل البيت اذا صحت نسبتها الى بيت علي بن أبي طالب ، ومهما يكن فان قبرها محاط بالاحترام والتقدير من قبل طائفة الشيعة مما يظن معه بأنه حقاً قبر فاطمة بنت الحسين بن علي .

٣ ــ زينب الصغرى بنت علي : وتلقب بأم كلثوم لها قبران في دمشق الأول في قرية راوية المعروفة حالياً بالست الواقعة الى الجنوب الشرقي من دمشق على بعد عدة كيلومترات .

وهو مزار شهير يحتفى به يؤمه الزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ويقدمون عنده النذور وحوله الأبنية لنزول الغرباء وعليه قبة فخمة محلاة بالمرايا ضمن مسجد واسع ، وقد أهدته الحكومة الإيرانية حديثاً ضريحاً ثميناً من الفضة .

والقبر الآخر في مقبرة الباب الصغير في قبة خاصة به تضمه الى مقام الست سكينة . ورغم كل ذلك فنحن لا نعتقد بصحة نسبة هذين القبرين الى زينب بنت علي ابن أبي طالب لأن هذه ماتت في المدينة كما يقول المؤرخ عز الدين بن شداد . ويذكر صاحب كتاب أعلام النساء بأن قبرها بمصر عند قناطر السباع .

٤ — مشهد الحسين : كلنا يعلم بأن الحسين بن علي قتل وهو في طريقه الى الكوفة في معركة كربلاء سنة ٦١ ونقل رأسه الى دمشق ليراه الخليفة يزيد ابن معاوية . ويوجد للحسين مزارات كثيرة يطلق عليها اسم مشهد تشير الى قبره ، ولعل الأصح أن تعتبر نصباً تذكارية ، لأنه لا يعقل أن يدفن رأس الحسين أو جثته في عدة بلدان . له مشهد شهير في كربلاء حيث قتل يرجح أن يكون القبر الذي وارى جثته ، كما أن له مشهداً في جامع بني أمية في دمشق ، في مكان يطلق عليه اسم مشهد الحسين حالياً وقد أطلق عليه في القديم مشهد علي وكذلك مشهد زين العابدين (ابن الحسين) ، وله مشهد آخر في القاهرة . وتؤكد المصادر بأن رأس الحسين نقل الى دمشق ولكنها لا تشير الى مكان دفنه ، ثم تذكر بعض الروايات التاريخية حادثة نقل رأسه من دمشق الى المدينة في عهد يزيد وبعضها يذكر أنه نقل في العهد العباسي ، ويذكر البعض الآخر قصة نقله الى القاهرة في العهد الفاطمي .

٥ — الست رقية : في داخل باب الفراديس مسجد صغير فيه قبة يرجع عهد بنائها الى العصر الأيوبي تضم ضريحاً عليه قفص معدني جميل أهدي اليها من قبل الحكومة الباكستانية منذ سنوات ويظن الناس بأن هذا القبر لرقية بنت

الرسول . ولكن هذه ماتت في المدينة وقبرها هناك ، فنسبة هذا القبر لها خطأ ولعله لواحدة من سلالة علي يهتم بها الشيعة .

٦ — أم حبيبة : هي زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبي سفيان لها قبر في مقبرة الباب الصغير عليه قبة صغيرة بنيت في عهد السلطان عبد الحميد العثماني . ولعل ما يجعلنا نقبل نسبة هذا القبر اليها ، ما ترويه المصادر من زيارة زوجة الرسول لأخيها معاوية في الشام ، وما ينقله ابن عساكر عن ابن الأكفاني خبر مشاهدة هذا الأخير قبرها فيما شاهد من قبور الصحابة والخلفاء في مقبرة الباب الصغير وذلك في القرن الخامس الهجري .

٥ — طبقة العلماء

كثيرون هم العلماء الذين اشتهروا في دمشق خلال العصور كقضاة أو محدثين أو مؤرخين أو أطباء أو صوفية الخ . . . وهم فوق الحصر والتعداد وأخبارهم تملأ كتب التراجم الا أن قبورهم ضائعة لا يعرف عنها سوى أنها في مقبرة الباب الصغير أو في سفح قاسيون أو الروضة أو مقابر الصوفية في الشرف القبلي (يعني منطقة الجامعة والمستشفى) أو مقبرة الدحداح خارج باب الفراديس أو مقبرة الشيخ رسلان ، وقد اخترت من هؤلاء العلماء من تعرفت على قبره على وجه الدقة .

١ — ابن تيمية : هو تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي . لقب بشيخ الإسلام الفقيه العالم المجاهد ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير وتوفي بها سجيناً بقلعتها من قبل السلطان المملوكي في أيام ولاية تنكز نائب الشام سنة ٧٢٨ هـ . وقد احتفل أهل دمشق بجنازته احتفالاً لا يحظى به إلا العظماء القلائل . لقد خرج أهل دمشق نساء ورجالاً ومعهم أهل القرى والأطراف لتشييعه . صلي عليه في الجامع الأموي

وأخرجت جنازته من باب البريد فلم يتمكن الناس من الخروج وراءها فتوزعوا على أبواب الجامع وضاقت بهم الطرقات فخرجوا من أبواب البلد جميعها ليتمكنوا من تشييع الجنازة الى مقرها الأخير في مقبرة الصوفية ، وقبره هناك معروف ومصان في حديقة تقع خلف دار التوليد .

٢ — ابن عساكر : هو علي بن الحسن بن القاسم الدمشقي محدث الشام ومؤرخها المشهور بمؤلفه التاريخي الضخم الذي وضعه قديماً في ثمانين مجلداً ، ولد عام ٤٩٩ ورحل كثيراً في طلب العلم ثم توفي في دمشق عام ٥٧١ ودفن بمقبرة الباب الصغير شرقي قبر معاوية . وقبره ضائع يحتاج الى شيء من التحريات للعثور عليه .

٣ — ابن كثير : هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الملقب بالحافظ الكبير من أبناء بصرى الشام ، قدم دمشق وعمره سبع سنوات فتعلم ونبغ في الحديث والفقه ، وله كتب كثيرة أشهرها كتاب في التاريخ سماه البداية والنهاية وضعه في أربعة عشر مجلداً ، ويعتبر من المصادر الهامة . ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٤٧ ودفن الى جانب أستاذه ابن تيمية وقبره هناك معروف .

٤ — محيي الدين بن عربي : هو أبو بكر علي الحاتمي الطائي الأندلسي المشهور بابن عربي ، ولد بمرسية في الأندلس سنة ٥٦٠ وساح في البلاد ومات في دمشق سنة ٦٣٨ ، وضع عدة مؤلفات في التصوف جعلته من أئمة المتصوفين والفلاسفة الإلهيين ، واختلف الناس فيه فبعضهم من أنكر عليه فلسفته وسفهها ومنهم من رفعه الى مرتبة الأولياء . وقبره مشهور في الصالحية له مزار وقبة أمر ببنائها وبناء جامع الى جانبها السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ ، وتضم تربته قبور عدة أشخاص منهم الأمير عبد القادر الجزائري .

عبد القادر الريحاوي



التعريف والنقد

الإمام محمد بن عبد الوهاب

مولده سنة ١١١٥ هـ ووفاته سنة ١٢٠٦ هـ

تأليف الأستاذ أحمد عبد الغفور عطّار

لا شك أنّ الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) هو مجدّد أمر الدين في القرن الثاني عشر، في أرض نجد وما جاورها من الأقطار العربية، فقد نشأ المترجَم، ورأى الناس منغمسين في الجهالة والضلالة معاً، ووجد أكثر من يقول: لا إله إلاّ الله، منهمكين في دعوة سواه، ممن لا يضر ولا ينفع، لقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وهم ينكرون على مَن دعا إلى عبادة الله وحده، ويزعمون أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادون من عمل بالتوحيد وأحبّه، وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعدّ التوحيد شيئاً، ولا يلتفت إليه لجهله به، وعدم محبته له. ونحن نعلم بالضرورة أنّ النبي صلوات الله وسلامه عليه، لم يشرّع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، وأنّ ذلك مما نهى عنه الله ورسوله قال تعالى: «فلا تدعوا مع الله أحدا» ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبيّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه. كما جرى للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في ابتداء دعوته فإنه كان رحمه الله إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: الله خير من زيد، تمريناً لهم بلين الكلام، ونظراً إلى المصلحة وعدم النفرة.

أمامنا الآن هذا الكتاب ، المسمى (محمد بن عبد الوهاب) البالغ (١٣٦ صفحة) المطبوع هذه الطبعة الثانية على نفقة المحسن السيد حسن شربتلي ، (سنة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م) المشتمل على مقدمتي الطبعتين للمؤلف وثالثة للأستاذ محمد جميل شقدار تبين مزية هذا الكتاب من الناحية الفنية على غيره .

وأما مباحثه فأولها : (الحياة في نجد) (ص ١٧ — ٣٢) بين الأستاذ العطار فيه كيف كان الناس يتخبطون في دياجير الجهل والكفر والظلام ، وكيف يقتل الأمراء والحكام ـ من يذكرهم بيوم الله ، ويخيفهم عقابه الأليم ، فاغتالوا كثيراً من العلماء الأجلاء رحمهم الله ، وفي هذه الصفحات الثلاث (٢٠ — ٢٣) وصف حوادث القتل ، عن تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ، وهي مما :

يصمّ السميع ويعمي البصير ويُسأل من مثله العافيةْ

ثم نقل المؤلف ما ذكره المؤرخ ابن غنام في تاريخه عن فساد الحياة الدينية في القرن الثاني عشر في نجد والأحساء وغيرهما من البلاد العربية ، وعبادة الصالحين والأولياء ، والتبرك بالأشجار والأحجار ، وضرب لذلك الأمثال .

والمبحث الثاني في ولادة محمد ونشأته (٣٣ — ٣٧) وكان أكمل ناشئ في قومه . والثالث : حجه البيت وزيارته المدينة . وقد أخذ العلم في المدينة عن أعلامها . والرابع : من المدينة إلى نجد ، ولم يطل به المقام في نجد حتى تجهز للسياحة في جزيرة العرب ، ولما دخل البصرة ، ودعا إلى الله على بصيرة ، لقي من أهلها الأذى والعدوان ، ومكث في الزبير أياما ، ثم عاد إلى نجد ويمّم (حريملا) داعيا ، آمراً ناهيا في كنف أبيه ، ولكنه فجع بموته رحمه الله (سنة ١١٥٣) فوجد عليه أشدّ الوجد ، واستقلّ بأعباء الدعوة في نجـد ، صابراً محتسبا ، ولقد تآمر العبيد ، الأنجاس المناكيد ، على حياته ، ولكنّ الله سلّم ، ثم انتقل إلى بلدة العُيينة ، وكان أميرها عثمان بن حمد معمّر ، فأكرمه ، وزوّجه من ابنته جوهرة وكانت امرأة عاقلة فاضلة ، فأعانت الشيخ

في أمر الدعوة ، ثم ناصبه العداء ، الأمراء والسفهاء ، فدخل بلدة الدرعية ، ونزل عند عبد الله بن سويلم ، فنقل خبره إلى أمير الدرعية محمد بن سعود . فجاء الامير بنفسه ومعه بعض رجاله إلى دار ابن سويلم ، ورحب بالشيخ ، وأنزله عنده ، وتتلمذ له هو وأشقاؤه وكبار الدرعية ، وعمّ العلم جميع الطبقات ، وتتابعت الوفود الى الدرعية ، يستقون من معين العلم الصافي الذي لم تكدره البدع والأوهام .

ولما رأى ابن معمّر أن شأن صهره الذي أخرجه من بلده طريداً قد عظم ، قَصَد الدرعية ودعا الشيخ مؤكداً أنه سينصره نصراً عزيزاً ، فأجابه الشيخ بقوله : إن الفرصة قد ضاعت .

وعاد عثمان بن معمّر إلى الدرعية مرة ثانية لاسترضاء الشيخ ولكنه لم يفلح ، أما أهل العيينة فقد بايعوا الشيخ كأهل الدرعية مبايعة صادقة كان منها : « كنا نبايع على عداء كل مَن عادى الشيخ وموالاة من والاه ولو أنه أميرنا عثمان » لكن عثمان لم تكن مبايعته عن صفاء نية وصدق عقيدة . قال ابن بشر : في سنة ١١٦٣ هـ قتل عثمان بن معمّر في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة ، انتدب لقتله أناس من جماعته ، ذكروا أنهم تحققوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء وموالاتهم اهـ ، ثم أقام الشيخ شقيق القتيل شاري أميراً مكانه وأمر أهلها بالطاعة له ما لم يدع الى منكر . واكتظت الدرعية بطلاب العلم وروّاد الحق .

نقلت أخبار الإمام محمد إلى الكبراء ، فخاف الأمراء الأقوياء أن يمتد سلطان المصلح الجديد إلى ممتلكاتهم ورعاياهم ، وكان من ألدّ أعدائه دهام ابن دواس أمير الرياض ، وسليمان أمير الأحساء ، وبنو خالد ، وابن مفلق أمير القطيف ، وابن ثويني أمير البصرة ، وكان أشد الأمراء عداء لدعوة الحق والإصلاح دهّام ، فدارت حروب طاحنة بينه وبين الأمير محمد بن سعود ، وانتصر ابن سعود عليه ، فخادع دهّام ، وكاتب الأمير والشيخ بانضمامه مع

جيشه إليها ، وفي ربيع سنة ١١٧٨ هـ خرج ابن سعود ومعه دهام بأهل الرياض لحرب العجمان الذين استنجدوا بصاحب نجران وغيره من القبائل فأنجدوهم ، وخان دهام ، فكان على الأمير ابن سعود مع العجمان ، وبسبب هذه الخيانة هزم ابن سعود وقتل رجاله . وأعاد الله له الكرّة بعد ذلك ، وخرج دهام خارجاً على وجهه ، من بعد أن قامت الحرب بينه وبين الأمير سعود نحو سبع وعشرين سنة . وابتلى الأمير والشيخ بعد دهام بعريعر أمير الأحساء ولم يكن أقلّ شرًّا وضرًّا من غيره ، ثم صرفه الله كما صرف ابنه بطين من بعده ، قال المؤلف (ص ٨٩) : ومَن أراد أن يشبع رغبته من الاطّلاع على الوقائع كلها ، فليرجع إلى تاريخي ابن بشر وابن غنام .

ولما شعر الشيخ بدنوّ أجله ، اعتزل السياسة والحكم تاركاً أمر إدارة المملكة إلى الأمير عبد العزيز نجل الأمير محمد آل سعود ، وتفرغ للتدريس والتصنيف ، وذكر له الأستاذ العطار ثمانية عشر مؤلفاً ، قال (ص ٩٧) : وللشيخ رسائل أخرى وفتاوى كثيرة ، لو جمعت لكانت أجزاء عدة لكتاب ضخم .

(المشابهة بين عهدين)

تحت هذا العنوان عقد المؤلف فصلاً في المشابهة بين عصر الضلالة قبيل النبوة ، وعصر الجهالة قبيل قيام الإمام ابن عبد الوهاب بنشر الدعوة . فرفعت راية التوحيد في العهد الأول ، وراية التجديد في العهد الثاني ، وكانت الهجرة والنصرة للموحدين في العهدين ، فنصر الله عبده وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

(الدعوة الوهابية)

ذكر المؤلف في هذا البحث الدعوة الوهابية وخلاصتها : الدعوة إلى الدين الخالص ، والكلم الطيّب ، والعمل الصالح . وقد أورد المؤلف طائفة من كلام مشاهير العلماء والكتاب في المذهب الوهابي ، وانه للمذهب الحنبلي بعينه ، وجعلوا

محمد بن عبد الوهاب ثالث الرجلين في الإصلاح والتجديد : ابن تيمية وابن القيم الدمشقيين .

وفي جوهر الدعوة الوهابية (ص ١٩) ومبحث القبور والخمور (ص ١٣٥) إلى آخر الكتاب ، أهمّ المسائل التي دعت إليها الوهابية ، والتي حذّرت منها أو نهت عنها ، فالأولى تضمنت صرف جميع أنواع العبادة لله وحده ، ومنع التوسل بغير العمل والدعاء ، والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه المخلوق ، وطلب الشفاعة من مالكها ، والغلو في أهل القبور ، وتحريم المسكرات ، ومنع الدخان ، وذكر أدلتها من السنة والقرآن ، ونقل عن بعض من تكلم فيها من الأئمة الأعلام .

ولا يخلو الكتاب من أغلاط قلمية ومطبعية نشير إلى صفحاتها :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٧٨	خير	خبر
٧٩	سبعاً وعشرين	سبع وعشرون
٨٠	عن بعضها	بعضها عن بعض
٩١	في عصر	في عصره
١٠٥	حمر النعم	من حمر النعم
١٠٥	هقا	هذا
١٠٨	وابن القيم الجوزية	وابن قيّم الجوزية
١١٦	عمر بن النصر	عمر أبي النصر
١١٦	جزيرة العرت	العرب
١١٩	ولا تخشوهم	(فلا تخشوهم) .
١٢٩	ويخرجاه	ولم يخرجاه

ولعلّ المؤلف قد سها عن وضع فهرس للكتاب ، والله الموفق وإليه المآب .

الشيوعية والإسلام

تأليف عباس محمود العقّاد — أحمد عبد الغفور عطّار

كتاب يقع في مائة وستين صفحة . أوله (إلى ص ١٠٨) للأستاذ العطّار . والقسم الثاني عنوانه « الإسلام والشيوعية » وهو فصل كبير من مؤلّف ضخم ، للأستاذ الشهير العقاد ، سماه « الشيوعية والإنسانية » ، وقد أحسن الأستاذ العطّار بضم هذا الفصل إلى كتابه ، إذ دافع فيه الأستاذ العقاد عن الإسلام في قضايا الرّق وتعدُّد الزوجات ، وحدود العقاب ، وشروط المعاملات الاقتصادية وغيرها دفاعاً مقنعاً لا يحتمل الجدل الباطل ، وبين فيه جناية المذهب المادّي على المرأة والأسرة ، ثم على المجتمع في حاضره ومستقبله ، قال (ص ١٤٣) فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق ، والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن تخلص من الاستغلال إلاّ إذا ملكت بيتها أمّا وربة أسرة ، وسيدة للعالم الصغير ، وذكر القيود والشروط لإقامة الحدود والتعازير ، وأوضح حلّ الإسلام لمشكلة الفقر والحاجة بإيجاد العمل على القادرين ، وإسعاف العجزة والعظام النخرة ، من طول السنين . وأما الأستاذ العطّار فقد حارب الشيوعية حرباً لا هوادة فيه ، ولمّا سأله بعض الإخوان عن رأيه فيمن ينقلب شيوعياً من المسلمين ؟ أجاب بأن الشيوعية تنكر وجود الله ورسالة الرسل عليهم السلام (قال ص ٨) وهذا وحده كاف لأن يهدينا الى الحكم على معتنقها ، (قلت) وهذا القدر معرّف بالحكم ، وهو يغني عن كل ما سبقه ولحقه من سب وشتم ، لا سيا بعد أن عادت الشيوعية واعترفت بالأسرة ، وبالملكية الفردية ، وقال (ص ١٠٦) لقد لحق التبديل والتغيير كل قواعد المذهب وأسسه ، فالأسرة قامت من جديد ، والملكية اعترف بها ، واعترفوا بالوطنية والقومية ، ورَفعَ النقدُ الأدبي رأسَه ، فصارت الصحف الروسية تنشر النقد ، ولكن ليس للأداة الحكومية وجهاز الحكم ، ومن يدم مقادير البلاد ،

ومع ذلك فهو بشرى خير إن شاء الله ، وكذا تقرأ في الفصل الذي عقده الأستاذ العقاد ، رجوع الشيوعية عن عوامل الهدم والفساد ، في الأسرة والمجتمع ، وإثبات الحرية الشخصية ، والملكية الفردية ، في المزارع ، وهزيمة المذهب القديم (ص ١٥٦ و ١٥٩) . وهذا يدل دلالة صريحة على أن الشيوعية كانت شيوعية أرض لا شيوعية عرض .

وكان لبّى مجمعنا العلمي بدمشق دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤م ، واجتمعت هنالك بإخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا قُثَم بن العباس (رضي الله عنهما) الذي استشهد في سمرقند ، وشاهدنا جامع لينين كراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة ، وكنا نسمع خطب الجمعة بلغة القرآن ، واجتمعنا في طشقند بالشيخ المعمّر المفتي العام رحمه الله ، وتناولنا الطعام على مائدته مع القاضي الفاضل ، وأخبرونا أن أربعة عشر جامعاً في هذه العاصمة تقام فيها الصلاة ، وعدد نفوسها نحو مليون نسمة ، ورئيس جمهوريتها مسلم ، وأكثر أعضاء المجمع العلمي في طاشقند من المسلمين ، وأكثر من ثمانين بالمائة منهم أيضاً ، وهم بزيهم الشرقي وعمائمهم كما رأيناهم في مكة والمدينة وجدة والطائف من أرض الحجاز ، وفي بلاد الشام ، وشهدنا - في سمرقند - تجديد عمران المساجد القديمة ، ورأينا صورة داعية الإسلام في بلاد الروس الشيخ طنطاوي عيّاد المصري (رحمه الله) الذي توفي من نحو نصف قرن ، مرتفعة على الجدران مع صور مشاهيرهم وأكرم رجالهم ، وإنما ذكرت هذا عملاً بقوله تعالى « ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على أن لا تَعْدِلوا : اعدِلُوا هو أقرب للتقوى » (أي لا يحملنكم بغض قوم لكم ، أو بغضكم لهم ، على ألا تعدلوا فيهم : اعدلوا هو أقرب للتقوى) وهذا أمر إلهي لا يستطيع المسلم أن يعدل عنه ، أو يماري فيه ، فاللهم ألهمنا رشدنا .

محمد بهجة البيطار

أسرار العربية

للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

بتحقيق الزميل الأستاذ محمد بهجة البيطار من أعضاء المجمع العلمي العربي

عـدد صفحاته ٤٢٩ غير الفهارس ، وطبع بدمشق (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م)

إن من أظهر صنائع المجمع العلمي العربي الجديرة بوقف الألسنة على شكرها اهتمامه بنشر ذخائر سلفنا العربي الصالح التي تعين على بعث لغتنا وإحياء آثارنا العلمية والأدبية ، ومن أنفس تلك الذخائر الدالة على مبلغ عناية سلفنا بالعربية وعلومها (كتاب أسرار العربية) للإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الحكم الفصلُ بين المذهبين البصري والكوفي في النحو ، وغير المتحيِّز لمذهبه البصري إن كان الحق يؤيد الكوفي ، وفي ذلك ما فيه من بث روح الإنصاف في طلاب النحو ، والحث على التزام الجيدة العلمية في التأليف والتعليم ، ولا أبين لما ذكرتُ ولا أوصف لموضوع هذا الكتاب عما وصفه به في المقدمة مؤلفه إذ يقول :

« وبعد فقد ذكرتُ في هذا الكتاب الموسوم « بأسرار العربية » كثيراً من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين ، وصححت ما ذهبت اليه منها بما يحصل به شفاء الغليل ، وأوضحت فساد ما عداه بواضح التعليل ، ورجعت في ذلك كله الى الدليل ، وأعفيتُه من الإسهاب والتطويل ، وسهلته على المتعلم غاية التسهيل ، والله تعالى ينفع به ، وهو حسبي ونعم الوكيل . »

وقد صرف الأستاذ الناشر الفاضل نظره عن إبداء ملاحظاته والمبالغة في التعليق والتعليل تفادياً من الإملال والتطويل ، مكتفياً بإخراج نسخةٍ صحيحة

من النسخ المخطوطة والمطبوعة التي يكمل بعضها بعضاً ، كما عُني بتفسير غامض اللغة وشرح الشواهد وعزوها الى أهلها مع ايراد تراجم لما في الكتاب من العلماء والشعراء ، كما كشف عن مكامن فوائده بفهارس مفصّلة تعين على الرجوع الى المسائل التي يحتاج المطالع أو المراجع اليها ؛

وهنالك لأسرار العربية ثلاثة أصول مخطوطة : أجلّها مخطوطة مدينة السلام القديمة القويمة التي اعتمد عليها المستشرق الألماني فريدريك سيبولد لكمالها فاعتمد عليها الناشر لذلك ، ولسقوط أبواب كاملة من النسختين المغربيّتين ؛ وقد مضى على طبع أسرار العربية بليدن ثلاثة أرباع القرن ، ففقدت النسخ المطبوعة كلها ، وفي بلادنا العربية خاصة ، وأصبح بذلك هذا الكتاب المطبوع كالمخطوط ، وبعده عن العيون كالمدفون ، مما دعا مجمعنا العلمي الى إعادة طبعه لتعميم نفعه .

هذا وقد أكمل الناشر المحقق هذا الكتاب الجليل بترجمة ضافية للمؤلف في حياته العلمية والخلقية وبيّن ما له من مؤلفات ممتعة أحسن القراء وصفها ، وبذلك أصبح هذا الكتاب المنشور داني القطوف للراغب وقريب المنال للطالب ، لا تشوبه سوى هفوات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، فالله يجزي المؤلف والناشر عن العربية خير الجزاء ، فلقد يقصّر عن حقّهما طويل الثناء .

التنوخي



اقتصاديات العراق

محاضرات الدكتور عبد الرحمن الجليلي في ٢٥٥ صفحة

إن درس الحالة الاقتصادية ، في كل قطر من الأقطار العربية ، من قبل الإخصائيين ، فيه فوائد جمة ، للعرب أجمع ، إذ يعرف بعضهم بعضاً ، ويتفاهمون في الأمور الاقتصادية ، ويتقاربون في الأعمال ، وقد أحسن معهد الدراسات العربية العالية ، في جامعة الدول العربية ، في الطلب الى بعض الاقتصاديين بالقاء محاضرات على طلبة المعهد ، وفي جمعها في كتاب على حدة .

لقد كان الدكتور عبد الرحمن الجليلي من الذين حاضروا عن اقتصاديات العراق .

وقد بحث الدكتور الجليلي في محاضراته هذه ، عن مساحة العراق ، والأراضي القابلة للزراعة هناك ، وحالة الأمطار ، ومقدار الإنتاج ، وعدد السكان والبدو ، وعدد عمال الزراعة ، الذين يبلغون ٦٠ — ٨٠ في المئة من مجموع السكان .

وبين حالة التعليم في المدارس وان عدد التلاميذ قرابة ربع مليون أي ١٢ ٪ من مجموع السكان ، وان عدد المدارس قد ارتفع الى ١١٠٠ مدرسة كما بين أن لكل ٧٠٠٠ شخص طبيباً واحدا ، وان الملاريا تقضي على ما يقرب من ٥٠ الف نسمة في كل عام .

وقدر متوسط دخل الفرد السنوي بحوالى ٣٠ ديناراً للفرد ، على اعتبار ان مجموع دخل العراق العام السنوي هو ١٥٠ مليون دينار ، وهو دخل ضعيف ولا شك مما يدل على أن الحكومة العراقية كانت نائمة عن تحسين اقتصاديات البلاد ، وعلى أنه لولا النفط ، الذي بلغ دخل الحكومة منه عام (١٩٥٣) ٥٢ مليون دينار ، ثم ارتفع الى قرابة مئة مليون دينار في عام ١٩٥٨ ، لكانت بقيت اقتصاديات العراق سيئة لزمن طويل .

ثم بحث عن صادرات العراق ، وعدد الجرارات والدراسات الحاصدات ، ومعيشة الفلاح السيئة الذي هو عبارة عن أجير عند صاحب الأرض .

ثم بحث عن الماشية (كل أنواع الحيوانات) التي تبلغ قرابة عشرة ملايين رأس ، وهي قليلة ولا ريب .

وبحث عن الصناعة وقال ان العراقيين لم يعتادوا توظيف أموالهم في الصناعة ، ولام الحكومة عند بيان السبب بقوله : «عدم قيام الحكومة بتوفير الناحية الفنية والإدارية لتشجيع الناس على الدخول في المجال الصناعي لأن مجرد الإعفاء من الضرائب لا يغير الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يستثمرون أموالهم في الصناعة (ص ٦٣) .

ثم بين أن الحكومة العراقية قامت ببعض الصناعات ، كصناعة الأقمشة ، والاسمنت ، والسكر ، ولكنها لم تدر مصانعها بمهارة مما جعل الدكتور المحاضر يقول : «ان التبذير في الأعمال الحكومية قضية مسلم بها وعدم وجود الدافع الشخصي والمنفعة الذاتية ، يجعل كفاءة المصانع الحكومية أقل من كفاءة المصانع الفردية» (ص ٧٣) .

وقد انتقد الإقليمية الضيقة في البلاد العربية ، التي لم توجد صناعات ثقيلة ، فقال : «ويكفي أن نشير الى أن صناعات عسكرية كبيرة ، وميكانيكية يمكن أن تنشأ وتنجح في البلاد العربية لو كانت الوحدة بينها حقيقية وصحيحة» (ص ٧٥) وهذا قول حق .

وقال إن إحداث المصرف الصناعي في العراق عام ١٩٥٠ برأسمال مليون دينار ثم ارتفاع رأس المال الى ثلاثة ملايين عام ١٩٥٢ قد أفاد الصناعة في العراق .

وبحث عن التجارة في العراق وبين العجز التجاري المتواصل ، وان المستورد في عام ١٩٥٣ كان بقيمة ٥١ مليون دينار ، بينما لم يكن المصدر إلا بقيمة

٣٠ مليون دينار ، أي ان العجز كان ٣١ مليون دينار وهذا دليل على اهمال الحكومة آنئذ .

ثم بحث النظام النقدي في العراق ، وان المصرف الوطني قد أسس عام ١٩٤٧ ، وبين أن مجموع الودائع التي في حوزة المصارف التجارية في عام ١٩٥٢ كان ٣١٫٣ مليون دينار وهو قليل ولا ريب .

وبحث عن النفط العراقي والشركات التي تستثمره وتاريخها ومقدار الانتاج وحصة العراق ، ومساهمة العراق في الشركات والمصافي هناك ، وخط الأنابيب بين كركوك وبانياس وطوله ٥٦ ميلاً ، وسعته ١٤ مليون طن ، وتأثير النفط في الاقتصاد العراقي ، ونسبة الدخل من النفط الذي بلغ عام ١٩٥٣ ٥١ مليون دينار الى الدخل القومي الذي هو قرابة ١٥٠ مليون دينار ، وان حصة الحكومة من النفط هي ٥٠ ٪ فقط .

ويظهر أن الحكومة العراقية ، قد قصرت في استملاك مقدار كبير من أسهم شركات النفط ، التي تحسب بموجبها حصة العراق ، لأن العراق يحرم من جراء تلك الأسعار ، ما يزيد على ١٠ — ١٥ مليون دينار في كل عام .

وتحدث عن مجلس الإعمار الذي أحدثته الحكومة العراقية عام ١٩٥٠ ، ووزارة الإعمار التي أوجدتها عام ١٩٥٣ وبين الصلاحية الواسعة للمجلس والوزارة ، وقد بلغت واردات المجلس في عام ١٩٥٤ مقدار ٣٨٫٨ مليون دينار والنفقات ٣٠ مليون دينار فقط ، وان المجلس أقرض مبلغ ١٤ مليون دينار الى المصالح والدوائر المستقلة ، وان المجلس أوجد برامج للزراعة والصناعة والمواصلات والمباني لمدة خمسة أعوام ، وكل ما خصص لذلك ، هو من موارد النفط .

وختم محاضراته ببحث سياسي اقتصادي ، وهو اشتراك سورية والأردن

ولبنان مع العراق في العمل ليصبحوا منطقة من العالم ، وان لبنان يلتق المنت من سورية (ص ٢٥٠ — ٢٥٥) .

وقد قال في ذلك : « ونجد كيان العرب السياسي والعسكري في هذه المنطقة من العالم ، وفي العلاقات الدولية ، قائمة على تجمعهم في كيان ينتظم أول الأمر ١٤ مليون من السكان ، لهم من الموارد الطبيعية والثروة المستقلة ، ما تساعدهم على سرعة بناء كيانهم السياسي والعسكري على أحسن وجه وأقواه » (ص ٢٥٤) .

وقوله هذا هو من خطة الحكومة العراقية (عام ١٩٥٥) بينما قد رأت سورية مصلحتها واتحدت مع مصر التي تكن لها أجل العواطف ، والتي تربطها بها « روابط اقتصادية وقومية وتاريخية وعسكرية هامة لا انفصام لها » وما على العراق الشقيق إلا أن يندمج في الوحدة العربية .

في الحق أن الدكتور المحاضر ، قد توسع في استعراض اقتصاديات العراق ، وكان موفقاً في ذلك وقد أفاد طلبة المعهد ، وغير المعهد ، في الاطلاع على اقتصاديات القطر العراقي العربي ، ولو أنه توسع أيضاً في انتقاداته للحكومة العراقية (آنئذ) فيما يتعلق بضعف الاقتصاد القومي ، وعدم أخذها حصة كافية من النفط ، وقلة عدد المدارس والأطباء رغم مواردها العظيمة من النفط ، لكان أسدى الى العراق خدمة جلى ، إذ ينبه الشعب الشقيق الى تسيب واهمال حكومته ، ويدعو الحكومة إلى العمل المجدي .

وصفوة القول : ان هذه المحاضرات قيمة ، وجديرة بالتقدير .

منير الشريف

آراء وأنباء



الأستاذ الرئيس خليل مردم بك

(١٨٩٥ ـــ ١٩٥٩)

خليل مردم بك
(١٨٩٥ ـــ ١٩٥٩)

في صبيحة الثلاثاء الرابع في ١٥ محرم ١٣٧٩ هـ، والموافق لـ ٢١ تموز ١٩٥٩، قضى رئيس مجمعنا العلاّمة الشاعر الأستاذ خليل مردم بك، إثر مرض لازمه شهوراً، فبكته البلاد، وشيعه أعلام العرب، ومشى وراء نعشه رجالات البيان. وكان لنعيه رنة حزن وأسى في القلوب جميعاً، لما كان عليه الراحل الفقيد من مزايا نادرة وصفات باهرة في الخلق والأدب والانتاج. وبموته انطوى علم من أعلام الجيل الماضي ظل خفاقاً منذ أول القرن.

كان الفقيد نموذجاً رائعاً من رجال البيان لصدر هذا العصر في أدبه وانتاجه، يلز بالفحول من الشعراء في مصر والعراق ولبنان، ويلحق بكبار الأدباء من الصفوة المختارة، رفع اسم بلاده عالياً، وقضى حقها كاملاً، وناضل في سبيلها كل حياته، فأصبح منارة يستضيء بها الجيل الصاعد، وغدا أمثولة تحتذى وسيرة تقرأ. فقد كان من الأوائل الذين استساغوا الأدب الضخم والعبارة الفخمة والشعر المتين، عكف على تراثنا الخالد، وأفاد منه، وحببه إلى الناس فخدم الأدب المعاصر خدمة لا تنسى، وكان صلة الوصل بين القديم والحديث، جمع أطايب القول وأحاسن الصور، وعرضها في أجمل ثوب وأحسن حلي، وقاسى في سبيل ذلك ما لا يقاسيه جيلنا من فقد المصادر، وندرة الخزائن، وقلة الثقافة، وضآلة التعليم، وجفاف الينابيع.

كان القرن التاسع عشر يتنفس آخر سنيه، شقياً بما شهد من ظلم وعسف وضيق، وكانت الأنوار تظهر حيناً وتختفي أحياناً. وفي سنيه الأخيرة، قبل

أن يموت هذا القرن ، ولد خليل مردم بك حوالي سنة ١٨٩٨ [1] بدمشق ، لأب هو أحمد مختار مردم بك ، وأم هي السيدة فاطمة الحزاوي ابنة السيد محمود الحزاوي مفتي دمشق وعلامتها ، وصاحب التصانيف المعروفة من شعر ونثر . ولم يكن له إخوة من الذكور ، وإنما كانت له خمس شقيقات ، فدفع به أبوه إلى التعلّم ، وسلكه في مدارس ذلك الزمان ، وهي ضعيفة الثقافة ، فنشأ الصبيّ كما نشأ أقرانه ، ودرج في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية . ولكنه ما كاد يتم الرابعة عشرة من عمره حتى فقد أباه ، ثم فقد أمه بعد أربع سنوات ، فغدا في صدر حياته يتيم الأب والأم ، يسير بين أشواك الدنيا حذراً قلقاً متردداً ، حيياً خجولاً ، وكأن المصيبة طبعته بطابع الصمت والحذر والسكون ولازمه ذلك طوال حياته .

ومضى الشاب إلى إكمال تحصيله رغم يتمه ، يتم علمه على أساليب تلك الأيام ، فأقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الشيخ بدر الدين الحسني ، والفقه على قاضي الشام الشيخ عطاء الله الكسم ، والصرف والنحو على الشيخ عبد القادر الإسكندراني ، وهم علماء دمشق والمقدمون في مجالي الثقافة والمعرفة ، فأفاد منهم ، وأخذ عنهم ، حتى علقت به أساليب القدماء وطرقهم ، فوقف على العربية وهو ما يزال يزحف نحو العشرين من سنيه ، وراح يقرض الشعر ، ويتلهى بقوافيه ، يقلّد القدماء ويجري على سننهم حتى أصبحت له ملكة في الشعر ، فدار اسمه ولمع صيته في بلده .

وانقضت سنة ١٩١٨ بويلاتها وشرورها ، وجلا الأتراك عن دمشق ، فعيّن الشاب مميزاً لديوان الرسائل العامة ، يتفحص ما بين يديه من أوراق ،

(١) ذكر بروكلمن ٣ / ٣٥٦ في ترجمته الفقيد ، أنه ولد سنة ١٨٩٥ ، ولعله نقلها عن كامبفماير الذي استكتب أدباء دمشق سيرهم ، بأقلامهم . ولكننا نتابع في حساب السنين ما كان الراحل يريد أن يجعله سنة لولادته في أوراقه الرسمية .

ويختار أشرف الألفاظ ، ويمارس الوظيفة مترقياً في مراتبها حتى أواخر سنة ١٩١٩ . وقد شهد خلال هذه الحقبة كثيراً من الرجالات الرسميين عن كثب ، واستمع الى أحاديثهم ، ورأى بعينيه تاريخاً جديداً للأمة العربية يسطر ويكتب ، فاهتز قلبه للأمجاد ، وتفتحت نفسه للمناصب ، وظل عمره كله يذكر تلك الحقبة السعيدة من سنيه ، ويتغنى بأنه رأى أمته تنشئ الحياة وتبني العز من جديد بعد ركود طويل . فآمن بعروبته ، وتعشق بطولاتها ، وسحر بتاريخها ، وأحب أن تعود كما كانت لتسابق النجوم وتصافح المفاخر ، فمال قلبه إلى الشعر الوطني ، وتغنى لسانه باستقلال العرب .

ولما دخل الفرنسيون دمشق ترك الوظيفة ، وانصرف عن خدمة القوم ، وتغلغل في قلبه كرههم ، وعرف بذلك كل حياته ، وعشق الشعر المهجري ، وأطال صحبته لإنتاج الرابطة في نيويورك ، فكان من ذلك أن أسس مع صحبه « الرابطة الأدبية » ، دخلها معه أدباء ذلك العهد ، وفيهم : محمد الشريقي ، ايفانوس ، شفيق جبري ، حيدر مردم بك ، سليم الجندي ، حليم دموس ، أحمد شاكر الكرمي ، قبلان الرياشي ، عبد الله النجار ، جورج ريش ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، عز الدين علم الدين ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم ...

وعقد أعضاء الرابطة أول اجتماع لها في شهر آذار سنة ١٩٢١ ، ووضعوا قانوناً لجمعيتهم ، وانتخبوا خليل مردم بك رئيساً للجنة الإدارية وعمره ثلاث وعشرون سنة .

وكانت الجمعية تعقد كل أسبوع اجتماعاً ، يلقي فيه أحد الأعضاء محاضرة في موضوع معيَّن . ثم أنشأت الرابطة مجلة باسمها « مجلة الرابطة الأدبية » فكانت من خيرة الصحف لذلك الزمان في موضوعاتها وفي أسلوبها ، تختار أطايب القول في الشعر والنثر ، وتترجم عن فحول الغربيين ، وتعنى باللغة ومفرداتها . وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٢١ ، وفي صدرها شعارها : « انشاء جامعة أدبية تلم شملهم وتوحد قوتهم » .

وفي هذه المجلة نشر الفقيد شعراً ودراسات ، وكان الشعر في الغزل ، وهذه مطالع بعضه :

الهوى يا ميّ صعب فارحمي من لك يصبو

أما ينئك قلبك مستطارا إذا ما البرق أومض واستطارا

هل تذكرين بسفح دمر ساعة فيها افترشت يدي وفضل ردائي

وهذه القصائد مشبوبة العاطفة ، مضطرمة اللوعة ، تمثل الشاب في هذه السن ، وقد تفتح قلبه للهوى وخفقت ضلوعه للحنين ، وسالت في دروب حفظه أشعار البحتري وابن المعتز وقصائد العذريّين ، فكان صورة عنهم في الرقة والأسلوب وفي كثير من معانيه ، فقد سلك الشاب في حب الشعر القديم والتراث الخالد منذ هذه السن مسلكاً عجيباً ، وعكف على المخطوطات ، وأخرج مع زملائه من أعضاء الرابطة كتاب «معاني الشعر» للأشناندانى ،[1] وطبعه بدمشق سنة ١٩٢٢ . وطفق بعد ذلك يكتب مقالات ودراسات في مجلة المجمع العلمي عن المخطوطات ونقد الكتب المحققة ، فكان لأساتذه القدماء فيما نظن أثر في توجيهه هذه الوجهة ، بل كان للمحققين في زمانه يد في هذا الحب ، وفيهم الشيخ طاهر الجزائري والأستاذ محمد كرد علي .

وظلّ الرجل يعمل للرابطة وحلقاتها ومجلتها حتى شعر المستعمرون أنه محور يقظة ، وموضع بعث فأغلقوا المجلة ، وحلّوا الجمعية ، وانتثر العقد ووقفت الرابطة بعد أن قامت بنشاط منتج ، وأصدرت من المجلة تسعة أعداد سدت بها فراغاً كبيراً .

***

ولا شك في أن هذا النشاط وهذا الانتاج دفعا بالمجمع العلمي العربي إلى تقدير شاعرنا وانتخابه عضواً في المجمع[2] ، فتقدم اليه برسالة عن «شعراء الشام

---

(١) طبع بنفقة الرابطة سنة ١٩٢٢ في ٢٠٨ صفحات .

(٢) انتخب في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ .

في القرن الثالث» تمت على حذق وفهم وحبٍّ عميق للشعر الأصيل، وعكوف على هذه الطبقة المختارة من شعراء العرب ، ظل فقيدنا يغذيها بقراءاته وبحوثه ، وجهوده في جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر في الشام منذ القرن الثالث حتى السابع . وقد نشر دراسته هذه في مجلة المجمع [1] أولاً ، ثم طبعها على حدة في كتاب صدر سنة ١٩٢٥ .

وهكذا احتل الرجل مقعداً من مقاعد الخالدين . وكانوا خلاصة الأعلام وسادة الثقافة والبيان ، ينظر اليهم العرب في أقطارهم على أنهم معقد الأمل وحصن العربية ومصنعها الضخم ، عنهم تصدر المقالات الرصينة ، وفي دارهم تعقد الندوات الأدبية الرفيعة ، وبيدهم تحرر أوثق مجلة علمية نشأت مع الاستقلال العربي . وما زالت كذلك إلى اليوم تطيف على عالمنا كؤوس المعرفة صافية ، ودراسات الأدب نقية ، خالية من شوائب العصر ، بعيدة عن السياسة كل البعد ، حتى غدت منارة وحدها بين صحف تولد وتموت ، وتظهر وتطوى ، ولكنها كالمجمع نفسه جبلت على الخلود ، والخلود لا يمسّه عيب ولا يلحق به نقصان . وكان هذا المجمع مثالاً ناجحاً احتذاه علماء القاهرة وبغداد ، فأنشؤوا في كل من الحاضرتين مجمعاً ومجلة ليسيروا بهما على غرار دمشق .

وفي هذه المجلة نشر الفقيد مقالات يجب أن تجمع ليوم ذكراه ، كما فعل في جمع مقالات غيره ، فقد كان الرجل مثال التواضع والتفاني فصرف همته إلى دواوين غيره ومقالات زملائه ، ولا يصح أن ينصرف زملاؤه عن العمل لمقالاته ودراساته .

وفي هذه السنة نفسها (١٩٢٥) نشر فقيدنا «كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا ، وكتاب وقف فاطمة خاتون بنت محمد ابن السلطان الملك

---

(١) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢٥ (ص ٣٩٤ وما تليها) وكتاب شعراء الشام ، طبع دمشق سنة ١٩٢٥ ، في ٩٦ صفحة .

الأشرف قانصوه الغوري » وكتب على الغلاف : « وقف على طبعها خليل بن أحمد مردم بك »[1] .

ولم تكن أعمال النشر والتحقيق والمقالة وحدها هي التي تستبد بوقت فقيدنا ، فقد كان يؤمن بأن للنضال عليه حقاً ، لذلك عاش حياته كلها يعمل للأدب ويتغنى بالثورة ، فهو في برزخين أبداً ، ينتقل من هذا إلى ذاك ، كما ينتقل الطير من فنن إلى فنن ، فكان ينظم الشعر في الجمال كما ينظمه في خير وطنه وفي إثارة الشعب ورد الطغيان ودفع الظلم ، فكانت منه قصائد عامرة نظمها في الوطنية والعروبة وطرد الفرنسيين ، رددتها دمشق وتغنت بها ، فلما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ، وقام اللهب والحريق والقتل في جنبات الغوطة الغناء وفي رحاب دمشق الفيحاء أرسل قصيدته المشهورة « يوم الفزع الأكبر » ومطلعها[2] :

أمدّه الدمع حتى غاض جائده فمن بأدمع عينيه يرافده

فتناقلها الناس ، ونشرتها الصحف العربية ، وتلفت الفرنسيون إلى هذا النور ليطفئوه ، وأرسلوا في اثره يطاردونه ، ففر إلى لبنان ، واستخفى فيه بقرية « المروج » بمساعدة صديقه الشاعر أديب مظهر . وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه للقبض عليه ، فهرب الى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، ونزل عند شقيقته السيدة فائزة زوجة المرحوم الدكتور أحمد قدري (وهو من أعلام الثورة العربية ومن رجال فيصل الأول المقربين) .

ولبث الفقيد في مصر أربعة أشهر كان لها أثر كبير في حياته ، فقد كان يقرأ عن بعد لأعلام المصريين ، ويستمع الى أخبارهم ، ويتلقف آثارهم ،

(١) طبع بدمشق على نسخ قليلة ، سنة ١٩٢٥ في ٣٠٠ صفحة .
(٢) انظر ديوان الثورة ، جمع محمد ياسين عرفة ، مصر ١٩٢٦ ، ص ١٢٤ .

ويشتاق إلى معادن العربية من مكامنها ، فلما بلغ اليهم اتصل بالأعلام ، وعرفهم كما عرف من قبل رجال السياسة العربية في بلده . وقد عرفنا من أحاديثه الشخصية ما كان يلقى من إكرام وما يصيب من ود ، ورجوناه أن يسجلها لجيلنا ، فكان منه مقالتان في ذكرياته مع حافظ ابراهيم بالاسكندرية وحلوان ، نشرهما في مجلة المجمع العلمي العربي[1] ، تحدث فيهما عن شاعر الشعب في أدق عيشه وحركاته .

وتأثر الفقيد من غير شك بجو الاسكندرية وثقافتها ، فعزم على الدراسة في الغرب ، وقرر أن يقصد الى انكلترة ، فسافر اليها وانتسب إلى جامعة لندن ، ولقي فيها آفاقاً رحبة واستمع إلى كتاب الإنكليز ، وظل طوال عمره يذكر أثر ذلك ، وما كان من استماعه إلى ويلز وغيره من الكتاب الغربيين . ولبث في تلك البلاد أربع سنوات درس فيها الآداب وحصل على شهادة تعادل الدكتوراه . وقد كان لوقوفه على الأدب الانكليزي ورحلته في الغرب أثر هام في شعره . وظهر الأثر في قصائده : سكران وسكرى ، والفوطة ، ويردى والرقص ، فجمع جزالة العبارة إلى براعة الصورة ، وأفاد من الشعر الفحل في مصر واللون الغربي ، ووفق في الموسيقى والخيال ، وارتفع بالشعر الشامي المعاصر إلى مراتب الجودة والتوفيق .

وعاد إلى دمشق سنة ١٩٢٩ مشوقاً ظمآن إلى ربوعها ومواطن صباه ، والجراح تحت ردائه لما أصابها من نكبات وهزات ، فاستقبلها بقصيدة لعلها من خير شعره ؛ حيا فيها عاصمة بني أمية ، وجعل عنوانها «سلام على دمشق» قال في مطلعها :

تلاقوا بعد ما افترقوا طويلا   فما ملكوا المدامع أن تسيلا

فاهتزت مشاعر قومه ، وصفق له الأدباء ، ورأوا فيه شاعراً آلان القوافي لبراعته ،

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٦ (ص ٣٥٣ – ٣٧٠) . (ص ٥٢٩ – ٥٤٣) .

فأكبروه وأحلوه مكانة الود والإكرام . وعيّن مساعداً لرئيس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية ، وظل فيها تسع سنوات من (١٩٢٩ — ١٩٣٨) وفي هذه الكلية تخرج على يديه أدباء وعلماء سلكوا في دروب المعرفة ، ورفعوا لبلدهم في مختلف الميادين ذكراً لا ينسى .

وفي سنة ١٩٣٣ حنّ من جديد إلى الصحافة الأدبية ، فأصدر مع الدكاترة جميل صليبا ، وكاظم الداغستاني ، وكامل عياد مجلة « الثقافة » جاء في مقدمتها كلام يبين عن بعض أهدافها : « للأدب أبلغ أثر في تكوين هذه الثقافة ، فهو روح النهضات ، ومظهر حياة الأمة ، ولقد طغت عليه جلبة السياسة في هذه الأيام حتى كادت تخفت صوته في ضوضائها ، فأصبح من الواجب إقالته من عثرته والأخذ بيده ، وتقديس حرمه ، وانتهاج طريق واضح له في الدراسة والوضع » . وهذه السطور تغني عن شرح كثير في وصف الحال ورسم البواعث التي أهابت بالفقيد ورصفائه إلى إنشاء هذه الصحيفة .

وكانت « مجلة الثقافة » صورة للصحف الراقية في بحوثها ومقالاتها وصورها الفنية ، تختار الشعر الجميل والقصص البديع والترجمات الحسنة . وكان للفقيد فيها شعر ونثر ، كما كان في مجلة الرابطة من قبل . ولكنه هنا أبلغ وأحسن ، فقد سار الفقيد بخطى نحو الجمال والإتقان ، وأصبح يفهم الشعر على أحسن ما تفهمه الآداب الراقية . وكتب مقالاً نشره في هذه المجلة نتخذه دليلاً على أسلوبه في الكتابة والنثر ، وشاهداً على ما نقول من فهمه لرسالته في الأدب قال [1] :

« الشاعر : مخلوق خالق ، وروح خالد ، يصور من خفقات قلبه وخلجات ضميره وإبداع فكره أشباحاً ينفخ فيها من روحه فإذا هي من الخالدين . ملك أو جني ، هبطت روحه من عالم الغيب ، فتمثلت بشراً سوياً ، فهو مع بني الإنسان ،

(١) انظر مجلة الثقافة بدمشق ، تموز ١٩٣٣ (ص ٣١٧ - ٣١٨) .

ولكنه غريب عنهم ، فما يزال يصيخ إلى هينمة الملائكة في السماء أو عزيف الجن في الصحراء ، ويستشف من وراء الأفق عالماً نورانياً ، ويتبين في الجو مسارح أنسه الأولى ، ومعاهد هواه القديم :

لابنة الجني في الانس طلل ....

فهو يقظان حالم ، أنكر الناس أمره وحاروا في شأنه ، وقالوا : شاعر أو مجنون .

« يأنس بالوحدة لأنه من نفسه في عالم ، ويؤثر السكون ليسمع جلجلة الوحي وأصداء الأرواح ، ويسكن إلى الظلام ليشاهد الرؤى والأشباح ، ويغمض عينيه ليرى ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .

وهذا أسلوب جميل ، يجري بغير تكلف ، ويقتبس من القرآن الكريم ، ويسمو في فهم الشاعر ، لأن كاتبه يصف نفسه في حال الوحدة والسكون حين يصطاد خفقات قلبه وما يحيك في صدره وما يشع في بصره وما يفيض من عينيه . والذين أطالوا الاستمتاع بحديث الفقيد وسكروا معه بكؤوس الصداقة هم الذين يعرفون كيف كانت تحوم أشباح الشعر حول عينيه وبصره وفمه ، وهم الذين يعرفون نشوة الشاعر حين يحس أضلاعه تهمس همساً ألذ من نسمات الصباح على أوراق الشجر مع أوائل النور ، يجوس خلالها الشعر وتطرق القوافي ، فينشرح صدره وتضحك عيناه .

والأدباء الذين قرأوا الشعر المعاصر يعرفون أن شعر الفقيد كان يحوم حول جمال الكون ، وفتنة المرأة ، وجلال الدين ، وعظمة الحرية ، وكرامة الوطن . ويعرفون أنه كان ينسج من خيوطها قصائده منذ افتر شبابه حتى خبا آخر شعاع في جبينه ، فكانت أغاني وألحاناً أسلمها إلى كراريس دفن فيها أقدس أسراره ، ولم يفضح منها إلا ما ارتضى خطبته وإشاعته[1] .

---

(١) هذه الكراريس يقوم محمد الملي بطبعها ونشرها إحياء لذكراه .

وفي هذه الكراريس ألوان من الشعر والخيال ، ليس هنا مكان الافاضة فيها ، فهي تنمّ بصور الغزل على ألوانه ، منه اللّيّن ومنه المنيف ، وفيه القبل تترى والأشواق تتسابق ، فتلحق بالرومانسية الأوربية ، وتتصل بالأساليب العباسية ، وهي في كثرتها كشعر العذريين ، أو الغزلين المتعففين يسقط على القبلة ولكنه لا يهوى إلى ما بعدها ، فيقول :

فكأننا إذ ذاك زوج من قطا بتطاعمان بروضة غنـاء

قد كان في طوقي بلوغ مآربي لولا زواجر عفـة وحيـاء

وهذا يذكرنا بالعباس بن الأحنف أو بأبي فراس الحمداني ، حين يقدر العاشق ويعف . وهذه الكراريس تغص بالصور الفاتنة في وصف دمشق وغوطتها وأنهارها وجبالها ، وليلها ونهارها ، وما فيها من مؤذن وأذان ، وما في أعيادها من ضحايا تلمع فيها مدية الجزار ، وما في الجو من فراش ، وما في الأرض من زنبق . وهو في ذلك كله مؤمن أعمق الايمان بالله ونبيّه يقول فيه :

شب أميـا ولكن نال في العلم الامامة

وهو وطني مخلص لعروبته وبلاده ، يكرم الأبطال في ميسلون فيناجي « يوسف العظمة » :

غضبتَ لأمة منها « معدٌّ » فأرضيتَ العروبة والإلـهـا

فيالك رائـداً نبهت شعباً وأيقظت النواظر من كراها

ويكرم دمشق في الثورة التي ألهبتها ويغنيها إثر عودته من لندن :

دمشق ولستُ بالباغي بديلاً وعن عهد الأحبة لن أحولا

ذكرتك واللهيبُ له وميضٌ يقشّر من شقائقه ذيولا

له وهج إذا وازاه طـير رماه ولو علا في الجو ميـلا

وأمطرت الرصاص فكان وبلاً شديد الوكف منهمراً ويبـلا

ولعله في هذا الشعر القليل الذي روينا يشير بنفسه الى طريقته وأسلوبه ، فما يحوجنا إلى دليل أو تحليل ، بل لعله إذا جمع إلى النثر الذي بسطنا وهو قليل كذلك ، يكفي لرسم صورة عن أدبه وقد اشتد عوده واستد ساعده ، ونضج فنه .

وخلال هذه السنوات السعيدة الخصبة (١٩٣٣ — ١٩٣٩) التي كان يدرّس فيها الأدب العربي بالكلية العلية ـ كما قلنا ـ راح يؤلف الدراسات الأدبية ويترجم لفحول الأدباء القدماء ، فأصدر عدداً من الكتب جعلها بعنوان : « أئمة الأدب » ، ونشر منها خمسة : « الجاحظ ، وابن المقفع ، وابن العميد ، والصاحب ، والفرزدق »[(١)] وهي دراسات مبسطة تجمع حياة الشاعر إلى مختار شعره ، وتعرضه عرضاً واضحاً موفقاً تعين طلاب البكالوريا وتفتح باباً للكتب المدرسية في الأدب العربي ببلادنا .

***

ووقعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، وقد جاوز الفقيد الأربعين من العمر ، وعرفه العالم العربي ، وأكبره قومه ، واحتل بين إخوانه في المجمع مكانة سامية ، فانتخبوه أميناً للسر سنة ١٩٤١ ، وراح يحمل مجابة أيامه مع الرئيس الأسبق المرحوم محمد كرد علي في انسجام وصفاء .

وكانت المجالس الصباحية في المجمع أشبه بمجالس القدماء تطوف فيها كؤوس النوادر الأدبية ، والصفحات العلمية ، فكان الصبوح في « دارة الخالدين » أشهى ما يشرب الناشئة وألذ ما يعالج الشيوخ ليومهم . وكأنّ الحرب ما دارت منها رحى ، وكأنّ ظلام الدنيا ما اختلف إلى هذه العقول النيرة ، وعاش الرضي

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة ـ ابن المقفع ٩٦ صفحة ـ ابن العميد ١٤٤ صفحة ـ الصاحب ٢٥٦ صفحة ـ الفرزدق ١١٢ صفحة ، وكلها من القطع المتوسط .

بين جدران « المدرسة العادلية »[1] شهوراً جميلة أعاد إليها جهاد العلم ، وانتصار الثقافة ، وسموّ الانتاج .

وفي سنة ١٩٤٢ ، شاءت الحكومة أن تختطف العلاّمة الأديب من جدران المجمع لتجعله وزيراً للمعارف في ظروف قلقة ، فترك ما بين يديه من دواوين إلى حين . ولكنه عاد بعد ذلك إلى أمانة السر لتقر به عيون الأعضاء ، ويفرح به الرئيس الجليل .

ومنذ سنة ١٩٤٦ ، أصبح العلامة الفقيد يحيا حياة جديدة أحبها منذ صباه ، وهي العكوف على المصادر القديمة ، واحياء الشعر الشامي يترنم به ويتغنى ، ويبحث وينقب ، حتى عرف كل حيّ من أحياء دمشق في قديمه وحديثه ، وأتقن كل لفظة دمشقية جاءت على لسان الشعراء قبله ، فغدا مرجعاً وثقة في هذا ، كما كان رئيسه ثقة في تاريخ الشام وحضارة الإسلام . والذين يتذوقون الأدب القديم ويعشقون الرحلة في مطاويه ، ويصبرون على التجوال في هوامش الكتب يجدون في تعليقات علامتنا سطوراً لا تضاهيها صفحات كثيرة ، ففيها من اللذة والجمال ما ليس في كتابات كثير من العصريين المجددين المتأدبين ، فهي حدائق من الأدب لا يسمو اليها خيالهم ، ولا تحملهم اليها قوائمهم .

وهذه التعليقات نجدها في الدواوين التي حققها فقيدنا واحداً إثر واحد على كمال متصاعد ، ما يزال يحسّن فيه حتى يبلغ الذروة . فقد حقق ديوان ابن عنين الدمشقي سنة ١٩٤٦ ، وديوان عليّ بن الجهم سنة ١٩٤٩ ، وديوان ابن حيوس سنة ١٩٥١ ، ثم ديوان ابن الخياط سنة ١٩٥٨ . وطبعها كلّها المجمع العلمي بدمشق ، وصدّرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كلّ مقدمة منها خمسين صفحة ، لو جمع بعضها إلى بعض ، ولو جردت من صدور الدواوين

(١) مقر المجمع العلمي العربي منذ نشأته إلى اليوم .

لكانت تاريخاً للأدب في الشام ، بكل الدراسة التي أنشأها عن القرن الثالث للهجرة في صدر شبابه . فقد كان الفقيد منسجماً مع ماضيه يسير على خط مستقيم في عمله ، يعرف كيف بدأ ويعرف كيف يتم ، لا يصرفه نقد بعض المتطلعين لأعماله وأعمال المجمع ، ولا يغضبه قولهم فيه ، فهم يرون أن التحقيق والنشر من العبث والترف ، ويظنون أن الأدب كل الأدب قصة تنشر وقصيدة تخطر ، ومقالة تروج ، وخطبة تلقى فحسب .

وقد كان الفقيد يلقى عند المستشرقين اكباراً واعجاباً وثناء لو جمع في ذكراه لأغنى القائلين في مدحه ، كما كان يلقى عند رصفائه من أعضاء المجامع العربية والدولية إكباراً وثناء ، فتهافتت عليه المجامع العلمية والمدارس العالية تهدي اليه عضويتها ، وتلتمس اليه قبول الانتساب اليها . فانتخبه مجمع اللغة بمصر عضواً سنة ١٩٤٨ ، والمجمع العلمي العراقي عضواً كذلك سنة ١٩٤٩ ، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن عضواً سنة ١٩٥١ ، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين عضواً في تحريرها سنة ١٩٥١ ، ومجمع البحر المتوسط في بالرمو عضواً سنة ١٩٥٣ ، والمجمع العلمي السوفياتي عضواً سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٥١ ، عادت اليه الحكومة السورية لتدعوه الى تسنم منصب وزير مفوض لها في بغداد ، فسافر اليها وكان فيها موضع الحب والتقدير ، وغدت دارتنا هناك ملتقى العرب الأعلام .

وفي سنة ١٩٥٣ اختير وزيراً للخارجية .

وفي السنة نفسها ، انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فبلغ أعلى ما يطمح اليه عالم وأديب ، وقضى أماني قلبه ووثبات روحه واشراقة نفسه ، وأصبح في الذروة تنعقد عليه الآمال وترنو اليه الأبصار .

فلما انصرف عن السياسة والمناصب ، عاد الى المجمع العلمي ليسير بمنشوراته العلمية سيرة مجامع الغرب ، فاطرد العمل ومضت المجلة في ثوبها الجديد ، تثب

في قوة وجلاء حتى قطعت إلى اليوم من عمرها قرابة أربعين سنة ، وقد كان فقيدنا يقطعها أجمل ساعاته ويخصها بأخصب عنايته ، يكاد يقرأ مقالاتها كلها قبل النشر ، ويراقب ترتيبها ، ويحث على المضي في طبعها وتصحيحها ، وإخراجها في نظام موقوت ، فكأنها قطعة من حياته ، كما كانت قطعة من حياة سلفه قبله .

أما مطبوعات المجمع فكان يعمل لها في جدّ متواصل ينظر فيها ويدققها كأنها بقلمه ، وكم راجع أصحابها وزودهم بما يعرف من أمور ، واشترك معهم في التعليق والتصويب . وكان بهذا الحرص المتواضع والجهد الدائم يدفع الشباب إلى العمل ، ويحبب برسالة المجمع ، ويستزيد من الأصدقاء ، ويجمع حوله القلوب .

ولم يكن يدفع إلى الإنتاج فحسب ، وإنما كان يضرب الأمثال بنفسه ، فيحبر المقالات في دراسة الأدب ونقده وتحقيق نصوصه كما كان يفعل منذ أول نشأته في « الرابطة الأدبية » . فهو في السنين من عمره كما كان في الخامسة والعشرين ، يعشق الأدب ، ويميل إلى التحقيق ، فيقبل على شعره يسجل همسات خاطره ، ويقبل على شعر أهل الشام فيعنى به ، وكان آخر انتاجه « ديوان ابن الخياط » — الذي ذكرناه — أتمه قبل عام من وفاته على أحسن ما يصنع المحققون في العالم العربي ، فحشد له ثماني نسخ خطية ، جمعها من أطراف الدنيا ، وسار في التعليق عليها وموازنتها سيراً لا انقطاع فيه ، فاذا خلا من زواره انقلب إلى عمله يرسم بخطه الجميل أبيات الشعر ، كما رسم غيره من الدواوين لا يعتمد على ناسخ أو ناقل ، فكأنه في الثلاثين من عمره جداً وجهاداً ، لا يفتر ولا يني ، حتى ملك الإتقان في هذا الديوان ، وكان لنا شرف الحديث عنه في مجلة المجمع [1] ، فألمنا إلى أياديه على الجيل في هذا الكتاب وفي غيره ، وبسطنا خطته في تأريخ الأدب العربي لإقليمنا — كما قلنا — ورجونا أن يتم

---

(١) انظر المجلد ٣٤ ، سنة ١٩٥٩ (ص ١٢٦ - ١٣٣) .

السلسلة إلى القرن السابع الهجري حيث وقف الشعر العربي عن فيض إبداعه . ولو قد مد الله في عمر الفقيد لعمد إلى طبع ابن منير الطرابلسي وابن القيسراني ، وقد حدثني عنهما ، وأطال في الشوق إلى اخراجهما ، فوفر لهما النسخ والمصادر ولكن المنية بالمرصاد للنفوس الكبيرة الجاهدة التي تستقل ساعات الحياة دون تحقيق مشاريعها الضخمة .

ولعلّ هذا الإجهاد من غير راحة بعد بلوغه الستين قد أضر بجسمه ، فأورده موارد المرض والعلة ، فأقعده عن السعي الى المجمع ، فافتقده إخوانه وصحبه وهم كثر ، ورأوا مكانه خالياً لا يسدّ ، فلا مرجع يرجعون اليه ، ولا مشير يعلقون على رأيه الأمل . فقد كان مستودع الأسرار ، شديد الحرص عليها وفياً لصحبه ، جميل التواضع ، كأنّ الشعر الرفيع سكب عليه برداً من أجمل أبراده ، فكساه بأجمل الحلي وزينه بأنقى الصفات . فقد كان رحمه الله صورة للرقة في حديثه ومجلسه ، ما تنقطع بشاشته عن خدينه ، حتى لكأنه ورد الربيع ينشر العطر ، ويجمّل الذكر ويكسو الحديث أطيب النكهة . فما عرفنا أن لسانه الحييّ المتردد انطلق مرة إلاّ في خير الناس ونفع الأدب ، وخدمة المجمع ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبل والحياء الجم والتواضع الجميل تفرحان للجمال ، وتضحكان للنكتة البريئة ، وتسبران غور المحدث ، وكان في حركاته مثالاً للرجل الرصين الرزين الوقور ، على مر السنين : فتى يافعاً ، وأديباً ناشئاً ، ومدرساً نافعاً ، وعضواً عاملاً ، ووزيراً متواضعاً ، ورئيساً مخلصاً ، تقلّب في حياته على الغنى والجاه وتنقل في المراتب والمناصب ، فما أبطرته ولا أسكرته ، لأنه كان فوق ما أعطته ، وكانت دون ما يستحق .

ولهذا غدت سيرته في صحبه ورصفائه من أعضاء المجمع وأصدقائه الأدباء نفحة عطر وأوراق زهر وصفحات خلود وسطور أمجاد ، ما يستطيع قلم معها أن يأتي

من قوة أن يرسم مبلغ صفاتها ونقائها ، وما يبلغ بيان إلى وفائها حقها . فهي جوانب كثيرة لا يلم بها مقال مهما طال ، لأنها أخذت من كل روض وجمعت من كل أفق فغدت باقة في الاعمار ، كلما كشفنا عن زهرة منها فاح عبق ، وكلما قلبنا ورقة منها ملأت وجه الأفق ، فهي سيرة تفيض على السنين التي عاشها ، ولا تعد الأعمار الكريمة بالأعوام ، ففي كل مرحلة من مراحل عيشه التي ألممنا اليها أثر كبير وخير كريم .

وقد حاولنا في هذه الصفحات أن نوجز في سيرته لنصف فاجعة المجمع العلمي العربي ، وحزن المجتمع ، وثكل الشعر وحداد الأدب ، وألم المحبين والصحب والأهل ، فقد فقدوا شاعراً محلقاً ، وأديباً محققاً ، ورئيساً لا يجارى ، وصديقاً وفياً لا يبارى ، وإماماً في التواضع والنبل لا تنسى محامده على الزمان .

رحمه الله رحمة واسعة ، وألهمنا العزاء والسلوان على فقده .

الدكتور محمد سامي الدهان

ترجمة جديدة
لابن خداويردي

كان ابن خداويردي (واسمه محمد الراعي) من أدباء القرن الثاني عشر ألّف كتابه المشهور « البرق المتألّق في محاسن جلّق » ، وهو كتاب جمع فيه ما قيل في مدح دمشق نثراً ونظماً ، وكنا نشرنا له « أرجوزة في محاسن دمشق » ، وترجمنا له ترجمة موجزة في مقدّمتها[1] ، لم نستطع يومئذ التوسّع بها لعدم وجود مصادر ترجمت له .

وكان من المفروض أن يترجم له المرادي . ولكننا لم نجد شيئاً عنه في سلك الدرر المطبوع .

ثم صور معهد المخطوطات العربية من مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنوّرة نسخة مخطوطة من كتاب البرق المتألّق . فوجدنا في أول صفحة منها ترجمة المؤلف منقولة من تاريخ المرادي . وهي ترجمة لطيفة . فأحببنا أن ننقلها هنا ؛ لأنها لا توجد عند المرادي المطبوع :

« هو محمد بن مصطفى بن خداويردي بن مراد بن ابراهيم الشهير بالراعي ،
« بفتح الراء ، الحنفي الدمشقي الكاتب المنشئ الأديب ، أحد الكتّاب الماهرين
« بالفنون . وُلد بدمشق في سنة تسع عشرة ومائة وألف ، ونشأ بها ، وأخذ
« الكتابة والمعارف عن أربابها ، وتخرّج بذلك على يد محمد عاصم بن عبد المعطي
« أحد أعيان الكتّاب بدمشق ، ومهر بصناعتَيْ النظم والنثر ، وصار يكتب
« الخطوط المتنوعة كالرقعة ، والديواني ، والقرمة ، والسياقة ، والنسخي ، وغير
« ذلك . وبرع باللغتين الفارسية والتركيـة . وصار مقاطعجياً بباب الدفتري
« بدمشق ، وكاتباً في أوقاف الحرمين المحترمين . وكان يغلب على شعره الهجو .

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٧ (سنة ١٩٥٢) ص ٢٢٥

« وله أهاجٍ في الناس كثيرة ، ونكتٌ ونوادر مقبولة . وفي آخر أمره تراكت
« عليه الأمراض والعلل والأكدار ، وقلَّ ما بيده ، الى أن مات .

« وله من الآثار البرق المتألّق في محاسن جِلّق يحتوي على ذكر دمشق
« ورياضها وغياضها ومياهها . ورسائل أُخَرُ في الأدب . وشعره كثير .

« وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس صفر الخير سنة خمس وتسعين ومئة وألف .
« رحمه الله تعالى .

« انتهى ملخصاً من تاريخ جناب المولى الهمام العالم الإمام السيد محمد خليل أفندي المرادي المفتي بدمشق الشام » .

وهذه الترجمة تبين لنا أطرافاً من أحوال ابن خداويردي ، وتدلنا على أن تاريخ المرادي المطبوع ناقص .

الدكتور صلاح الدين المنجد



هدية مخطوطات

أهدى الى دار الكتب الوطنيـة (الظاهرية) فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ محمد جميل الشطي مجموعة من المخطوطات الثمينة هذا ثبتها :

العدد	
٢	شرح الغاية لعبد الحي بن أحمد بن العماد الدمشقي
٦	شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي المصري
٦	شرح الاقناع بخط مؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٣	شرح المنتهى لمؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٤	الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلي المرداوي
٢١	المجموع

وكذلك أهداها الأمير جعفر والأمير إدريس الحسني الجزائري المخطوطات التالية وعددها ثلاث وسبعون مخطوطاً :

اسم الكتاب	المؤلف
تحفة البررة في المسائل العشرة	أحمد بن علي بن المهذب بن نصر الخواري
شرح الانموذج في النحو	محمد بن عبد الغني الاردبيلي
رقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق	محمد سبط المارديني
الصلاة الأحدية على الذات الهاشمية	
تحفة الأسماع بمولد حسن الأخلاق والطباع	محمد نسيب الحمزاوي
شرح الشجرة النعمانية	الصدر القنوي
مجموع أوله رسالة على رسالة الوضع	محمد الحفناوي
كتاب النجاة في العلوم الحكمية	أبو علي بن سينا
حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات	الأمير أحمد بن الأمير عبد القادر الحسني
تفسير غريب القرآن	عبيد الله محمد بن أحمد بن جعفر السقطي البغدادي
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد	محمد بن مالك الطائي
اختيار المختار في كشف الأسرار	
رسائل في العقيدة الدرزية أولها رسالة التنزيه	
شرح الحكم	محمد بن عباد النفري
شرح قصيدة ابن حبيب الصفدي	علي بن عطية الملقب بعلوان الحموي الميتي
تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس	عبد الوهاب بن محمد بن علي بن أحمد .. ابن سلطان تلمسان
مجموعة رسائل وأشعار	
شرح قصيدة محمد العربي بن يوسف الفاسي في الزكاة	عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي

اسم الكتاب	المؤلف
عيون المذاهب الكاملي المظفري	عبد الرحمن الخبازي
شرح أسماء الله الحسنى	القشيري
الفتح المبين شرح الأربعين	
تذكرة المعجبين في أسماء سيد المرسلين	محمد بن أبي الفضل قاسم المرعي التونسي
مجموع أوله رسالة شرح لامية ابن الوردي	النجم الغزي
شرح حديث أم زرع	القاضي عياض
تلخيص المفتاح (في علم البلاغة) (الأول من مجموع)	
رسالة في الفقه والفروض والواجبات والنوافل	عبد الله بن أبي زيد القيرواني
الدر الحسان في اختصار كتاب التبيان شرح مورد الظمآن (مخرومة في بعض المواضع)	
الطريقة المحمدية	محمد البركوي
مجموع أوله مشتهى العقول في منتهى النقول	
موصل الطلاب الى قواعد الإعراب (شرح القواعد)	خالد بن عبد الله الأزهري
شرح السمرقندية	عصام الدين بن محمد
مجموع أوله أوراد البكري	مصطفى البكري
مجموع أوله سلك طريق العمل وفيه عندليب المناظرة	
إتحاف المريد بجوهرة التوحيد	عبد السلام اللقاني
فرائد العقود العلوية لحل ألفاظ الأزهرية	الشيخ علي الحلبي
تمرين الطلاب في صناعة الإعراب	خالد بن عبد الله الأزهري
مختصر شرح تلخيص المفتاح	سعد الدين عمر التفتازاني
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات	عبد الله محمد القزويني
اللمعة في حل السبعة (مختصر نزهة الخاطر)	أحمد بن غلام الله الكوم الريشي

اسم الكتاب	المؤلف
كلمات على نظم الصغرى للونكري (البدور الجلية شرح نظم السنوسية)	محمد بدر الدين
تلخيص المفتاح في علم البلاغة	
مجموع أوله شرح السلم المرونق	
كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض	عبد الغني النابلسي
صرف العناية في كشف الكفاية	عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي
غرة الأبصار على الثلاثة الأذكار	محمد بن ابراهيم التتائي
شرح الزرقاني على متن العزية	عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري
كتاب في النحو (مخروم الأول) أوله . . ان اذا ظرف فيه معنى . .	
حاشية البناني على هوامش الصبان على شرح التلخيص للتفتازاني (الأول)	مصطفى البناني
كتاب في الفقه مخروم الأول والآخر أوله . . المذكورة علمنا معرفة النجس . . .	
كتاب في الحديث مخروم الأول والآخر أوله . . النفس نشيطاً وإلا أصبح خبيث النفس كسلان . .	
تجريد البناني من هوامش الصبان على شرح التلخيص	مصطفى بن محمد البناني
القرآن الكريم	
الدرة البهية شرح المقدمة القرطبية	محمد التتائي
كتاب في النحو مخروم الأول والآخر أوله . . وقد عمت بكنه ذلك عدنان وقحطان (وهو شرح قصيدة)	
حواش على عمدة أهل التوفيق شرح عقيدة أهل التوحيد	الحسن بن مسعود البوسي
حاشية الكمال بن أبي شريف على المحلي (الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع)	
الخامس من القسطلاني أوله فضائل النبي (ﷺ)	

اسم الكتاب	المؤلف
الثالث من صحيح مسلم	
شرح مقصورة أبي الحسن بن حازم الأنصاري	محمد بن احمد بن محمد الحسني الغرناطي
فتح الباري على صحيح البخاري (الأول)	ابن حجر
المنصف من الكلام على مغني ابن هشام	أحمد الشمني الحنفي
السيرة النبوية (مخرومة الأول)	
كتاب في الحديث مخروم الأول أوله : ابن اخيار أخبره أن المقداد ...	
اكمال الاكمال (الثالث)	الابي (شارح مسلم)
عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة (الاول) (مخرمة الأول)	ابن نلكور ؟
كتاب في الفقه كتب عليه الجزء الثامن الاجور	
كتاب في الحديث مخروم الأول أوله .. ان الشياطين تأكل حقيقة ..	
جزء من الجامع الصحيح أوله .. كتاب الحج	البخاري
شرح مقامات الحريري	أحمدبنعبدالمؤمن .. القيسيالشريشي
القواعد الكبرى	ابن عظوم
كتاب الخيل	عبد المؤمن الدمياطي
الأول من المناوي الكبير على الجامع الصغير (فيض القدير)	المناوي
مولد ابن حجر الهيثمي	

فنقدم إلى المهدين المشار اليهم أطيب الثناء والشكر على هديتهم النفيسة .



الفهرس العام

لمواد المجلد الرابع والثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء